المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الجوف

Jouf University

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية

مجلة دورية محكمة

العدد الحادي عشر المجلد السادس

2021 م - 1443هـ

ردمد 1658-7812

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية

مجلة دورية محكمة

العدد الحادي عشر - المجلد السادس محرم 1443هـ- أغسطس2021م
رقم الإيداع 4537/1339
ردمد 7812-1658
المملكة العربية السعودية
الجوف - سكاكا
ص. ب 2014
البريد الإلكتروني
Auhsj@ju.edu.sa
موقع المجلة
http://www.ju.edu.sa/index.php?id=5922

2021م - 1443هـ

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام على المجلة

سعادة الدكتور سالم بن مبارك العنزي

وكيل جامعة الجوف للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور فهد بن عبد العزيز بدر العسكر

أستاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. ماهر بن مهل الرحيلي

أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية

أ.د عبدالسلام بن صالح الجار الله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، بجامعة الملك سعود

أ.د. عبدالرحيم حامد مقدم

أستاذ اللغويات الاجتماعية بكلية الآداب، بجامعة الجوف

د. وادي بن براك الزعيلي العنزي

أستاذ الإدارة الصحية المشارك، بكلية إدارة الأعمال بجامعة الملك سعود
ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي ورئيس قسم الإدارة الصحية

مدير التحرير

د. عبدالحميد بن مهطلس العنزي

أستاذ دراسات الترجمة المساعد، ووكيل كلية الآداب بجامعة الجوف

سكرتير التحرير

د. حامد بن محمد بن عبدالعزيز أيوب

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك، بكلية الآداب بجامعة الجوف

التعريف بالمجلة:

إنَّ مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية مجلة علمية محكمة تصدر عن وكالة جامعة الجوف للدراسات العليا والبحث العلمي في أبريل، وأغسطس، وديسمبر من كل عام؛ إيمانًا منها بالدور الذي تؤديه المجلة في خدمة البحث العلمي؛ والرقي العلمي بجامعتنا ومملكتنا.

وتهدف المجلة إلى الريادة، ومواكبة أحدث المستجدات العلمية؛ من خلال أمرين؛ الأول: الجهود المخلصة، والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية، أما الآخر: فهو إتاحة الفرصة للباحثين الجادين لنشر إنتاجهم العلمي الذي يتسم بالأصالة والجدة في مجال العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية في تخصصات: الدراسات الإسلامية، والعلوم الشرعية، وفروعهما، واللغة العربية وآدابها، واللغة الإنجليزية، وإدارة الأعمال، والمحاسبة، والاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا)، والقانون.

وقد صدر العدد الأول من المجلة في شهر سبتمبر عام 2014م (ذي القعدة 1435هـ) بمسمى مجلة جامعة الجوف للعلوم الاجتماعية حتى بلغت ثلاثة مجلدات بواقع ستة أعداد في شهر يوليو عام 2017م (شوال 1438هـ)، وفي العام الجامعي 1438/1439هـ أقر مجلس الجامعة ضوابط النشر بمجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية، ومن هذا التاريخ صارت تحمل هذا الاسم، وهي مدرجة ضمن فهرس الدوريات العلمية تحت رقم إيداع 4537/1439 وتاريخ 27/5/1439هـ ورقم ردمد 1658-7812.

الرؤية:

الريادة، والتميز في نشر الدراسات الإنسانية؛ لأجل تنمية مستدامة تحقق للجامعة والمجتمع التطور، والنهوض.

الرسالة:

النهوض بالمنظومة البحثية في مجال الدراسات الإنسانية، وفق معايير الجودة العالمية؛ لتحقيق مجتمع المعرفة.

الأهداف:

تهدف المجلة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. نشر الدراسات العلمية الأصيلة والمبتكرة في مجال الدراسات الإنسانية.
2. تعزيز الصلات العلمية والفكرية مع الجامعات المحلية ومراكز البحوث والمؤسسات المتخصصة في جوانب الفكر والتنمية، وتبادل الإصدارات العلمية معها.
3. تسليط الضوء على الدراسات الجديدة في مجال الدراسات الإنسانية.
4. تلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية للنشر في مجالات العلوم الإنسانية.

Jouf University Humanities Sciences Journal (AUHSJ):

It is a peer-reviewed academic journal issued in April، August and September and concerned with research on a variety of issues related to fields of humanities. It is published by Jouf University and it welcomes researchers worldwide to publish their original and innovative research. Every research submitted to the journal has to meet the demands of academic ethics and scientific methodology.

The journal aims to pioneer and keep up-to-date of the latest scientific developments through، firstly، sincere efforts and commitment to the scientific research ethics and methodology، and secondly، to provide an opportunity for thoughtful researchers in the fields of humanities، either Arabic or English language، namely، Islamic studies، Arabic language and literature، English language، Business Administration، Accounting، Social Sciences (History and Geography) and Law.

The first Issue of the journal was released in September 2014 under the name Journal of Jouf University for Social Sciences till the sixth Issue in July 2017. In 2018، Jouf University council has renamed the journal to AUHSJ. It is listed in scientific journals index with ISSN 7812-1658.

Vision:

Leadership and excellence in publication of distinguished research in humanities to achieve sustainable development for the university and society.

Mission:

Developing research in humanities in accordance with global quality standards to build a knowledgeable society.

Objectives:

1. Publishing original and innovative research studies in the field of humanities.
2. Enhancing intellectual and scientific communication with local universities، research centres and specialized institutions concerned with intellect and development، and exchanging academic publications with them.
3. Highlighting new studies in the discipline of humanities.
4. Meeting the demands of researchers at local، regional and international levels to publish leading research in humanities.

قواعد النشر في المجلة:

1. يقدم الباحث الرئيس تعهدًا موقعًا منه، ومن جميع الباحثين المشاركين (إن وجدوا) يفيد أن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقدَّم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة.
2. لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
3. في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقي أو إلكتروني، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
4. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
5. لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.
6. تُقَدَّمُ البحوث إلكترونيًا من خلال بريد المجلة الإلكتروني الرسمي:Auhsj@ju.edu.sa
7. يجب ألا يتجاوز البحث المقدم للنشر (40) صفحة، متضمنة المستخلصين: العربي، والإنجليزي، والمراجع، والملاحق إن وجدت.
8. يُعَدُّ ملخّصان للبحث: أحدهما: باللغة العربية، والآخر: باللغة الإنجليزية، لا تتجاوز كلمات كل منهما (200) كلمة، يليهما كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
9. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) 3 سم، والمسافة بين الأسطر مفردة، ويكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
10. يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (Traditional Arabic)، فأما العناوين الرئيسة فتكون باللون الغامق وحجم الخ ط(18)، وأما متن البحث فحجم الخ ط (16)، والهوامش بحجم (12)، والجداول بحجم (10)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (11)، والجداول بحجم (8).
11. يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، أو الباحثين، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة (باللغتين العربية والإنجليزية). ثم تتبع بصفحات البحث، بدءًا بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط، متبوعًا بالمستخلص العربي والمستخلص الإنجليزي، ثم كامل البحث.
12. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوايتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلًا من الاسم أو الأسماء، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
13. يوثق البحث في التخصصات الشرعية واللغوية وفق الآتي:

أ. كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/الصفحة).

ب. يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث وفق الآتي:

1. إذا كان المرجع (كتابًا) : (عنوان الكتاب، فالاسم الأخير للمؤلف، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق -إن وجد-، فبيان الطبعة ، فمدينة النشر: فاسم الناشر فسنة النشر).
2. إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع) : (عنوان الرسالة، فالاسم الأخير للباحث، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فنوع الرسالة(ماجستير-دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).
3. إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): (عنوان المقال، فالاسم الأخير للمؤلف، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم الدورية، فسنة النشر، فالصفحة من ص... إلى ص...).

14. يوثق البحث في غير التخصصات الشريعة اللغوية بأسلوب جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس: (American Psychological Association – APA – 6th Ed.).

15. ينظم البحث وفق الآتي:

أ. البحوث التطبيقية: يورد الباحث مقدمة تبدأ بعرض طبيعة البحث، ومدى الحاجة إليه ومسوغاته، يلي ذلك استعراض مصطلحات البحث، ومشكلة البحث، ثم تحديد أهدافه، فأهميته، ثم تساؤلات البحث أو فرضياته. فحدوده، فالإطار النظري والدراسات السابقة، ثم تعرض منهجية البحث؛ مشتملة على: مجتمع البحث، وعينته، وأدواته، وإجراءاته، متضمنة كيفية تحليل بياناته. ثم تعرض نتائج البحث ومناقشتها، والتوصيات المنبثقة عنها. وتوضع قائمة المصادر في نهاية البحث بإتباع أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

ب. البحوث النظرية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها للفكرة المركزية التي يناقشها البحث، مبينًا فيها أدبيات البحث، وأهميته، وإضافته العلمية إلى مجاله. ثم يعرض منهجية بحثه، ومن ثم يقسم البحث إلى أقسام على درجة من الترابط فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة محددة تكوّن جزءًا من الفكرة المركزية للبحث. ثم في ختام البحث يقدم خلاصة شاملة متضمنة أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث.

16. يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.

17. توضع قائمة بالمراجع العربية، تليها قائمة بالمراجع الإنجليزية، وفقًا لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.

18. يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على (10) مستلات من كل بحث دون مقابل. ويتحمل المؤلف (المؤلفون) تكاليف ما زاد على ذلك، وعلى المؤلف طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع، ويكون السداد مقدمًا.

Publication Rules:

1. The manuscript must be accompanied by a statement that the manuscript has not been submitted simultaneously for publication elsewhere.
2. The editorial board has the right to decide if the research is valid to be sent to the scientific arbitration or not.
3. All accepted manuscripts become the property of AUHSJ، and must not be published in any other vessel whether in paper or electronically without a written permission from the editor in chief.
4. Opinions in the manuscripts do not express AUHSJ view; rather they express only the researchers' views.
5. The editorial board has the right to set priorities in publication of research papers.
6. Manuscripts are submitted electronically through the e-mail address: auhsj@ju.edu.sa.
7. The research has to be written on A4 paper. The manuscript must not exceed 40 pages including Arabic and English abstracts and references.
8. Arabic and English abstracts have to include the following: research topic، objectives and methodology; the most important results; and the most important recommendations. Each abstract must not exceed 250 words، and it has to be very well written. Each abstract is followed by no more than five key word، which do not exist in the title of the manuscript - for indexing.
9. Page margins of the manuscript pages (top، bottom، left and right) must be 3 cm and the line spacing should be single. Also، a manuscript should include page numbers at the middle bottom of the page.
10. The font type in Metn for Arabic research is Traditional Arabic، the headlines are bolded and the font size is 18، the research body font size is 16، margins size 12، and tables size 10، and for English research (Times New Roman)، size 11، and tables size 8.
11. Basic information about the research has to be written in both Arabic and English، and it has to include the following: research title; researcher's full name(s)، affiliation، corresponding address typed on a separate page، followed by the manuscript pages where the title of the manuscript is typed at the top of the first page.
12. In initial submission of research papers، name/names of the author/authors should not be openly expressed in the manuscript or expressed by any indication that might reveal their identity; however، the word (researcher/researchers) may be used instead of the name in the manuscript، citation and references list.

13. Research in Sharia and linguistic specializations documented as follows:

    A- Footnote should include the title of the book، the name of the author and the part / page.

    B- The bibliography at the end of the research shall be according to the following:

    1) Books: title of the book، last name of the author، first name and other names، name of the investigator - if any -، edition no.، city of publication: name of the publisher and year of publication).

    2) Unprinted thesis: title of the thesis، last name of researcher، first name and other names، type of thesis (Master or Ph.D.)، location: College name، university name، year.

    3) Article: title of the article، last name of author، first name and other names، name of the periodical، location، the number of the periodical، the year of publication، the page from... to ....

14. AUHSJ adopts the American Psychological Association (APA) Style- 6th ed.

15. The manuscript must be organized as follows:

    A- Empirical Research: Starts by an introduction that presents the background of the research، for it، and justifications for conducting it. Related studies should be integrated included in the introduction without allocating sub-titles. Then، present the problem followed by the objectives and questions or hypotheses. Afterwards، methodology should include: population، sample، materials، and procedures. Data analysis should be given and then followed by the results and discussion including recommendations. References should be at the end of the manuscript according to the APA Style.

    B- Theoretical Study: starts by giving an introduction that paves the way for the central idea to be discussed in the research and illustrates the literature review، significance of study and its contribution to the field. Then، present the method followed by sections of the study and each section must reveal a certain idea that represents part of the central idea. The manuscript should be ended by a comprehensive summary that includes the most significant results that the study concluded.

16. It is the responsibility of the researcher to make sure that the manuscript is free of linguistic، grammatical and typo errors.

17. The Arabic references list should be at the end of the manuscript followed by the English references list according to the APA Style.

18. The researcher will be supplied with 10 free copies of the Issue. If additional copies are wanted، they could be ordered and paid in advanced.

فهرس المحتوى

م	اسم الموضوع	اسم الباحث	الصفحة
1	افتتاحية العدد	سعادة رئيس التحرير	15
2	الطبقية والتناسخ بين الهندوسية واليهودية مدى التشابه وموقف الإسلام منهما	د. شداد بن راجح عيسى والد	17
3	أحكام التخارج في الشركات الحديثة دراسة فقهية مقارنة	د/ مسفر بن سعد بن مسند الجروي	65
4	شهادات الشعراء السعوديين الذاتية دراسة في المضامين	د. أمل بنت محيسن القثامي	99
5	ثنائية القيم والألم في يتيمة ابن زريق البغدادي	د. صفية بنت ناشي العتـيبي	131
6	مبدأ المساواة في العقود الإدارية دراسة على ضوء نظام المنافسات و المشتريات السعودي	د. محمد بن علي معجب الكبيري	159
7	تأثير المرونة التنظيمية على دعم اليقظة الإستراتيجية (دراسة تطبيقية على شركات تصنيع السيراميك في مصر)	د. عماد عبد الخالق صابر الطحان	183
8	تحدّيات قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية: وجهة نظر أصحاب المصالح	د. عامر محمد الشهري د. تركي سليمان الزميع	209
9	Autonomous Behaviors in EFL Contexts: A Comparative Study of English Students in Blended and Conventional Instructional Modes	د. إلهام عبدالله غبين	247

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

يطيب لنا أن نقدم للمتلقي الحصيف العدد الحادي عشر من المجلد السادس (أغسطس 2021م) من مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية؛ استمرارًا لعطاء متجدد يحقق ما سعت إليه المجلة؛ من تنوع فكري، وثراء معرفي يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ ليواكب تطلعات الباحثين، وما خطته المجلة لنفسها، إنجازًا، ودقة، وتطورًا، وإبداعًا.

ويأتي هذا العدد ؛ ليحوي بين دفتيه ثمانية أبحاث تغطي خمسة مجالات تخصصية رئيسة، منها بحثان في العلوم الشرعية، وبحثان في اللغة العربية، وبحث في اللغويات التطبيقية، وبحث في القانون، وبحثان في الأعمال، في أولها: الطبقية والتناسخ بين الهندوسية واليهودية مدى التشابه وموقف الإسلام منهما، وثانيها: أحكام التخارج في الشركات الحديثة دراسة فقهية مقارنة، وثالثها: شهادات الشعراء السعوديين الذاتية دراسة في المضامين، واندرج في رابعها: ثنائية القيم والألم في يتيمة ابن زريق البغدادي، أمَّا خامسها فجاء بعنوان "Autonomous Behaviors in EFL Contexts: A Comparative Study of English Students in Blended and Conventional Instructional Modes" .

أما سادسها فهو مبدأ المساواة في العقود الإدارية دراسة على ضوء نظام المنافسات والمشتريات السعودي، وسابعها: تأثير المرونة التنظيمية على دعم اليقظة الإستراتيجية (دراسة تطبيقية على شركات تصنيع السيراميك بمصر، وأخيرًا: تحدّيات قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية: وجهة نظر أصحاب المصالح.

وختامًا اللهَ نسأل أن يحقق هذا العدد الأهداف المرجوة منه، وأن تظل مجلتنا في ارتقائها المنشود، ومنارة للعلم والمعرفة.

ولتستمر غايتنا المُثلى هي الوصول إلى رضاكم الفكري الأمثل.

والله من وراء القصد

رئيس تحرير مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية

أ.د. فهد بن عبدالعزيز العسكر

الطبقية والتناسخ بين الهندوسية واليهودية مدى التشابه وموقف الإسلام منهما

إعداد

د. شداد بن راجح عيسى والد

أستاذ مساعد - المملكة العربية السعودية - جامعة الباحة -كلية العلوم والآداب بالمخواة

المستخلص:

يأتي هذا البحث بعنوان: الطبقية والتناسخ بين الهندوسية واليهودية مدى التشابه وموقف الإسلام منهما، وقد تألف من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، المبحث الأول: عقيدة الطبقية بين الهندوسية واليهودية وموقف الإسلام منها، والمبحث الثاني: عقيدة التناسخ بين الهندوسية واليهودية وموقف الإسلام منها، وقد سلك الباحث فيه المنهج الوصفي الاستقرائي، من خلال استقراء المادة العلمية، وتوزيعها على مباحث الخطة، ثم تحليلها بما يمكن أن يجيب عن تساؤلات البحث، إضافة إلى المنهج المقارن والنقدي، ويهدف هذا البحث إلى إبراز مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في الطبقية والتناسخ، وبيان موقف الإسلام من هاتين العقيدتين، وكان من أهم نتائجه: وجود التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في كثير من العقائد وحصول التأثر والتأثير، واعتقاد الهندوسية واليهودية بالطبقية الجائرة، والاستعلاء العنصري، وأن الطبقية عند اليهود لا تقتصر على غير اليهودي فحسب، بل إنهم يميزون بين اليهود أنفسهم، وتؤمن الهندوسية واليهودية بتناسخ الأرواح، ومما أوصى به الباحث: استكمال دراسة الجوانب العقدية الأخرى التي تَشَابهت فيها الهندوسية واليهودية.

الكلمات المفتاحية: العنصرية، الاستعلاء، النرفانا، الكارما، التقمص.

Abstract:

Title: " Caste and Reincarnation Between Hinduism and Judaism and the Situation of Islam ".

It consisted of an introduction، a preface and two topics، first topic: Doctrine of Caste in Hinduism and Judaism and the situation of Islam، second topic: Doctrine of reincarnation in Hinduism and Judaism and the situation of Islam.

Methodology: The descriptive inductive approach، through extrapolating of scientific material، distributing it to the topics of the plan، then analyzing it in a way that could answer the research questions، in addition to the comparative and critical approach.

Objective: This research aims to highlight the fact of the doctrinal similarity between Hinduism and Judaism in caste، reincarnation and statement of Islam situation toward these faiths.

Results: Doctrinal similarity between Hinduism and Judaism in many beliefs، the impact and influencing، the belief of Hinduism and Judaism in the oppressive caste، racial arrogance، mental reason in the areas of the unseen، the caste in the Jews is not limited only to non-Jews، they distinguish between the Jews themselves، Hinduism and Judaism believe in the reincarnation of spirits.

Recommendations: Completion of other doctrinal aspects in which Hinduism and Judaism are similar.

Key words: Racism، Arrogance، Nirvana، Karma، Reincarnation.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فمما يهتم به علم مقارنة الأديان؛ دراسة الأديان مقارنًا بعضها ببعض، ومبينًا وجه الشبه بينها، سواءً من حيث نشأتها وأطوارها، أم من حيث عقائدها وأفكارها، وهذا الجانب هو الأهم.

ولا يخفى على كل باحث أن كل الديانات -غير الإسلام- يجمعها البعد عن النورين -الكتاب والسنة- وتحكيم الهوى، الذي ضل بهم وغوى، اقتربت أفكارهم وعقائدهم وهم يشعرون أو لا يشعرون، فأصبحت بين عقائدهم تشابهًا واختلافًا.

لذا كان لتحقيق التقارب بين هذه العقائد قدر بالغ في الأهمية، يحتاج إلى قدر من المطالعة والقراءة، للتمييز والربط، بعين تتحرى العدل والإنصاف وإن كان القولُ قولَ مخالف.

والهندوسية واليهودية من الديانات الكبرى التي تشابهت في كثير من العقائد، ومن أبرز العقائد التي تشابهوا فيها القول: بالطبقية، والتناسخ، وقد أوْلَوْا هاتين العقيدتين اهتمامًا كبيرًا، وجعلوا لهما أوفر قسط في مصادرهم المقدّسة.

لذا رأيت أن أقوم بدراسة هذا الموضوع دراسة علمية، يكون عنوانها: الطبقية والتناسخ بين الهندوسية واليهودية؛ مدى التشابه، وموقف الإسلام منهما.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن الطبقية والتناسخ عقيدتان راسختان في الديانتين الهندوسية واليهودية، يتوارثونها جيلًا بعد جيل، وقد أثّرت هاتان العقيدتان على شخصية القوم، وشرائعهم وشعائرهم، وسلوكهم ومواقفهم تجاه الآخر، وزادت من عزلتهم، وعنصريتهم، وفسادهم، والواقع المعاصر شاهد على ذلك الأمر الذي دفع الباحث إلى أن يجيب عن أهم سؤالين تدور عليهما مشكلة البحث، وهما: ما مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في الطبقية والتناسخ؟ وما مظاهر هذا التشابه؟

حدود البحث:

سيكون البحث محدودًا بتحقيق مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في الطبقية والتناسخ وموقف الإسلام منهما (1)، واستقصاء المسائل العقدية الرئيسة في هاتين العقيدتين.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في الأمور الآتية:

1. عقيدة الطبقية والتمييز العنصري، وما يتبعها من أحكام وتشريعات، حيّة ومتفاعلة في عقول وقلوب الهندوس واليهود، وهي من صميم عقائدهم، ويحيطونها بهالة من التقديس، ويعملون على تكريسها، ولا يوارون في إعلانها أمام العالم، وهذه الدراسة تنحو منحى التركيز على الطبقية والاستعلاء العنصري بين الهندوس واليهود أنفسهم(2).
2. أن عقيدة التناسخ من أخطر العقائد، فهي تتعارض مع ركن من أركان الإيمان؛ وهو الإيمان باليوم الآخر، وهذه الدراسة ستسهم في بيان حقيقة هذا المعتقد عند الهندوسية واليهودية.
3. أن هذه الدراسة تكشف مدى ما تنطوي عليه الهندوسية واليهودية من انحراف وزيغ واستعلاء، وما يتميز به الإسلام من الحق.

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

1. أن إبراز مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في الطبقية والتناسخ يُعدُّ موضوعًا جديدًا يستحق الدراسة.
2. أن الهندوسية واليهودية من أكثر الديانات انتشارًا، وأشدها خطرًا، ولهما حضور في الماضي والحاضر، وتوجيه الدراسة إلى بعض معتقداتهم وإبطالها من الأمور التي تمسّ إليها الحاجة.
3. أن دراسة مثل هذا الموضوع يسدّ فراغًا علميًا يتعلق بالدراسة العلمية المقارنة بين الهندوسية واليهودية.

---

(1) هناك جوانب أخرى تشابهت فيها الديانتان، منها: عبادة الحيوانات، فاليهود عبدوا العجل، والهندوس عبدوا البقر، ومنها: تقديس الأماكن، فاليهود يقدسون تربة فلسطين، والهندوس يقدسون نهر الكنج، ومنها: نجاسة الآخر، فاليهود يعتقدون بنجاسة غيرهم، وكذلك الهندوس يؤمنون بنفس العقيدة القاضية بنجاسة غيرهم...وغير ذلك.

(2) إذ الاستعلاء العنصري قائم بين الهندوس مع بعضهم بعض، حيث يعتقدون أنهم ليسوا على طبقة واحدة في المجتمع، ولا على مستوى واحد في الإنسانية، والحال كذلك عند اليهود، فلا تقتصر الطبقية عند اليهود على غير اليهودي فحسب، بل إنهم يميزون بين بعضهم بعض.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. إيضاح العلاقة بين التشابه العقدي والتأثير والتأثر في الديانات.
2. بيان العلاقة بين الطبقية والتناسخ.
3. معرفة مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في الطبقية.
4. معرفة مدى التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية في التناسخ.
5. إبراز موقف الإسلام من عقيدتي الطبقية والتناسخ.

الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة أوعية المعلومات البحثية، واستقراء العديد من الرسائل والبحوث العلمية، ومذاكرة بعض المختصين؛ لم يجد الباحث من أفرد هذا الموضوع في بحث أكاديمي مستقل.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك باستقراء المادة العلمية، وتوزيعها على مباحث الخطة، ثم تحليلها بما يمكن أن يجيب عن تساؤلات البحث، إضافة إلى المنهجين المقارن والنقدي.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة، وفهارس، على النحو الآتي:

- المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث، وحدوده، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطة البحث.
- التمهيد: وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: العلاقة بين التشابه العقدي والتأثير والتأثر في الديانات.
- المسألة الثانية: التأثير والتأثر بين الهندوسية واليهودية.
- المسألة الثالثة: العلاقة بين الطبقية والتناسخ.

- المبحث الأول: عقيدة الطبقية بين الهندوسية واليهودية، وموقف الإسلام منها، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: عقيدة الطبقية بين الهندوسية واليهودية.
  - المطلب الثاني: موقف الإسلام من عقيدة الطبقية.
- المبحث الثاني: عقيدة التناسخ بين الهندوسية واليهودية، وموقف الإسلام منها، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: عقيدة التناسخ بين الهندوسية واليهودية.
  - المطلب الثاني: موقف الإسلام من عقيدة التناسخ.
- الخاتمة: وتحوي أهم النتائج، والتوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: العلاقة بين التشابه العقدي والتأثير والتأثر في الديانات:

إن المتأمل في كتب العقائد والأديان يجد بين هذه الأديان المحرّفة والوضعية وجه شبه يتقارب في بعض الأحيان ويتباعد في أحيانٍ أخرى، وسبب ذلك أن صانعها الإنسان نفسه، فطبيعة الإنسان وتركيبته واحدة؛ ولذلك قد تتشابه مصنوعاته الفكرية.

لذا فإن وجود وجه شبه بين فكرة وفكرة أو عقيدة وعقيدة، لا يلزم منه أن الفكرة الأخيرة تأثرت بالفكرة الأولى، فقد تكون هذه مستقلة تمامًا عن تلك، حيث هناك مشتركات إنسانية، وهناك مشتركات دينية، وخصوصًا بين بعض الأديان السماوية، أو حتى الأديان غير السماوية، فوجود الشبه شيء، والتأثر شيء آخر، ومن الأمثلة على ذلك:

ما نجده في الكثير من الديانات التأكيد على المبادئ الأخلاقية، والحث عليها، كالصدق والعدل والأمانة ونصرة المظلوم وغيرها، كما أن فيها أيضًا تحريم الفواحش والمنكرات كالظلم والبغي والعدوان وغيرها، وهذا نجده في تعاليم اليهودية والنصرانية وحتى الديانات غير السماوية كالبوذية[1] والكونفوشيوسية[2]، وغيرها، وفي المقابل فإن هذه المبادئ الأخلاقية أيضًا دعا إليها الإسلام، وحث عليها، بل رتب الأجر على من تحلّى بهذه الأخلاق الفاضلة، ولا يمكن أن يقال في هذا الباب إن الإسلام تأثر بالديانة اليهودية أو النصرانية في هذه المبادئ الأخلاقية، ولا أظن أن أحدًا يقول بذلك، إلا ما أثر من بعض المستشرقين الموتورين الذين يحاولون أن يجردوا

(1) البوذية: ديانة فلسفية وضعية وثنية، ظهرت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، على رجل يقال له بوذا. انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص131).

(2) الكونفوشيوسية: مذهب سياسي اجتماعي ديني ظهر في الصين في القرن السادس قبل الميلاد، ثم صارت ديانة الصينيين. انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص225).

الإسلام من كل أصالة، فينسبون إليه التأثر بالأديان الأخرى وخصوصًا النصرانية، من أمثال جولدتسيهر(1) (Ignác Goldzihe) الذي أكد أن تعاليم الزهد التي تمثل بها المسلمون كانت مستمدة من النصرانية(2)، ومونتجمري وات(3) (Matth Montkmri) الذي زعم أن غاية ما في الإسلام من عظمة هو قدرته على جمع المعارف من أهل الكتاب وخلطها بالعادات العربية(4).

وعلى هذا فإن سبق الفكرة لا يلزم التأثر بها، ووجود السبق والمشتركات العقائدية بين الديانات والفرق لا يعني وجود التأثر والتأثير(5)، وقد لاحظت أن الكثير من المهتمين بدراسة الأديان والفرق(6) لا يتسرعون في إطلاق التأثير في العقائد بمجرد السبق، وإنما يكتفون برصد المقالات ومن الذي قال بها، دون تتبع الأثر ومدى التأثير، فكان اهتماهم يتركز على نسبة البدع والمعتقدات إلى أصحابها.

ومن هنا؛ فإن وجود الشبه في بعض العقائد لا يعني بالضرورة أنه تأثر بعضها ببعض، حيث إن دائرة الشبه في المعتقد أوسع من دائرة التأثر والتأثير، والحكم على تأثر معتقد في آخر -مع إمكانيته ووقوعه وعدم إنكاره (7) -من الصعوبة بمكان.

المسألة الثانية: التأثير والتأثر بين الهندوسية واليهودية:

أثبت عدد من الباحثين أن كثيرًا من فقرات العهد القديم أُخذت عن كتاب الهندوس المقدس الويدات(8)، مما جعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يقلقون ويصيبهم الحرج من هذا الأمر، ولا سيما أنهم يدّعون خلافه، فيقولون: إن كثيرًا من فقرات الويدات مأخوذة من الكتاب المقدس(9).

كما أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين العقائد الهندوسية و ما في التلمود(10) من تعاليم وعقائد، مما يشير إلى احتمال تأثر التلمود وكُتّابه ببعض العقائد الهندوسية، ومنها عقيدتا الطبقية والتناسخ؛ لأنها هي السابقة على تعاليم التلمود بقرون كثيرة.

(1) هو أجناس جولدتسيهر، مستشرق يهودي مجري، درس اللغة العربية، وطعن في الإسلام والمسلمين، وأبرز الجانب السيء في تاريخهم، وهاجم الفقه والأدب العربي، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة 1340هـ. انظر: المستشرقون، العقيقي (3/40).

(2) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص148).

(3) هو منتجمري وات، مستشرق إنجليزي، حاقد على الإسلام والمسلمين. انظر: المستشرقون، العقيقي (2/132).

(4) محمد في مكة (ص51).

(5) انظر: مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، خالد القاسم (1/435).

(6) كأبي الحسن الأشعري، وعبدالقادر البغدادي، وفخر الدين الرازي وابن حزم الأندلسي وغيرهم.

(7) هناك دراسات اثبتت التأثر والتأثير بين الأديان، منها على سبيل المثال: ما قام به الشيخ محمد الطاهر التنير في كتابه العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه محاضرات في النصرانية، ود. أحمد شلبي في كتابه اليهودية، وكتابه أديان الهند الكبرى.

(8) الويد: كلمة سنسكريتية، معناها في اللغة: العلم، وقيل تعني الحكمة، ونطلق على كتب الهندوس الدينية، وهي رِغْ ويد، يَجُر ويد، وسامْ ويد، وأتَهْرْ ويد. انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص39).

(9) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (1/29).

(10) التلمود: هو القانون الشفهي الذي نقله الحاخامات -بزعمهم- عن موسى -عليه السلام- جيلًا بعد جيل، دوّن في آخر القرن الخامس الميلادي، وهو المصدر الثاني عند اليهود. انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص39-11).

ومما يقوّي هذا الاحتمال ما أشار إليه سفر الملوك الثاني من العهد القديم؛ حيث جاء فيه: " وَكَانَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمِ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَاتَّقَوْا آلِهَةً أُخْرَى. وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ. وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا ضِدَّ الرَّبِّ إِلَهِهِمْ أُمُورًا لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ»(1).

وجاء فيه أيضًا: «وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا بَاطِلًا وَرَاءَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لَا يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ»(2).

ولكن هذا لا يمنع احتمال تأثر الهندوسية في مراحلها المتأخرة باليهودية؛ لا سيما أن الهندوسية متطورة ومتغيرة في مصادرها وعقائدها عبر القرون، وتتقبل كثيرًا من العقائد والقوانين الجديدة عليها، ولو لم تكن في كتبها المقدسة الأولى، كما أن هناك علاقات وصلات غير قليلة حدثت بين الهندوسية واليهودية مما أدى إلى وجود تأثر وتأثير بينهما(3)..

المسألة الثالثة: العلاقة بين الطبقية والتناسخ:

ساعدت عقيدة التناسخ في ترسيخ الطبقية عند أصحابها، وجعلها نظامًا مقبولًا، فمن يولد في طبقة الشودرا، أو طبقة المنبوذين، أو في أي طبقة أدنى، يكون -في اعتقاده- قد احتل هذه المكانة بحسب أعماله السابقة، فيحرص على تمسكه بطبقته الحالية، عاملًا بالأعمال التي توافق شريعته، متجنبًا الأعمال الرذيلة حتى يسعد في حياته القادمة، ويرتقي إلى طبقة أعلى، حال انتقال روحه إلى جسد آخر، فيحرص على تقديم القرابين والتنفيذ الدقيق للطقوس الدينية الموافقة للشريعة الهندوسية، وتقديم الخدمات للبراهمة والكهان(4).

فعمل الإنسان في هذه الحياة الدنيا ما هو إلا ثمرة من عمله في الحياة الماضية، وأن عمله سيعين الحال التي يولد بها مرة أخرى «فالأعمال التي تنبعث من القلب، ومن اللسان، ومن الجسم، إما أن تكون نتائجها صالحة، أو تكون سيئة، وإن طبقات الناس من رفيع، ومتوسط، ووضيع، إن هي إلا نتائج الأعمال»(5).

ومن الجدير بالملاحظة؛ أن هذا النَّص الوارد في كتاب الهندوس المقدّس (مَنُوْ سْمْرِتِيْ) قد جعل عقيدة التناسخ أساسًا لبقاء عقيدة الطبقات، وأن كل طبقة من الطبقات السافلة أو العليا، ظهرت من جزاء أعمال أهلها في الحياة الأولى، ونتيجة لها، وعلى هذا الأساس فالتناسخ هو الباب الوحيد الذي يستطيع الأفراد الذين ولدوا في طبقة سافلة، أو منزلة أدنى، أن تتغير أحوالهم فيرتقون إلى أعلى من طبقاتهم الحالية؛ إذا توقفت أرواحهم عن شرورها، وتطهرت من خطاياها، وبقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة(6).

(1) سفر الملوك الثاني (9-7:17).

(2) سفر الملوك الثاني (15:17).

(3) انظر: الهندوسية، محمد العلي (ص467).

(4) انظر: شجرة الحضارة، رالف لنتون (3/174).

(5) مَنُوْ سْمْرِتِيْ (ص679).

(6) انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة (ص44)، وأديان الهند الكبرى، شلبي (ص61).

فمن اتقى وأخلص في تعبده يتناسخ في طبقة أعلى من طبقته الحالية، ومن اختار الغواية والضلال ففي الكلاب والخنازير، وفي حياة كل مارق شرير(1)، ومن هنا تظهر العلاقة بين عقيدتي الطبقية والتناسخ.

المبحث الأول / عقيدة الطبقية بين الهندوسية واليهودية وموقف الإسلام منها:

الطبقية: اسم مؤنّث منسوب إلى طبقة، والطبقة في المجتمع هي الفئة التي تتشابه في درجة العمل، ونمط المعيشة، ومأثور الخُلق والعادة، وهي -بعد الأسرة- أكثر الوحدات الاجتماعية ذِكْرًا، وأكبرها خطرًا في العصر الحاضر(2).

والمتأمل في عقيدة الطبقية عند الديانتين -الهندوسية واليهودية- يجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بينهما، وبيان ذلك كما يأتي:

المطلب الأول / عقيدة الطبقية بين الهندوسية واليهودية:

لم يُعرف في تاريخ الأمم تمييز طبقي عنصري، أعظم قسوة، وأشد استهانة بشرف الإنسان وكرامته، كما عُرف عند الهندوسية واليهودية، ولم يتغير هذا عندهم رغم مرور آلاف السنين.

وسأبدأ بالحديث عن عقيدة الطبقية عند الهندوسية ثم عند اليهودية، مبينًا مظاهر التشابه بينهما، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الطبقية عند الهندوسية:

يعدُّ المجتمع الهندوسي مجتمعًا شديد الطبقية(3)، بالغ التعصب، فبينما يتمتع أناسٌ فيه بمقام الآلهة، يخوض آخرون أوحال الذل والمهانة، وهذا التمييز الطبقي ليس نتيجة سلطة ظالمة توشك أن تزول، بل هو بمقتضى دينهم قدر إلهيّ وأمر ربانيّ لا يمكن الفكاك منه(4)، وإيضاح ذلك كما يأتي:

1. الطبقات الرئيسة في الديانة الهندوسية:

يعتقد الهندوس أنهم ليسوا على طبقة واحدة في المجتمع، ولا على مستوى واحد في الإنسانية، بل ليسوا أحرارًا متساويين في الوظائف والأعمال التي يزاولونها، فهناك نظام يربط بأحكام وتسلط بين الطبقة والعمل الملائم لها في المجتمع، فطبقة عملها أرقى الوظائف والأعمال في المجتمع الهندوسي، وأخرى

---

(1) انظر: الموت والخلود في الأديان المختلفة، عزت زكي (ص146).

(2) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2/551)، والتفرقة العنصرية، عاشور (ص131).

(3) تقسيم المجتمع إلى طبقات متفاوتة نظام قالت به جميع الأمم، وجميع الديانات إلا الإسلام، فالمصريون والفرس وقبائل أفريقيا والهندوس واليهود، وغيرهم من أمم الأرض قسموا أنفسهم إلى طبقات، واختصوا كل طبقة بعمل من الأعمال. انظر: مُنْتُو سْمِرِيْتِ (ص36)، من تعليق المترجم.

(4) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (2/998).

عملها الخدمة فقط، فهم خدمٌ للطبقات الأعلى، وهكذا كل طبقة لها عملها ووظيفتها المحددة سلفًا من الإله براهما كما يعتقدون، فهو الذي خلق هذه الطبقات الأربع من أعضائه المختلفة، وجعل لكل منهم أعمالًا ووظائف معينة، ينبغي عليهم ممارستها لكون مصلحة العالم تتوقف على ذلك (1).

وجاء في كتاب غيتا(2) التأكيد على أنه «يجب على كل فرد ممارسة عمل طبقته الأصلي، ولو لم يكن فيه الخير، فهو أفضل له من أعمال الطبقات الأخرى ولو أتقنها، لأنه لا يقع الإثم على من يعمل عمله الأصلي أبدًا»(3).

والطبقات الرئيسة في الهندوسية أربع طبقات، هي:

الطبقة الأولى البراهمة:

وهم أعلى طبقات المجتمع الهندوسي، ومن ذوي اللون الأبيض، يتمتعون بأكرم مكانة، وأوفر حظ من الحقوق، وهم الكهنة والرهبان، والمرجع في الأمور الدينية والحياتية، كالميلاد والزواج والوفاة، وتقريب الذبائح والتقدمات التي لا تقبل من الناس إلا عن طريقهم(4)، ولهم حق تشريع الأخلاق والعادات، والحكم في قضايا الناس؛ ولأنهم حفّاظ النصوص المقدّسة؛ فقد اتخذوا أحكام ا دينية تضمن لهم السيادة على سائر الطبقات في جميع مجالات الحياة(5)، واعتقدوا أن الإله الخالق خلقهم من وجهه الذي هو أكرم الأعضاء وأسماها وأطهرها(6).

والبراهمة يتمتعون بالامتيازات العنصرية غير الممنوحة لغيرهم من أهل الطبقات أو الطوائف الاخرى، حيث يتنعمون بخيرات البلاد، وهم لا يعملون، تخدمهم الطبقات الأخرى، وكأنهم فوق مستوى البشر،(7)، وكل ما في العالم ملك للبراهمة؛ لأن براهما خلقهم من وجهه(8).

وإذا افتقر البرهمي حُق له أن يمتلك مال الشودري الذي هو عبد له دون مقابل(9)، ولا يُؤذى البرهمي في بدنه حتى إن ارتكب جريمة قتل؛ لأن جسمه مقدّس، لا يجوز لمسه، ويجب تعظيمه في جميع الأحوال، ولو عمل كل الأعمال الدنيئة والسافلة(10).

---

(1) انظر: غيتا (ص138)، وأديان الهند الكبرى، شلبي (ص55).

(2) يُعدُّ غيتا من أهم الكتب المقدسة عند الهندوسية ، يجله الهندوس إجلالًا كبيرًا، وهو يعتبر بالنسبة لهم كالعهد الجديد عند النصارى، ويسمحون بقراءته لكل الناس. انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (1/436).

(3) غيتا (ص139).

(4) انظر: الهندوسية، محمد العلي (ص388)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (2/993).

(5) انظر: مُنُوْ سْمْرِيْ (ص573)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص94).

(6) انظر: مُنُوْ سْمْرِيْ (ص37)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (2/995).

(7) انظر: مُنُوْ سْمْرِيْ (ص559)، و (ص622)، وحضارات الهند، غوستاف لوبون (ص324)، وقصة الحضارة، ول ديورانت (3/166).

(8) انظر: مُنُوْ سْمْرِيْ (ص39)، وغيتا (ص138)، وقصة الحضارة، ول ديورانت (3/165).

(9) انظر: حضارات الهند، غوستاف لوبون (ص297).

(10) انظر: مُنُوْ سْمْرِيْ (ص491)، و (ص573)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (2/1003).

وكفارة قاتل البرهمي بالخطأ هي أن يبني القاتل لنفسه كوخًا في الغاب، ويسكن فيه، ويجعل جمجمة المقتول البرهمي أمامه علمًا له، أو يجعل نفسه هدفًا للسهام حتى يموت، أو يلقي بنفسه في النار حتى يحترق ويموت، ومن سرق من مال البرهمي يُقتل وتقطع أعضاؤه(1).

الطبقة الثانية:

طبقة الكشتريا، وتتكون هذه الطبقة من المحاربين(2)، ومنها يُنصَّب الملك، وكبار مسؤولي الدولة، وقضاتها، وحكامها، ولهم حق الاحترام والطاعة على الجميع، وعليهم حق رعاية شعبهم، والدفاع عن وطنهم من الأعداء، وأفضل الأعمال للكشتري هي القيام بأمور الحرب، ولا يمارسون حرفة أو عملًا آخر(3).

وتذكر الكتب الهندوسية أن الإله براهما خلق الكشتريا من ذراعيه التي هي رمز القوة والبطش(4).

الطبقة الثالثة:

طبقة الويشيا، وهم طبقة المزارعين والتجار والصناع ومربي المواشي، ويقع على عاتقهم الأمن الغذائي، وتأمين الرخاء والاستقرار المعيشي(5)، ويعتقدون أن الويشا خلقوا من فخذ الإله برهما، ويجب عليهم الخضوع للطبقتين السابقتين -البراهمة والكاشتريا-(6).

الطبقة الرابعة طبقة الشودرا:

وهم الخدم والعبيد والعمال، وأصحاب المهن الرذيلة(7)، ويجب عليهم الرضا بما هم عليه، فأصبحوا أذلاء، وفرضت أقسى العقوبات على كل من يحاول منهم الخروج من طبقته؛ بأن يصب عليه الزيت الحار أو يدخل خنجر في فمه(1)، وتدعي كتب الهندوس المقدّسة أن براهما خلق هذه الطبقة من قدمه(8).

ويعتقد الهندوس أن الشودري يولد عبدًا ويبقى عبدًا إلى أن يموت، وأن نجاسته نجاسة حسية، فلا يقترب من أفراد الطبقات العليا، وأن حياة الشودري لا قيمة لها، حيث يجوز قتله دون مطالبة منه بدية، ولو طولب فبشيء يسير إضافة إلى غيره من أفراد الطبقات الأخرى، وإذا ارتكب المعاصي أو الجرائم يعاقب أضعاف ما يعاقب عليه أفراد الطبقات العليا(9)، وإذا أهان الشودري أحدًا من أصحاب الطبقات الثلاث يعاقب بقطع

(1) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص639-632).
(2) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/23).
(3) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص389-364)، وأديان الهند الكبرى، شلبي (ص57).
(4) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص19)، وغيتا (ص138).
(5) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص576)، وغيتا (ص139)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (2/994).
(6) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص19)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص99).
(7) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص19)، وحضارات الهند، غوستاف لوبون (ص297)، وأديان الهند الكبرى، شلبي (ص29-28).
(8) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص499)، و (ص577)، وحضارات الهند، غوستاف لوبون (ص303).
(9) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص19)، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، البيروني (ص71).

لسانه[1]، ولا حظَّ للشودري في التعليم، ولا في مطالعة كتب الويدات، ولا يتلفظ بشيء منها، ومن يفعل ذلك يُقطع لسانه، ويُصب الزيت الحار في فيه، وأُذُنه، ولو حفظ شيئًا منها قطع جسدهُ نصفين[1].

ولا يجوز له جمع المال، حتى ولو كان قادرًا على ذلك؛ لأن بجمعه المال يؤذي البراهمة بعمله هذا، ومن ملك شيئًا من المال فهو لسيده البرهمي يسلبه منه متى شاء[2]، ولا يتولى الشودري الأعمال الوظيفية غير خدمة الطبقات الأخرى، وسعادته متوقفة على خدمة الطبقات العليا[3].

ومما سبق يتضح، أن نظام الطبقات الهندوسي نظام عنصري قاسٍ ظالم، قائم على التفرقة العنصرية، وقد ربط مؤلفو كتبهم المقدسة هذا التقسيم العنصري بمصادر الديانة الهندوسية، وصبغوه صبغة دينية، وألبسوه لباس القداسة الإلهية، لتكريس هذا التقسيم، بحيث يصبح ضربة لازب، وقدرًا حتميًا لا مفرَّ منه، بل يصبح كل فردٍ ملتزمًا به مهما كان حظّه ونصيبُه، ولو كان من طبقة الخدم والعبيد، فأُبعدَت الطبقة الوضيعة كالخدم، والعبيد، والمغلوبين، عن مرافق الحياة، بدعوى نجاستهم[4].

2. طائفة المنبوذين:

وبعد هذه الطبقات الأربع، التي يتكون منها جميع الذين يدينون بالهندوسية، يجيء المنبوذون عند الهندوس، وهم في الأصل فريق من سكان بلاد الهند الأصليين حالت وضاعتهم دون اعتبارهم حتى من الطبقة الرابعة من طبقات الهندوسية.

فمنذ التقاء التورانيين[5]والآريين[6] بالسكان الهنود الأصليين، فرضوا عليهم لغتهم وديانتهم وطرق حياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ومنعوا التوراني والآري من الاختلاط بالهنود الأصليين أهل البلاد، والتزاوج معهم؛ اعتقاداً منهم بعلو جنس التوراني والآري وسلالته، بل ساقوا السكان الأصليين ذوي الألوان الغامضة والسوداء إلى الغابات والجبال والأماكن البعيدة، وأخذوا بعضهم عبيدًا، وحمّلوهم الأعمال الشاقة، وسمّوهم أمة العبيد والمنبوذين، وحرموهم من حقوق الإنسان، وتُركوا هكذا في حياة بدائية مريرة[7].

ومن ثم كان أهل البلاد ثلاثة أجناس: الآريون، ثم التورانيون، ثم يأتي في المؤخرة الهنود أهل البلاد، أما الآريون فكانوا الأعلى، وكان منهم طبقتا البراهمة، والكاشتريا، يليهم في المرتبة التورانيون، وكان منهم

(1) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص468)، وقصة الحضارة، ول ديورانت (3/166).

(2) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص610)، والهندوسية، محمد العلي (ص430).

(3) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص37)، و (ص577).

(4) انظر: النظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص82).

(5) التورانيون: مجموعة من القبائل الجبلية البربرية التي تدفقت من جبال بلوشستان وأفغانستان، وقد توغلت في الهند قبل نزوح الآريين بقرون طويلة. انظر: حضارات الهند، غوستاف لوبون (ص102)، وأديان الهند الكبرى، شلبي (ص22).

(6) الآريون: من الأقوام الذين دخلوا الهند القديمة قبل ميلاد المسيح بخمسة عشر قرنًا تقريبًا، وغلبوا الدراوديين واستولوا على أراضيهم، وسموا أنفسهم بالآريين ليعنوا بها النبيل أو السميد أو الشريف النسب. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/19).

(7) انظر: حضارات الهند، غوستاف لوبون (ص291).

والشودرا، وإلى هنا تنتهي الطبقات الأربع[1]، أما أهل البلاد فهؤلاء ليسوا طبقة من طبقات الهندوسية، بل المجتمع الهندوسي حرمهم من حقوقهم، فليس لهم حق اجتماعي، ولا لهم كرامة بين الناس فجردوا من جميع الخصائل الإنسانية، فهم كالحيوان بل أذل منه[2].

3. منزلة المرأة في الهندوسية:

للمرأة في الديانة الهندوسية منزلة متدنية جدًا، وتُحتقر بصورة فجّة، إلى حد أنها تقترب أن تكون خادمة في البيت الذي تعيش فيه، بل إن الخادمات لهن حرية التصرف فيما يأخذن وفيما يدعن، لكن المرأة الهندوسية مجردة عن القيمة الإنسانية، وتذوق الظلم والجور والتمييز العنصري في جميع مجالات الحياة[3]، حيث «يجب على المرأة، وهي صغيرة أو شابة، أو مسنّة، ألا تعمل عملًا، ولو في دارها، بمطلق إرادتها وحريتها»[4].

ومنعت التعاليم الهندوسية الرجل من انفراده بالمرأة مطلقًا وإن كانت أمه أو أخته أو بنته لكي لا يقع في إغرائها[5]، ولا ينبغي له أن يأكل مع زوجته في صحن واحد[6]، ولا أن يحبها؛ لأنها لا تستحق ذلك لكونها معدودة في زمرة العدو والفساق والسارقين[7].

وعدّوا من مات عنها زوجها، منبوذة إلى الأبد، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوان، وجعلوها مصدرًا لكل شؤم، ومدنّسة لكل شيء تمسه، وعليها إذا رضيت أن تعيش بعد زوجها[8] أن تحلق رأسها، أو تجدع أنفها، أو تشوه وجهها، لكي تضمن ألا ينظر إليها بعد زوجها رجل آخر[9].

وبلغ الافراط في امتهان المرأة أنهم وصفوها بالعاصية، وعدوها رمزًا للشقاوة والتعاسة، وجعلوها نجسة كاذبة، وأن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي خير منها[10].

وبلغت إهانة المرأة والعبث بكرامتها أنها كانت تُقدم قربانًا للآلهة من أجل كسب رضاها[11].

---

(1) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة (ص195).

(2) انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص58)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص100).

(3) انظر: حضارات الهند، غوستاف لوبون (ص646)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (1261-3/1250).

(4) مَنُوْ سْمْرِيْ (ص310).

(5) انظر: المرجع السابق (ص107)، والمرأة في القديم والحديث، عمر كحالة (1/138).

(6) انظر: مَنُوْ سْمْرِيْ (ص215)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (3/1251).

(7) انظر: مَنُوْ سْمْرِيْ (ص252)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص259).

(8) لم يكن للمرأة الهندوسية حق الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تُحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر ميلادي. انظر: حضارات الهند، غوستاف لوبون (ص647-646).

(9) انظر: المرأة في القديم والحديث، عمر كحالة (1/141)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص260).

(10) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/178)، والمرأة في القديم والحديث، عمر كحالة (1/137).

(11) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/108).

ثانياً: الطبقية عند اليهودية:

من المعالم البارزة عند اليهود الاستعلاء الطبقي والتمييز العنصري، حتى أصبح ذلك الأمر واضحًا عند الشعوب قديمًا وحديثًا، حيث ينظر اليهود إلى أنفسهم أنهم مختارون ومفضلون على الناس جميعًا، ويعتقدون أن هذا التفضيل جاء بناءً على اختيار واصطفاء من الله -عز وجل-(1) ويستشهدون على ذلك بنصوص كثيرة من أسفار العهد القديم(2)، منها:

ما جاء في سفر الخروج: «الآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً»(3).

وأيضًا ما ورد في سفر التثنية: «لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»(4).

وجاء في سفر اللاويين: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ»(5).

وتؤكد هذه النظرة وتعززها نصوص التلمود، وأقوال الحاخامات(6)، فالتلمود يقول: «إسرائيل غالية، لأنها تدعى بأبناء الشعب المقدس»(7).

ويقول أيضًا: «أيها اليهود، أنتم تدعون بالرجال، وليس غير اليهود»(8).

ويقول الحاخام عقيبا(9): «بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة: «أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ»(10).

ويقول الباحث اليهودي موسى هس(11): «إن العرق اليهودي من العروق الرئيسة في الجنس البشري، وقد

---

(1) انظر: العنصرية اليهودية، الزغيبي (1/137)، وأثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، القثامي (ص121).

(2) إن أسفار العهد القديم في عمومها أسفار عنصرية، غايتها تمجيد العنصر اليهودي.

(3) سفر الخروج (6-5:19).

(4) سفر الثنية (6:7).

(5) سفر اللاويين (24:20).

(6) الحاخام: كلمة عبرية، تعني الرجل الحكيم، أو رجل دين يهودي تمّ تنصيبه، وكانت تطلق في الأصل على المعلم الفريسي، ويعدُّ الحاخام حجة في القوانين اليهودية. انظر: الموسوعة العربية العالمية (9/19).

(7) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط (/51).

(8) المرجع السابق (ص51).

(9) هو عقيبا بن يوسف، حاخام يهودي من معلمي المشنا، له شهرة كبيرة بين اليهود، يقال لولا عمل عقيبا لما كان هناك تلمود، مات في قتال الرومان، سنة 135م. انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص94).

(10) أبحاث في الفكر اليهودي، ظاظا (ص111)، والفقرة التي استشهد بها في سفر التثنية (1:14).

(11) موسى هس، ألماني، اشتراكي، كان صديقًا لكارل ماركس، دعا إلى إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين، له كتاب: روما والقدس، توفي سنة 1875م. انظر: معجم المصطلحات الصهيونية، افرايم ومناحيم تلمي (ص139).

حافظ هذا العرق على وحدته، على الرغم من التأثيرات المناخية عليه، كما حافظت السمة اليهودية على نقائها عبر العصور»(1).

ويتمادى اليهود فينسبون الصلاح المطلق لأنفسهم، وأن الباري -عز وجل- يفاخر بهم، يقول التلمود: «لكل إسرائيل نصيب في العالم الآتي، وقومك كلهم صالحون، وسيرثون الأرض إلى الأبد، لأنهم فرع غرسي، صنع يدي للافتخار»(2).

وإذا كان الأمر كذلك، فإن من يعتدي على يهوديّ يكون قد ارتكب معصية عظيمة، وذنبًا لا يغتفر، وجزاؤه القتل، جاء في التلمود: «إن الإسرائيلي معتبرٌ عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمميٌّ(3) إسرائيليًا فكأنه ضرب العِزة الإلهية»(4)، وجاء أيضًا: «أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، واليهود من عنصر الله، كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودي، كأنه يصفع الله»(5).

وقد نسب التلمود إلى موسى -عليه السلام- تنفيذه لهذا الحكم، حيث يقول: «يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيليًا، لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصريًا لأنه ضرب يهوديًا»(6).

ويعود أصل الاختلاف بين اليهود وغيرهم إلى الاختلاف في أصل الخلقة(7)، فالتلمود يقرر أن هناك اختلافًا كبيرًا في أصل خلقة اليهود وغيرهم؛ فالأرواح تختلف، وكذا النطف، فأرواح اليهود منبثقة من الله، كما أن أرواح غيرهم منبثقة من الشيطان، جاء في التلمود: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات...وأن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات»(8).

وفي نص آخر يرى التلمود أن «لحم الأمميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات...والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب»(9).

وهذه النظرة الطبقية البغيضة إنما تُري كيف أن اليهود نظروا إلى غيرهم من البشر نظرة الاحتقار والدونية، ووضعتهم في أحط منزلة، بل إنها لا تساويهم حتى بالحيوانات في كثير من الأحيان.

---

(1) العنصرية اليهودية، الزغيبي (4/208).

(2) التلمود أصله وتسلسله وآدابه، شمعون مويال (ص112).

(3) يقسم اليهود بني البشر إلى قسمين، هما: القسم الأول: اليهود، وهم -عند نفسهم- شعب الله المختار، والقسم الثاني: الأمميين أو الجوييم، وهم غير اليهود من بقية البشر، وقد اقترنت كلمة الأمي أو الجوييم في عقول اليهود بالاحتقار والقذارة والنجاسة. انظر: أبحاث في الفكر اليهودي، ظاظا (ص109).

(4) الكنز المرصود في قواعد التلمود، أوغست روهلنج (ص51).

(5) المرجع السابق (ص51).

(6) المرجع السابق (ص51).

(7) انظر: همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنّا مسعد (ص54)، أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، القثامي (ص154).

(8) الكنز المرصود في قواعد التلمود، أوغست روهلنج (ص46).

(9) المرجع السابق (ص53-51).

إن تلك النصوص المبثوثة في تلمودهم ليست أقوالًا مجردة، بل هي عقائد تتحكم في سلوك اليهود، وتجري مجرى الدم في عروقهم، فاليهودي المعاصر هو الحصاد المباشر للتلمود، وحنظلته المرُّة.

ويعدُّ هذا التمايز ورفض الآخر من أهم المشاكل اليهودية، وأسوأ أنواع الطبقية في العالم، حيث وكما يقول القس منيس عبدالنور(1): «فَهِم اليهود خطأ أن اختيار الله لهم، يعني أنهم الشعب المتميز عن غيره من الشعوب، والأعلى فوقهم جميعًا، ولم يدركوا أن الهدف من اختيارهم هو تخصيصهم للكرازة(2) لكل الأمم، ولكنهم لم يفهوا هذا الهدف من الاختيار، فتعالوا على سائر الشعوب»(3).

والبحث هنا ليس مسلطًا على موقف اليهود من غيرهم، بل على النظرة الطبقية داخل المجتمع اليهودي نفسه، فيوجد في المجتمع اليهودي مظاهر تمييز بعض طبقات المجتمع عن بعض، ومن تلك المظاهر، ما يلي:

1. التمييز بين اللاويين وعامة اليهود:

لا تقتصر الطبقية عند اليهود على غير اليهودي فحسب، بل إنهم يميزون بين اليهود أنفسهم فهم يميزون بين اللاويين(4)، وعامة اليهود، وهذا التمييز واضح في توراتهم، حيث أنزل اليهود اللاوي منزلة البرهمي عند الهندوس، واختصته بما اختص به البرهمي من أعمال، واعتبرته أفضل البشر، وفي العهد القديم سفر كامل باسم اللاويين.

ومما جاء في ذلك أن امرأة من السامرة جاءت لتستقي الماء، فقال لها المسيح -عليه السلام-: «أَعْطِينِي لأَشْرَب؛ فَقَالَتْ لَهُ المَرْأَةُ السَامِرِيَّة: كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي أَنْ تَشْرَب، وأَنْتَ يَهُودِيّ، وأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّة؟ قَالَتْ هذَا، لأَنَّ اليَهُودَ لا يُخَالِطُونَ السَامِرِيّين»(5)، فمعظم اليهود اللاويين ينظرون للسامريين وغيرهم من عامة اليهود على أنهم أجانب وأعداء لهم.

وجاء في سفر العدد: «وَمَتَى فَرَغَ هَارُونُ وَبَنُوهُ مِنْ تَغْطِيَةِ الْقُدْسِ(6) وَجَمِيعِ أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ، يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ بَنُو قَهَاتَ(7)

(1) هو منيس عبدالنور ميخائيل، أحد أشهر رموز الكنيسة الإنجيلية (البروتستانتية) في مصر، وله العديد من المساهمات والكتب، من أشهرها: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس. انظر: قاموس التراجم القبطية، جمعية مارمينا (ص226).

(2) الكرازة من الكَرْز:: وهي كلمة سريانية، تعني وَعَظَ ونادى، وهي عندهم الوعظ والتبشير علانية بالحقائق المسيحية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية، أثناسيوس المقاري (3/163).

(3) تأملات في سفر المزامير، القس منيس عبدالنور (2/490).

(4) اللاويون،: نسبة إلى سبط لاوي، الابن الثالث ليعقوب من زوجته ليئة، وقد اختارهم الرب لخدمته، وتأتيهم إعانات من الشعب والغنائم. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (7/14).

(5) إنجيل يوحنّا (9:4).

(6) قهات: اسم الابن الثاني من أولاد لاوي بن يعقوب، وقد أسند لهم حمل التابوت على أكتافهم. وحرموا لمس التابوت. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (6/253).

(7) خيمة الاجتماع: عبارة عن مسكن الرب عند اليهود تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهي خباء كان يحمله اليهود القدامى في تجوالهم، وكانت تقام خارج المضارب ليسكن الإله فيها بين شعبه، ويجتمع فيها اليهود بالله لعبادته، وتقديم القرابين والذبائح له، كما يزعمون، ولها عدة أسماء في الكتاب المقدس، منها المسكن، خيمة الشهادة، بيت الإله. انظر: المرشد إلى الكتاب المقدس، سيكل سيل (1/66)، ودائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (3/370).

لِلْحَمْلِ وَلكِنْ لاَ يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. ذلِكَ حِمْلُ بَنِي قَهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ(1)»(2) ، فإذا لمس أي شخص من بني قَهَات مُقدّسات الخيمة، فإن جزاءه الموت، لأنه بلمسه لها تتنجس(3).

2. نجاسة الأبرص والتشهير به:

هناك عند اليهود شريعة التشهير بالأبرص، جاء في سفر اللاويين: «والأبرَصُ الذي بِهِ البَلوى يَلبَسُ ثيابَهُ مَشقُوقةً، ويكشِفُ رأسَه، ويُغَطِّي شارِبَيهِ ويُنادي: نَجِسٌ، نَجِسٌ. ما دامت بِهِ البَلوى يكونُ نَجِسًا، ويسكُنُ مُنفرِدًا وفي خارِجِ المَحلَّةِ»(4).

وجاء في سفر العدد: «وَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُوا مِنَ ٱلْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْلٍ، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ ٱلْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلَا يُنَجِّسُوا مَحَلَّاتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِمْ»(5)

لقد كان الأبرص يعاني معاناة شديدة؛ جراء إصابته بالبرص، وهو مرض ليس للشخص رأي فيه، فهو يصاب به ابتلاء من الله -تعالى-.

فالأبرص لا يقترب من اليهودي المُصح، ولا يَدخل كنيسة، ولا يَقترب من بئر، ويُحرم من الميراث، ويُمنع من التمتع بأملاكه، ويُمزّق ثيابه، ويَكشِف رأسه، وإذا وقف الأبرص تحت شجرة، ومر بها إنسان طاهر فإنه يتنجس! وهذا فيه من الإذلال لكرامة الإنسان والتشهير به ما لا يخفى(6).

3. عقيدة شعب الله المختار:

لقد حصر اليهود شعب الله المختار في اليهود الغربيين فقط، والمقيمين منهم في إسرائيل بشكل خاص، ولا زال اليهود الغربيون ينظرون إلى اليهود الشرقيين خاصة من يتكلم اللغة العربية نظرة احتقار، ويقاومون كل محاولات المساواة بينهم وبين اليهود الشرقيين(7).

وهذا يُكذّب ما تدعيه وسائل إعلامهم من أن اليهود يتقلبون في نعيم الديمقراطية والعدل على اختلاف

(1) خيمة الاجتماع: عبارة عن مسكن الرب عند اليهود تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهي خباء كان يحمله اليهود القدامى في تجوالهم، وكانت تقام خارج المضارب ليسكن الإله فيها بين شعبه، ويجتمع فيها اليهود بالله لعبادته، وتقديم القرابين والذبائح له، كما يزعمون، ولها عدة أسماء في الكتاب المقدس، منها المسكن، خيمة الشهادة، بيت الإله. انظر: المرشد إلى الكتاب المقدس، سيكل سيل (1/66)، ودائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (3/370).

(2) سفر العدد (15:4).

(3) انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (6/253).

(4) سفر اللاويين (45:13).

(5) سفر العدد (3-2:5).

(6) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، وليم مارش (2/88).

(7) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة (ص191).

أصولهم وألوانهم ومذاهبهم الطائفية، فالمجتمع اليهودي يتشكل من طوائف وعرقيات مختلفة، موزعين بين الأشكناز الغربيين(1)، والسفارديم الشرقيين(2)، والمهجرين الروس الجدد، ويهود الفلاشا(3)وغيرهم، الذين استجلبوا للاستيطان في فلسطين، بادعاء تأسيس وطن قومي لليهود فيها، ولكنهم لاقوا الاضطهاد والعنصرية هناك(4).

فالمجتمع اليهودي منقسم، والفوارق بينهم واضحة، وتحديدًا بين الطائفتين الرئيستين: الأشكناز الغربيين، والسفارديم الشرقيين، حيث يتعالى اليهود الأشكناز على اليهود السفارديم لدرجة أنهم لا يخالطونهم في معابدهم، ولا يزوجون بناتهم بهم، ويرفضون أن يدرسوا معهم في مدرسة واحدة، ويتظاهرون من أجل ذلك(5)، ومن أبرز مظاهر هذه التفرقة العنصرية بين هاتين الطبقتين(6)، ما يلي:

- أولًا: التفرقة في الوظائف، حيث يحتل اليهود الأشكناز معظم الوظائف، وخصوصًا الوظائف العليا، مع أن هذا لا يتناسب وعدد سكان السفارديم الأكثر عددًا.
- ثانيًا: يسكن غالب السفارديم في بيوت متواضعة، بينما يسكن الأشكناز في بيوت فاخرة.
- ثالثًا: يمتهن السفارديم أحط الأعمال، وقد عبر أحد اليهود الشرقيين، بقوله: «إن الأشكناز يريدون بقاءنا في الدرك الأسفل، بينما نحن القاعدة، وهم رأس الهرم، نحن نأتي إلى إسرائيل هربًا من التفرقة، ولا نجد بديلًا عنها سوى التفرقة»(7).

فالتفرقة والتعصب ضد اليهود الشرقيين ينعكسان على أحوالهم المادية والاجتماعية، فهم أدنى درجات السلم الاجتماعي في إسرائيل(8).

ولا يحتاج الباحث إلى طول عناء لاكتشاف هذه الحقيقة، فانتخابات البرلمان اليهودي، ورئاسة الوزراء، والمناصب العليا في الدولة، والجيش والمؤسسات، غالبًا بيد اليهود الغربيين الأشكناز(9).

هذا داخل المجتمع اليهودي الذين ادعوا الاصطفاء، فلا تجد بينهم إلا التفرقة والتمييز.

---

(1) الأشكناز: اليهود الغربيون، استقروا في شمال أوروبا وشرقها، وقد اتسعت دلالة هذا المصطلح حتى شملت يهود الغرب عمومًا مع أن بعضهم من أصول شرقية سفاردية، ويمثلون أقطاب الصهيونية الحديثة. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (1/331)، والعرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص337).

(2) السفادر: اليهود الشرقيون، وهم يهود أسبانيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وكلمة سفارد تشير إلى مكان شمال فلسطين، نُفي إليه اليهود بعد السبي البابلي. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (4/380)، والعرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص337).

(3) يهود الفلاشا: هم طائفة اليهود السود، يعيشون في أثيوبيا، ولقد ابتدأت الحكومة الإسرائيلية بالتعاون مع الحكومة الأثيوبية بنقل يهود الفلاشا الأحباش إلى إسرائيل منذ عام 1405هـ، في عملية أطلق عليها عملية موسى، لكن أولئك المهجرين لم يجدوا الترحيب من المستوطنين اليهود، على اعتبار أنهم زنوجًا؛ مما يدل على عمق الاختلاف بين اليهود. انظر: الحياة اليهودية بحسب التلمود، روفائيل البرموسي (ص26).

(4) انظر: العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص337)، والشخصية الإسرائيلية، ظاظا (ص35)،

(5) انظر: العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص338).

(6) انظر: التفرقة العنصرية، عاشور (ص45).

(7) أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة (ص193).

(8) انظر: المرجع السابق (ص193).

(9) كأمثال: حاييم وايزمان، ودافيد بن غوريون، وناحوم سوكولوف، موشى شاريت...وغيرهم كثير.

3. زواج الكهنة يختلف عن غيرهم:

الكاهن[1] في معتقد اليهود لا يتزوج إلا بكرًا، مع شرط أن تكون يهودية[2]: «وعلى الكاهنِ أنْ يأخُذَ امرأةً بِكْرًا مِنْ قومِهِ. لا مُطلَّقةً ولا مُدنَّسةً فُضَّتْ بَكارتُها ولا زانيةً. لئلاَّ يُدنِّسَ نسلَه بَينَ قومِهِ»[3]، وهذا التشريع في حصر زواج الكهنة من اليهوديات الأبكار؛ يظهر أن سببه تميز نسلهم عن غيرهم من اليهود[4].

وهذا التمايز الطبقي في زواج الكهنة عند اليهود، هو صورة مطابقة تمامًا لواقع زواج البراهمة عند الهندوسية، حيث إن البراهمة -وهم أعلى طبقات المجتمع الهندوسي- لا يتزوجون إلاّ من طائفتهم، وإن تزوج أحدهم من غير طائفته، فهو مهتوك السّتر، ويُطرد من طائفته[5].

4. قوامة الرجل على المرأة:

تعدُّ قوامة الرجل على المرأة عند اليهود قوامة نافذة، وتصبح ضمن ممتلكاته، وعليها السمع والطاعة المطلقة؛ إذ أن خضوعها للرجل ليس إلا عقوبة إلهية لها بسبب إغوائها لآدم في الجنة[6]، فقد جاء في سفر التكوين أن الرب قال للمرأة: «أزيدُ تعَبَكِ حينَ تَحبَلينَ، وبالأوجاعِ تَلِدينَ البَنينَ. إلى زَوجِكِ يكونُ اشتياقُكِ، وهوَ علَيكِ يسودُ»[7].

ويقول بولس الفغالي[8]: «لم يلعن الله المرأة: كما لعن الحيّة، بل جعلها تحسّ بنتائج الخطيئة القاسية عبر عذابات الأمومة وتسلّط رجُلها عليها، كانت المرأة مساوية للرجل قبل الخطيئة، فخسرت هذه المساواة بسبب الخطيئة الأولى، صار زوجها مسلّطًا عليها، فخسرت صفة المساعد والعون لتصير تحت إمرة الرجل في الحياة الماديّة والاجتماعية والزوجية والعائلية...يصير الواحد خادمًا وعبدًا للآخر، إن لم يكن سلعة بين يدية يشتريها أو يتخلص منها بحسب إرادته»[9].

ومن آثار القوامة عند اليهود والتي تحط من قيمة المرأة؛ أنها لا تحتفظ بنسبها إلى عائلتها بعد زواجها

(1) الكاهن: هو رجل المعبد، كان يحرس التابوت في العصر القديم، ويرأس الطقوس أثناء الأعياد اليهودية، ويقوم بالخدمات الدينية وبخاصة تقديم الذبائح على المذبح، والعمل وسيطًا بين الناس والله تعالى. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (6/402)، وقاموس الكتاب المقدس (ص536).

(2) انظر: التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط (10/369)، والحياة اليهودية بحسب التلمود، روفائيل البرموسي (ص22).

(3) سفر اللاويين (14-13:21).

(4) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم وليم مارش (2/152).

(5) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني (ص429).

(6) انظر: الحياة اليهودية بحسب التلمود، روفائيل البرموسي (ص52).

(7) سفر التكوين (16:3).

(8) الخوري بولس الفغالي، من أبرز اللاهوتيين العرب المعاصرين، شارك في الترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس، ينتمي لطائفة الموارنة في لبنان. انظر: ترجمته في موقعه الخاص أعمال ومؤلفات الخوري بولس الفغالي.

(9) سفر التكوين تاريخ الكون والإنسان، بولس الفغالي (ص74).

بـل تنسـب إلـى زوجهـا وعائلتـه(1)، كذلـك ليـس للمـرأة اليهوديـة المتزوجـة أن تديـر أموالهـا بنفسـها، ولا أن ترث زوجها، وهو يرثها(2).

أمـا المـرأة الأرملـة أو المطلقـة فـلا تجـد عنـد اليهـود إلا الاحتقـار، بـل ويُحرّمـون حضورهـا إلـى المناسـبات التعبدية، ولا يجوز للكهنة والقديسين أن يتزوجوا منهما، ويرون نجاستهما(3).

وهـذه النظـرة اليهوديـة البغيضـة للمـرأة المطلقـة أو الأرملـة، لا تبتعـد عـن نظـرة الهندوسـية إليهـا، فهـي عندهم نجسة، ومن لمسها يكون نجسًا، وكل ما تلمسه أو تجلس عليه يتنجس(4).

4. المرفوضون في جماعة الرب:

قضيـة دخـول أو رفـض الدخـول فـي جماعـة الـرب(5) مـن القضايـا التـي كان يُعاقـب بهـا العهـد القديـم، وكان علـى أثرهـا يُحـرم الشـخص مـن المسـاواة مـع بقيـة المجتمـع اليهـودي، فقـد جـاء فـي سـفر التثنيـة: «لَا يَدْخُـلْ عَمُونِـيٌّ(6) وَلَا مُوآبِـيٌّ(7) فِـي جَمَاعَـةِ الـرَّبِّ، وَلَا أَحَـدٌ مِـنْ ذُرِّيَّتِهِـمْ حَتَّـى بَعْـدَ الْجِيـلِ الْعَاشِـرِ فِـي جَمَاعَـةِ الـرَّبِّ وَإِلَـى الأَبَـدِ، لأَنَّهُـمْ لَـمْ يَسْـتَقْبِلُوكُمْ بِالْخُبْـزِ وَالْمَـاءِ فِـي الطَّرِيـقِ عِنْـدَ خُرُوجِكُـمْ مِـنْ مِصْـرَ...وَلا تَكْرَهُـوا الْمِصْرِيِّيـنَ لأَنَّكُـمْ كُنْتُـمْ ضُيُوفًـا فِـي دِيَارِهِـمْ وَمَـنْ يُوْلَـدُ مِـنْ ذُرِّيَّتِهِـمْ فِـي الْجِيـلِ الثَّالِـثِ يَدْخُـلُ فِـي جَمَاعَـةِ الـرَّبِّ»(8)، فالموآبيـون والعمونيـون وجميـع نسـلهم، محتقـرون عنـد اليهـود، لا يدخلـون جماعـة الـرب، واليهـود مطالبـون بكراهيتهـم، وعـدم الـزواج منهـم؛ أي اعتبارهـم نجسـين، وحرمانهـم مـن التمتـع بمراكـز قياديـة وسـط المجتمـع اليهودي، فليس لهم كامل الحقوق كبقية اليهود(9).

وكذلـك ممـن حُرمـوا الدخـول فـي جماعـة الـرب: الخصـي وابـن الزنـا، «فـلا يدخُـلْ مَرضـوضُ الخِصيتَيـنِ ولا مقطـوعُ العُضْـوِ التناسُـليّ جماعـةَ المُؤمنيـنَ بالـرّبِّ. ولا يدخُـلِ ابْـنُ زِنـىً، ولا أحـدٌ مِـنْ نَسـلِهِ، فـي جماعـةِ المُؤمنيـنَ بالرّبِّ»(10).

---

(1) مثلًا جولدا مائير –رئيسة الوزراء في إسرائيل سابقًا– كان اسمها قبل زواجها جولدا مايوفنز، ولكن بعد زواجها من المدعو مائير سون، سميت على اسم زوجها وأصبح اسمها جولدا مائير.

(2) انظر: مدخل إلى التلمود، أدين شتاينسالتز (ص183)، ودائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (8/198).

(3) انظر: سفر التكوين (35:31)، وسفر اللاويين (14-7:21)، وسفر التثنية (4-1:24).

(4) انظر: مُنْيَةُ سْمُرِيّ (ص163)، و (ص187).

(5) المقصود بجماعة الرب هنا؛ شعب الله أثناء خدمتهم الدينيَّة كالكهانة والقضاء والمراكز القيادية،، والحرمان من دخول جماعة الرب هو حرمانه من هذه الحقوق كاملة فلا يكون كاهنًا أو لا قاضيًا أو قائدًا. انظر: من سينا إلى موآب، بولس الفغالي (ص26).

(6) العمونيون: شعب ينسب إلى بني عمون، وهي كلمة عبرية، بمعنى ابن شعبي، وكانوا يسكنون في القسم الشرقي من البحر الميت. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص191).

(7) الموآبيون: شعب ينتسب إلى مؤاب، وهي كلمة سامية، بمعنى من أبوه؟، وكانوا يسكنون القسم الشرقي من البحر الميت. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص929).

(8) سفر التثنية (9-4:22).

(9) انظر: من تفسير وتأملات الآباء الأولين، التثنية، تادرس يعقوب ملطي (ص304).

(10) سفر التثنية (3-2:22).

والمتأمل في تقرير هذا المعتقد عند اليهودية، يجده أكثر ما يكون مقررًا في الهندوسية، فقد حرّموا على ابن الزنا، ومن كان خصيًا من الدخول في مناسباتهم التعبدية(1).

وهناك صورة أخرى من صور احتقار ابن الزنا عند اليهود؛ وهي أن «اليهود لا يختنون(2) ابن الزنا، ولا يسمحون له أن يتزوج إسرائيلية، ولا أن يدفن في مقبرة شعبه، وهو على ذلك خارج من العهد»(3).

وبذلك طرد اليهود كثيرًا من الناس من جماعة الرب، بسبب نظرتهم العنصرية الضيقة إلى الناس.

5. التعالي على الفقراء:

فكما يتعالى الهندوس على فقرائهم، فإن اليهود كذلك يتعالون على بعضهم البعض، فمنذ بداية تاريخهم وتنكرهم لشريعة موسى -عليه السلام- تعاملوا مع بعضهم البعض بفوقية وكبرياء، وظهر بينهم الأغنياء والفقراء، فالأغنياء لهم حق السلطة، ولهم حق الحياة الكريمة- بينما الفقراء لهم الدونية والاحتقار، وميزوا بين طبقات المجتمع، ولم تفتأ الهوة تزداد اتساعًا بين الأغنياء والفقراء، حتى أصبحوا طبقتين متعاديتين(4)، جاء في سفر حزقيال: «شَعْبُ الأَرْضِ. ظَلَمُوا ظُلْمًا وَغَصَبُوا غَصْبًا، وَاضْطَهَدُوا الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ، وَظَلَمُوا الْغَرِيبَ بِغَيْرِ الْحَقِّ»(5).

6. التمييز ضد العبد والأسود:

كانت ثمة طبقة أخرى في المجتمع اليهودي تفوق الفقراء في البؤس والتعاسة، وهي طبقة العبيد، إذ كان العبد عند اليهود -كما كان عند غيرهم في المجتمعات والشعوب في تلك العصور- يعتبر من أملاك سيده يحق له التصرف فيه كيفما شاء، كأنه مقعد من المقاعد، أو دابة من الدواب، فضلًا عن أخلاق اليهود الشرسة التي كانت تجعل حياة عبيدهم أسوأ من حياة العبيد لدى أي شعب آخر من الشعوب، فكان اليهود يُسخّرون العبيد الذين من جنسهم في أحقر الأعمال، وأكثرها مشقة، حتى أصبح أولئك العبيد أتعس طبقات المجتمع اليهودي(6).

وقد توسع اليهود في إباحة الرق، فلليهودي أن يشتري أخاه اليهودي إذا افتقر، ويكون عبدًا عنده، ويثقب أذنه بالمثقب، وفي ثقب الأذن علامة على الطاعة الكاملة، والخدمة الأبدية(7).

---

(1) انظر: مُنْتُوْ سْتْرِيْ (ص161)، و (ص520).

(2) الختان: قطع لحم غرلة الذكر، وهي إحدى الشرائع اليهودية. انظر: سفر التكوين (10:17)، قاموس الكتاب المقدس (ص337).

(3) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، وليم مارش (1/451).

(4) انظر: التفرقة العنصرية، عاشور (ص46).

(5) سفر حزقيال (29:22).

(6) انظر: سفر اللاويين (46-44:25)، واليهودية، شلبي (ص296)، والعنصرية اليهودية، الزغبي (3/588).

(7) انظر: سفر التكوين (11-1:21)، وسفر الخروج (6-5:21).

كما له أن يسترق أخاه اليهودي إذا سرق ولم يستطع دفع التعويض المحكوم به عليه، جاء في العهد القديم: «إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ. إِنَّهُ يُعَوِّضُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُبَعْ بِسَرِقَتِهِ»(1).

وقد ظهر نوع آخر من أنواع التفرقة العنصرية بين اليهود أنفسهم، وكان على أساس اللون(2)، فقد عمد اليهود الأشكناز إلى اتخاذ اللون أصلًا للتمييز العنصري، لأن اللون الأسود لا يتغير ويبقى ثابتًا، وحينئذ يصلح كأساس للتمييز بين الناس(3)، وقد أدت هذه التفرقة إلى قيام حركة الفهود السود(4) واحتجاجهم على ما يلقونه من سوء معاملة، وتمييز عنصري(5).

وهذه النظرة اليهودية البغيضة للخدم والعبيد هي النظرة نفسُها عند الهندوس لطبقة الخدم والعبيد، فقد أبعدوهم عن مرافق الحياة، بدعوى نجاستهم(6).

7. احتقار العشّارين:

ظهرت في المجتمع اليهودي في عهد خضوع اليهود للرومان فئة يكرهها اليهود ويحتقرونها، وهي فئة العشّارين(7)، وكان من بين فئة العشارين يهودٌ، فكانوا أقسى وأعنف من الرومان على بني جنسهم وأشد منهم شراهة وجشعًا وطمعًا، ولذلك كان اليهود يكرهون أولئك العشارين اليهود أكثر من كراهيتهم للرومان، وقد أصبح لقب العشار عند اليهود مرادفًا لكل ما هو مكروه ودنيء وشرير، وقد عَدُّوهم في حكم الزناة، كما اعتبروهم كفارًا وثنيين، فكانوا لا يخالطونهم، ويمنعوهم من دخول المعابد والمجامع الدينية(8).

وهذا التصور يشبه تمامًا ما ذُكر عن نظرة الهندوس لطائفة المنبوذين، فقد حرموهم من حقوقهم، فليس لهم حق اجتماعي، ولا لهم كرامة بين الناس فجردوا من جميع الخصائل الإنسانية، فهم كالحيوان بل أذل منه.

وفي الجملة فإن تفرقة اليهود بين بعضهم بعضًا هو نتاج طبيعي لعقول امتزجت فيها فكرة الاصطفاء،

---

(1) سفر الخروج (3-1:22).

(2) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة (ص195).

(3) انظر: التفرقة العنصرية، عاشور (ص35).

(4) حركة الفهود السود حركة يهودية يسارية أنشأها يهود إسرائيل الشرقيين عام 1971م، بعد ضغوط وعوامل اجتماعية أبرزها العنصرية من اليهود الغربيين. انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مادة: (حزب الفهود السود).

(5) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة (ص194)، الحياة اليهودية بحسب التلمود، روفائيل البرموسي (ص27).

(6) انظر: انظر: النظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص82).

(7) العشّار: هو من يجبي الضرائب. انظر: دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (5/268).

(8) انظر: إنجيل متّى (11:9)، وإنجيل لوقا (1:15)، ودائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين (5/268).

لباقي الفرق، فيهود الأشكناز يعدون أنفسهم سادة القوم، وأما الباقون فهم رعاع، وباقي الفرق يعدون أنفسهم أنهم هم الشعب المختار، فانشغلت كل فرقة لتجد لنفسها المكان الرحب بين الفرق الأخر.

المطلب الثاني / موقف الإسلام من عقيدة الطبقية:

إن تقسيم الهندوسية واليهودية الناس إلى طبقات على أساس الولادة أو النسب أو اللون أو اللغة وما إلى ذلك من الاختلافات الطبيعية، وعَدِّ بعضهم نجسًا عينيًا، وإبعادهم عن مرافق الحياة العامة، وتشديد العقوبات على بعضهم دون البعض، وغير ذلك من مظاهر الطبقية، كل ذلك يتنافى مع مبدأ الإسلام، وحيث إن الموضوع طويل، فسأتناوله -بإيجاز- من خلال المحاور الآتية:

1. ضابط التفاوت والاختلاف بين الناس في الإسلام:

ليس كل تفريق وتمييز بين الأجناس أو الأفراد أو الجماعات يكون من القول بالطبقية المذمومة، بل حين يكون على أسس عادلة مشروعة وتكفل حقوق الإنسان وتحفظ كرامته، فلا بأس به، كما جاء ذلك في شرع الله -تعالى-، حين فرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق؛ مراعاة لطبيعتها التي خُلقت عليها، فلم يوجب عليها النفقة، ولم يكلفها بالقوامة، بل جعلها مناطة بالرجل الذي هو أقوى منها وأمكن، وهذا من العدل التام مع المرأة.

فمع أن الإسلام جعل القوامة بيد الرجل -كما هو عند اليهود- إلا أنه لم يجعل ذلك عقوبة لها بسبب إغوائها لآدم، وليست سلعة بيد الرجل يشتريها أو يتخلص منها متى شاء، بل أكثر من التعاليم الموصية بالزوجة خيرًا، كما جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

والمراد أنه ليس كل تفضيل يُعد من الطبقية المذمومة، بل ما كان تفضيلًا راجعًا إلى التفاوت في القدرات والطاقات البشرية المكتسبة في العلم أو المال أو المكانة الاجتماعية، وليس فيه ظلم أو تعد على حقوق الآخرين، فإنه تفاضل مشروع، كما قال -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل:71]، وقال -تعالى-: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32].

والهدف من هذا التفاضل الابتلاء والاختبار، كما قال -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام:165].

بل إن هذا التفاضل يدفع الناس إلى التنافس في التقوى والعمل الصالح، في الوقت الذي تشعل فيه الطبقية الصراعات في المجتمعات البشرية(1).

(1) انظر: العنصرية عند الأمم، المشوخي (ص22).

2. تكريم الله ـتعالى ـ للإنسان:

تظهر حقائق هذا التكريم في كثير من الآيات والأحاديث، منها، قول الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

ويُخبر -تعالى- عن تشريفه للإنسان، وتكريمه إيّاهُ، فِي خلقه له على أَحسن صورة وأكملها، حيث يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4].

3. معيار التفاضل في الإسلام:

إن معيار التفاضل بين الناس في الإسلام هو التقوى، وليس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو الطبقة، كما هو الحال عند الهندوس واليهود، فعلى قدر تقوى الإنسان لربه -تعالى- تكون أفضليته عنده، قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

وفي ذلك استلال لمظاهر الطبقية من النفوس المؤمنة تجاه كل إنسان، مهما كان جنسه، أو بيئته، أو شكله، أو لونه، أو لغته، أو طبقته(1).

قال القرطبي(2)-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «زجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى»(3).

وفي حجة الوداع، وبعد أن اجتمع حول النبي -صلى الله عليه وسلم- عشرات الألوف من البشر، قال لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عُجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»(4).

وهذا بلال -رضي الله عنه- ذلك الرجل الغريب عن بلاد العرب، قد اشتراه أبو بكر -رضي الله عنه- من أسياده المشركين وأعتقه- وجعله النبي -صلى الله عليه وسلم- مسؤولًا عن أحد أهم المناصب الدينية في تلك الفترة، ألا وهو الأذان للصلاة بمسجده -صلى الله عليه وسلم-(5).

وكان الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول عن بلال -رضي الله عنه-: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا»(6)، يعني بلالًا.

---

(1) انظر: العنصرية عند الأمم، عابد المشوخي (ص345).

(2) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبدالله، القرطبي، الإمام المفسر، كان ذا عبادة وزهد، حسن التصنيف، توفي سنة 671هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (5/322).

(3) الجامع لأحكام القرآن (16/341).

(4) أخرجه أحمد في المسند (38/474) رقم (23489)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (6/449) رقم (2700).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (1/347).

(6) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب بلال بن رباح (3/32) رقم (3754).

وهذه كلمة عظيمة المعنى صدرت من عمر -رضي الله عنه- وهو الذي لم يمض على إسلامه إلا القليل من السنوات، لتبرز لنا التحول الذي أحدثه الإسلام في عقل ذلك العربي الذي نشأ وتربى في بيئة طبقية تزري بالعبيد(1).

4. محاربة الإسلام للعنصرية:

يعتبر الإسلام الدعوة إلى العنصرية ومحاولة إحيائها، فساد وعودة إلى الجاهلية، قال الله -تعالى-: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:26].

ويقول أبو ذر -رضي الله عنه- كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجميه غير عربية، فعيّرته بأمه، فشكاني إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلقيت النبي -صلى الله عليه سلم-، فقال: «يا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، مَن سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»(2).

وجاء في الموسوعة البريطانية ما ترجمته: «إن العامل الجوهري والأكثر ديناميكية في مجال الأخلاق الاجتماعية التي منحها الإسلام للإنسانية هو المساواة، فكل أعضاء المجتمع المسلم بغض النظر عن العرق أو اللون أو المركز الاجتماعي والاقتصادي أعضاء متشاركون على قدم المساواة في المجتمع»(3).

فالتفرقة العنصرية -كما هي عند الهندوسية واليهودية- لم تكن يومًا من الأيام دينًا يدان في الإسلام، بل هي مرفوضة كل الرفض، فلا فرق بين بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وأبي بكر القرشي العربي، فالفرق فيه لا للون أو الجاه أو القبيلة؛ بل الفرق فيه منطلق من تقوى الله وخشيته.

5. مكانة المرأة في الإسلام:

خلق الله -تعالى- الرجل والمرأة من نفس واحدة، واشتق حواء من آدم(4)، قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:1].

قال ابن سعدي(5)-رحمه الله-: «وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد؛ ليعطف بعضهم على بعض، ويرفق بعضهم على بعض»(6)، واهتم الإسلام بالمرأة، وأكد على العناية بها، وحسن عشرتها، والإنفاق عليها، وعدم استغلال ضعفها، قال الله -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:19].

---

(1) انظر: حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام، خالد الشنيبر (ص166).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس (3/1282) رقم (1661).

(3) انظر: الموسوعة البريطانية (نسخة انجليزية) نقلًا عن كتاب: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح الحصين (ص97).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري (6/339).

(5) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الإمام، العلاّمة، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، ولد في عنيزة، حفظ القرآن الكريم، درّس وأفتى، له مؤلفات نافعة، توفي سنة 1376هـ. انظر: معجم المؤلفين، كحالة (13/396).

(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص163).

6. منزلة الرقيق في الإسلام:

جاء الإسلام والرق منتشر، فنظّمه، وضيّق طرقه تضييقًا كبيرًا، ورتّب على العتق أجورًا عظيمة[1]، وقد حفلت النصوص الشرعية بالدعوة إلى العتق، ومن ذلك، قوله -تعالى-: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[البلد:13-11].

وأيًا كان المعنى المراد بكلمة (العقبة) واقتحامها[2]، فالمعنى الذي لا شك فيه هو التأكيد على أن إعتاق العبيد سب للنجاة عند الله -تعالى-.

كما أكد الإسلام على أخوة الرقيق، والإحسان إليه، وعدم إهانته، والارتقاء به إلى مستوى يليق بإنسانيته وكرامته[3]، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ ، وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ»[4].

بل قد بلغ الأمر أكثر من ذلك، حيث جاء الأمر باختيار الألفاظ الحسنة في الخطاب مع الرقيق، فقد جاء التوجيه النبوي للأسياد: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي . وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي»[5].

7. حق التملك:

أعطى الإسلام حق التملك للناس، وحرّم الاعتداء على أملاك الآخرين، قال الله -تعالى-: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [البقرة:188].

المبحث الثاني / عقيدة التناسخ بين الهندوسية واليهودية وموقف الإسلام منها:

اختلفت العبارات في بيان المقصود بالتناسخ؛ مؤداها: أن روح الميت تنتقل إلى حيوان أعلى أو أقل منزلة لتنعم أو تعذب، جزاءً على سلوك صاحبها الذي مات[6].

أو هو رجوع الروح بعد موت البدن إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد؛ جزاءً لها على ما عملت من خير أو شر[7].

(1) انظر: الموسوعة الفقهية (22/11) مادة: (رق)، فقد فصلت الكثير من أحكام الرقيق.

(2) انظر الأقوال في معنى العقبة في: جامع البيان، الطبري (421-24/419).

(3) انظر: المحلى، ابن حزم (9/261).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل (2/1284) رقم (1662).

(5) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق (3/150) رقم (2552)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (4/1765) رقم (2249).

(6) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2/917)، والفرق بين الفرق، البغدادي (ص253)، وشرح المقاصد، التفتازاني (3/325)، والفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (1/77).

(7) انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص63).

والتناسخية: هم القائلون بالتناسخ وإنكار البعث(1).

ويعتقد القائلون بالتناسخ أن الروح جوهر خالد، وهي أزلية باقية، وأما الجسم فهو قميصها الذي يبلى أو يُخرق فتستبدله بقميص آخر تنتقل إليه، ولهذا يسمى بتناسخ الأرواح(2).

ويفرق بعض القائلين بالتناسخ بين حالاته، بحسب اختلاف درجاته، فيطلق النسخ على تردد الأرواح بالأبدان الإنسانية فقط، أما إذا نزلت الروح من البدن الإنساني إلى بدن حيوان؛ فيسمى هذا الانتقال مسخًا، وإذا نزلت إلى الأجسام النباتية يسمى رسخًا، وربما نزلت إلى الأجسام الجمادية، كالمعادن ونحوها، ويسمى فسخًا، وهكذا تتدرج مراحل التناسخ من الأعلى إلى الأدنى، ومن الإنسان إلى الحيوان(3).

فالتناسخ -عند القائلين به- هو الوسيلة الوحيدة للجزاء على ما قدّم الإنسان من خير أو شرّ، وليس هناك من وسيلة أخرى لديهم لمحاسبة الفرد عما يعمل في حياته سوى تكرار عودته لهذه الحياة في دورات متناسخة متتالية(4).

والمتأمل في عقيدة التناسخ عند الديانتين -الهندوسية واليهودية- يجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بينهما(5)، وبيان ذلك كما يلي:

المطلب الأول / عقيدة التناسخ بين الهندوسية واليهودية:

تناسخ الأرواح عقيدة شاع أمرها بين الهندوس، وانتقلت إلى اليهود، وسأبدأ بالحديث عن عقيدة التناسخ عند الهندوسية ثم عند اليهودية، مبينًا مظاهر التشابه بينهما، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: عقيدة التناسخ عند الهندوسية:

إن المطّلع على عقائد الهندوسية، يجد أن التناسخ من أقدم وأخص عقائدهم على مدى التاريخ، وعلامة نحلتهم، فقد علق في أذهانهم منذ أقدم العصور؛ فيما بين القرن الخامس عشر والعاشر قبل الميلاد، وبقي ثابتًا ومقررًا إلى يومنا هذا، ويدافعون عنه وينشرونه بكل الوسائل(6).

وسأجمل الحديث عن عقيدة التناسخ عند اليهودية في النقاط الآتية:

---

(1) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2/917).

(2) انظر: التقمص، أمين طليع (ص11).

(3) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص225)، والمواقف في علم الكلام، الإيجي (ص374).

(4) انظر: الموت والخلود في الأديان المختلفة، عزت زكي (ص148-146).

(5) ولعل ذلك راجع إلى أن فكرة التناسخ تسربت لبابل من الهند، وأخذها اليهود من المجتمع البابلي، انظر: اليهودية، شلبي، (ص267).

(6) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/84).

1. أهمية التناسخ عند الهندوسية:

تعدُّ عقيدة تناسخ الأرواح من أهم العقائد الهندوسية وأخصها، حتى إنها أصبحت علامة تعرف بها، وتميّزها عن سائر الأديان.

وقد صدق البيروني(1) إذ يقول: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات(2) علامة اليهود، كذلك التناسخ علامة النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يكن منها، ولم يعد من جملتها»(3).

2. حقيقة التناسخ عند الهندوسية:

التناسخ عند الهندوسية هو أن الروح لا تفنى بعد الموت، فهي خالدة لا تبلى ولا تتبدل، وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى لتلبس جسدًا آخر، جزاء لها على ما عملت من حسنات، أو من سيئات.

وقد نقل البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) حوارًا بين اثنين من الهندوس، يتضح من خلاله عقيدتهم في الروح، ومصيرها بعد موت الأبدان، وأنها خالدة باقية لا تفنى.

يقول البيروني: «حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئًا من صريح كلامهم في هذا الباب، قال باسُديو(4) لأرجُن(5) يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمنًا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى، ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه؛ فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، إنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود، وقال له: كيف يَذْكُرُ الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها، ولا ريح تُيبّسها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل اللباس إذا خلق، فما غمك لنفس لا تبيد، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود، فإن كانت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت، وكل ميت عائد، وليس لك من كلا الأمرين شيء، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير»(6).

---

(1) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، له مصنفات نافعة، توفي سنة 440هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (5/314).

(2) المراد هو تقديس اليهود ليوم السبت. انظر: سفر الخروج (15-14:31).

(3) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص38).

(4) باسديو: أصله واسيوا، وهذا اسم آخر لكرشنا، وهو أحب الآلهة وأشهرها لدى الهندوس. انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص145).

(5) أرجن: أحد أبناء باندو، وكان زعيمهم، وهم قبيلة آرية. انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص170).

(6) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني (ص40).

فهم يعتقدون في رجوع الأرواح إلى العالم الأرضي، وتكرار مولدها في أجسام جديدة بعد فراقها عن الأجسام السابقة بالموت؛ لتستوفي جزاء أعمال صاحبها(1).

ويشير البيروني إلى شدة اعتقادهم بالتناسخ؛ إذ يحكي قصة ملك توفي، فيقول: «وحُكي عن ملك أُنسيت اسمه أنه رسم لقومه: أن يحرقوا جثته بعد موته في موضع لم يدفن فيه ميت قط، وأنهم طلبوا موضعًا كذلك فأعياهم حتى وجدوا صخرة من ماء البحر ناتئة، فظنوا أنهم ظفروا بالبغية، فقال لهم باسُديو: إن هذا الملك قد أُحرق على هذه الصخرة مرات كثيرة فافعلوا ما تريدون»(2).

وقد فصّل عقيدة التناسخ كتاب الهندوس المقدس (مُنُوْ سْمْرِتِيْ)(3)، وأفرد لها بابًا خاصًا بعنوان التناسخ(4)، جاء فيه: «يغدو المرء جزاء أعماله السيئة التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية جمادًا، والتي ارتكبها بلسانه طيرًا أو حيوانًا، وينحط إلى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه أعمالًا سيئة بعقله»(5).

وجاء أيضًا: «من كان متمتعًا بصفة الصلاح يصل إلى درجة الآلهة، ومن كان متمتعًا بصفة الهمة يصل إلى درجة الإنسانية، ومن كانت صفة الظلمة غالبة عليه يبقى حيوانًا»(6).

«إن الإنسان لينال جزاء أعماله في الحياة الثانية بحسب النية التي ارتكب بها عمله في هذه الحياة وبجسم له صفات جسمه»(7).

وجاء في كتاب غيتا -وهو كتاب مقدّس عند الهندوس- نص مهم عن التناسخ، إذ يقول فيه: «كما يتخلص المرء من ملابسه ويلبس ملابس جديدة، كذلك الروح المتحدة تتخلص من الأجساد وتدخل أجسادًا جديدة»(8).

فعقيدة التناسخ عند الهندوس تمثل الجزاء وثمرة الأعمال، فهم لا يؤمنون ببعث ولا نشور ولا حياة بعد الموت، إنما الإنسان في هذه الحياة إذا مات فإن روحه تنتقل من جسم إلى جسم آخر، وترتقي حتى تصل إلى الكمال المطلق، وتلتحم بالملائكة، وتتصرف في شؤون الكون كما تشاء، وتكون غير محجوبة عن التصرف في السماوات والأرض، وتدبير الكون، وتلك هي الأرواح الصالحة، وإن كانت الروح قد ارتكبت الخطايا أثناء حلولها في أحد الأجسام، ترتكس إلى حيوان؛ لتكفر عن خطاياها، وتطهر من سيئاتها، ثم تسير قدمًا إلى الرقي، وإن لم تستطع تهبط وتهوي درجةً درجةً حتى تدخل جهنم(9).

---

(1) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص124).

(2) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص40).

(3) مُنُوْ سْمْرِتِيْ: من أشهر الكتب المقدسة لدى الهندوس، يشتمل على اثني عشر بابًا، فيه بيان للعقائد والعبادات والأخلاق الهندوسية، وهو مستمد من تعاليم الفيدا، وقد ترجمه إلى العربية إحسان حقي.

(4) انظر: مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص679).

(5) مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص680).

(6) مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص686).

(7) مُنُوْ سْمْرِتِيْ (ص694).

(8) غيتا (ص32).

(9) انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة (ص44).

فالروح في نظر الهندوس خالدة باقية، لا يتطرق إليها الفناء ولا تبلى، ولا تنتهي إلى تلف أو عدم، بل هي ثابتة دائمة، خارجة عن قيود الزمان والمكان، تنتقل من كائن إلى آخر، فإذا خرجت من جسم حلَّت جسمًا آخر، وفي كل مرة ترقى أو تهبط حسب أعمال صاحبها في الحياة السابقة(1).

2. علاقة عقيدة الكارما(2) بالتناسخ عند الهندوسية:

تعتقد الهندوسية أن «جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين، خيرًا كانت أو شرًا، لابد أن يُجازى عليها بالثواب أو العقاب؛ طبقًا لناموس العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وأن العدل الكوني قَضَى بالجزاء لكل عمل، وأن في الطبيعة نوعًا من النظام لا يترُك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء في هذه الحياة»(3)، وهذا هو ما يسمى عندهم بعقيدة الكارما، أو قانون الجزاء(4).

فمن أصول عقائد الهندوسية، أن يعتقد الإنسان أن عمله في هذه الحياة الحاضرة، ما هو إلا ثمرة من عمله في الحياة الماضية، وأن عمله سيعيّن الحال الذي يولد بها مرة أخرى، وأن طبقات الناس من رفيع، ومتوسط، ووضيع، إن هي إلا نتائج الأعمال، وليس في إمكان أحد أن يتملص من هذا الجزاء أبدًا (5).

وقد ترتب على الاعتقاد بالكارما؛ الاعتقاد بالتناسخ، فمن خلاله يجازى الناس على أعمالهم، فإن كانت الروح طيبة، والأعمال حسنة انتقلت إلى أحد البراهمة، وإن كانت شريرة وسيئة فإنها تنتقل إلى إحدى الطبقات المنحطة، أو إلى بعض الحيوانات(6).

وبهذا آمن الهندوس بتناسخ الأرواح، وهو البديل الجاهلي عن الإيمان باليوم الآخر؛ لأنهم وجدوا أن الظالم في هذه الحياة قد يموت دون أن يعاقب على ظلمه، والمظلوم قد يموت دون أن يؤخذ له حقه، والمحسن قد يموت دون أن يثاب على إحسانه، فلجأ الهندوس إلى عقيدة تناسخ الأرواح، التي تنال المحسن والمسيء، والظالم والمظلوم(7).

---

(1) انظر: الفكر الفلسفي الهندي، سرفبالي رادها كريشنان وآخرون (ص114)، و (ص703)، والنظام الطبقي في البرهمية، عبدالرحمن بوتامل (ص55).

(2) الكاراما: كلمة سنسكريتية، ومعناها العمل، وتعني عند الهندوس أمرين: الأول: أن لكل عمل جزاء، ينالـه الإنسان إما في حياته الحالية، وإما في دورات حياته المتعاقبة، وهذا هو التناسخ الذي يدّعونه، والثاني: أن سنن الكون ثابتة لا تتغير، وذلك يعني خلود الدنيا وعدم البعث. انظر: مُنثُو سْمْرِتِيْ (ص679)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (2/1057).

(3) أديان الهند الكبرى، شلبي (ص60).

(4) انظر: مُنثُو سْمْرِتِيْ (ص679).

(5) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر (ص124).

(6) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (2/1071).

(7) انظر: غيتا (2/22).

4. الخلاص من التناسخ عند الهندوسية:

تؤمن الهندوسية أن الروح في تناسخ دائم، وتجوال مستمر، تنتقل من جسد بعد موته إلى جسد آخر، وليس لها من خلاص إلا إذا توقفت الروح عن شرورها، ونزعاتها، وشهواتها، ورغباتها، وبقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة، فإذا تم لها ذلك نجت الروح من تكرار المولد، واتحدت بالإله براهما، واندمجت معه، كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم(1)، وتصل هذه الروح إلى أعلى درجة من الصفاء، والهدوء المطلق، والسكينة التامة، ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد، فتقف بالنسبة لها دورة التناسخ المقيتة، ويعرف هذا بالنرفانا(2)، وهي أعلى الدرجات، وأسمى الغايات لكل هندوسي(3).

ثانيًا: عقيدة التناسخ عند اليهودية:

إن اليهود قلّما يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولذا كان لهم في البعث والجزاء أقوال متضاربة، أخطرها عدم الإيمان بالحساب والجزاء الأخروي، والبديل عنه الجزاء الدنيوي، إذ يعتقدون أن نفس اليهودي تنتقل بعد موته إلى جسم آخر، فعندما يلفظ الحي روحه تسرع إلى جسم جنين آخر في بطن أمه(4)، وهذا الاعتقاد تسرب إليهم من الهند، وأخذه حاخامات اليهود من المجتمع البابلي(5).

وسأجمل الحديث عن عقيدة التناسخ عند اليهودية في النقاط الآتية:

1. موقف اليهودية من اليوم الآخر:

يحسن أولًا الحديث بإيجاز عن اليوم الآخر عند اليهود قبل الحديث عن تناسخ الأرواح، لبيان أن سبب قول اليهود بالتناسخ راجع إلى انحراف عقيدتهم في اليوم الآخر واضطرابها وغموضها، فلقد كانت اليهودية في أصلها تقرر اليوم الآخر بتفصيلاته المختلفة، من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار، حيث كانت تستمد شريعتها من السماء.

وقد كان مما أوحاه الله لموسى -عليه السلام- قوله -تعالى-: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه:16-14].

---

(1) انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص61).

(2) النرفانا: كلمة سنسكريتية، وتعني الخلاص من الشهوة وانعدامها، والتجرد من أغلال الحياة. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/220)، والهندوسية، أبو بكر زكريا (1138-1135/2).

(3) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/50).

(4) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، أوغست روهلنج (ص60)، والتلمود، ظفر الإسلام خان (ص71)، والتلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط (1/126).

(5) انظر: اليهودية، شلبي (ص272).

وقال الله -تعالى- على لسان الصالحين من جنود طالوت: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:249].

إلا أنهم انحرفوا عن هذ الاعتقاد بانحرافهم عن دين الله -تعالى-، فتكاد أسفارهم المقدّسة تخلو من ذكر اليوم الآخر إلا إشارات عابرة لذلك اليوم(1).

منها ما جاء في سفر إشعيا: «تحيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ»(2).

وما جاء في سفر حزقيال: «أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ، هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيُونَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»(3).

وما جاء في سفر دانيال: «كَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ»(4).

وهذه الإشارات مُختلف حولها، هل أن المقصود باليوم الآخر هو اليوم الذي يبعث فيه الناس للجزاء والحساب؟ أم أن المقصود به يوم أخير بالنسبة لليهود وحدهم، يستريحون فيه من الشقاء والحروب وينتصرون على أعدائهم؟(5)

ولا يوجد من بين فرق اليهود الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام، ففرقة السامريين(6) لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام، وينكرون التلمود ولا يقرون بالبعث البتة(7)، وفرقة الصدوقيين(8) تنكر البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين، إنما يحصلان في حياتهم، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه،

(1) وقد اختلف العلماء في مصادر تلك الإشارات؛ فقيل: إنما من الفكر المصري، وقيل: إنما من الفكر الفارسي، وقيل: إنما من الفكر اليهودي نفسه، فحين يأس اليهود من أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، أخذوا يمنون أنفسهم بهذه الحياة الأخرى. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع؛ انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (2/345)، واليهودية، شلبي (ص203)، والعنصرية اليهودية، الزغبي (2/278)، ولا شك أن العهد القديم قد تأثر بكثير من أفكار الأمم التي احتك بها اليهود، ولكن لا يبعد أن تكون تلك الإشارات التي وردت فيه عن اليوم الآخر من بقايا الوحي الإلهي.

(2) سفر إشعيا (19:26).

(3) سفر حزقيال (7-4:27)

(4) سفر دانيال (3-2:12)

(5) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص748)، وسفر إشعيا مفصلًا آية آ، ناشد حنا (ص159)، والسنن القويم في تفسير العهد القديم، وليم مارش (5/211)، وتفسير حزقيال، رشاد فكري (ص749).

(6) السامريون: ينسبون إلى مدينة السامرة التي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، وهي فرقة صغيرة تعيش بجوار مدينة نابلس بفلسطين، يعتبرون جبل جرزيم هو المكان المقدس الحقيقي، لذا فهم معادون للصهيونية، وقد استقلت الفرقة السامرية بكيانها الديني. انظر: الفكر الديني اليهودي، ظاظا (ص247).

(7) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (219-1/218)، والفكر الديني اليهودي، ظاظا (ص205).

(8) الصدوقيون: قيل تنسب لرجل كاهن يسمى صدوق، ظهر في عهد سليمان عليه السلام، وقيل إن التسمية من صنع أعدائهم، وإنما من التسمية المضادة؛ لأن الصدوقيين عرفوا بإنكار البعث وإنكار التلمود، ولا يؤمنون إلا بالعهد القديم فحسب. انظر: الفكر الديني اليهودي، ظاظا (ص259).

والعمل السيء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب(1)، وفرقة الدوستانية(2) تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا، وفرقة الفريسيين(3) تؤمن بخلود النفس وأن الصالحين من الأموات سيُنشرون في هذه الأرض ليشتركوا في مُلك المسيح المنتظر الذي يأتي آخر الزمان؛ لينقذ الناس من ضلالهم، ويدخلهم جميعًا في ديانة موسى -عليه السلام-؛ أي: إن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا(4).

ومهما يكن من خلاف بين الفرق اليهودية في حقيقة اليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجزاء، فإنهم متفقون على إهماله وعدم الاهتمام به(5)، وأن الحساب والعقاب هو في الدنيا وحسب، ولذلك قطع ابن حزم -رحمه الله- بأنه: «ليس في توراتهم ذكر المعاد أصلًا، ولا الجزاء بعد الموت»(6).

2. حقيقة التناسخ عند اليهودية:

إن ذكر التلمود لتناسخ الأرواح، جاء في صورة عنصرية، فقد جاء فيه: «وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب، وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات...وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسمًا آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلًا تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة، أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديًا فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم وتُعذّب عذابًا أليمًا مدة اثني عشر شهرًا، ثم تعود ثانيًا وتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها»(7).

ويقرر التلمود: «أن نفس اليهودي تنتقل بعد موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ شيخ أنفاسه تسرع نفسه إلى جنين في بطن أمه»(8).

---

(1) انظر: اليهودية، شلبي (ص222).

(2) الدوستانية: افترقت فرقة السامرة إلى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوستانية، والدوستانية معناها: الفرقة المتفرقة الكاذبة، والكوستانية معناها: الجماعة الصادقة، وهم يُقِرُّون بالآخرة والثواب والعقاب فيها، والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (1/218).

(3) الفريسيون: اشتق اسمها من الكلمة العبرية بيروشيم أي المنعزلون، ويلقبون بلقب الحاخامات، أو الربانيين. انظر: الفكر الديني اليهودي، ظاظا (ص252).

(4) انظر: سفر أيوب (19-3/11)، وسفر حزقيال (6-4:37)، والتلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط (3/47)، (12/225)، و (13/278)، واليهودية، شلبي (ص219).

(5) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (2/345).

(6) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (1/199).

(7) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، أوغست روهلنج (ص42)، والتلمود، محمد صبري (ص25).

(8) همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنّا مسعد (ص55).

ويعتقدون أن هذا التناسخ قد فعله الله رحمة باليهود؛ لأنه أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية(1).

وقد ورد ذكر التناسخ في العهد القديم تلميحًا، فقد جاء في سفر الجامعة: «لِلْوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ...كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ يَخْلُدُ إِلَى الأَبَدِ، لَا يُضَافُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَوْ يُنْقَصُ مِنْهُ. فَمَا كَانَ قَبْلًا هُوَ كَائِنٌ الآنَ، وَمَا سَيَكُونُ هُوَ كَائِنٌ مِنْ قَبْلُ»(2).

وجاء أيضًا: «جِيلٌ يَمْضِي وَجِيلٌ يُقْبِلُ وَالأَرْضُ قَائِمَةٌ إِلَى الأَبَدِ...مَا هُوَ كَائِنٌ هُوَ الَّذِي سَيَظَلُّ كَائِنًا، وَمَا صُنِعَ هُوَ الَّذِي يَظَلُّ يُصْنَعُ، وَلاَ شَيْءَ جَدِيدٌ تَحْتَ الشَّمْسِ. أَهُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ: انْظُرْ، هَذَا جَدِيدٌ؟ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مَوْجُودًا مُنْذُ الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَنَا»(3).

ففي النصين السابقين إشارة إلى حقيقة التناسخ «وأن نظام الدائرة هو النظام الأساسي في تنظيم الكون بوصفه نظامًا كاملًا متناغمًا»(4).

ويعتقد اليهود أن روح إيليا(5) قد تقمّصت في اليشع(6) ويستدلون على ذلك بما جاء في سفر الملوك الثاني، أن إيليا قال ليشع: «اطْلُبْ: مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ قَبْلَ أَنْ أُوخَذَ مِنْكَ؟ فَقَالَ أَلِيشَعُ: لِيَكُنْ نَصِيبُ اثْنَيْنِ مِنْ رُوحِكَ عَلَيَّ»(7).

وبما جاء في نفس السفر: «وَلَمَّا رَآهُ بَنُو الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا(8) قُبَالَتَهُ قَالُوا: قَدِ اسْتَقَرَّتْ رُوحُ إِيلِيَّا عَلَى أَلِيشَعَ». فَجَاءُوا لِلِقَائِهِ وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ»(9).

فالتناسخ عند اليهود يعني الإيمان بأن أرواح البشر تعود بعد الموت إن عاجلًا أو آجلًا، وتستقر في جسد إنسان آخر، وأن الثواب والعقاب يتمّان من خلال تناسخ الأرواح، فإذا كان الإنسان خيّرًا، حلّت روحه في جسد إنسان خيّر، أما إذا كان شريرًا فإنها تحلّ في جسد إنسان وضيع، أو حتى في جماد أو حيوان، وهذا المفهوم اليهودي للتناسخ هو مفهومه عند الهندوس.

---

(1) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، أوغست روهلنج (ص42).

(2) سفر الجامعة (15-2:3).

(3) سفر الجامعة (10-4:1).

(4) التقمص في الكتاب المقدس، برايز جايمس (ص9).

(5) إيليا: ويسمى إلياس، عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص144).

(6) اليشع أو اليسع: هو ابن شافاط، وتلميذ إيليا وخليفته، أحد أنبياء بني إسرائيل في المملكة الشمالية (إسرائيل). انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص48).

(7) سفر الملوك الثاني (9:2).

(8) أريحا: معناها مدينة القمر، أو مكان الروائح العطرية، والمقصود بأريحا هنا؛ موضع في تل السلطان، يقع على مسافة ميل من مدينة أريحا الفلسطينية. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص58).

(9) سفر الملوك الثاني (15:2).

وقد صرّح التلمود أن: «الأرواح الخارجة من الأجسام اليهودية بالموت الطبيعي تُنقل إلى الحمير والكلاب؛ لتطهيرها من النقائص التي كانوا يعملونها حال حياتهم -ويسمون ذلك التقنيص- وبعد ذلك إلى أجسام بشرية، أما اليهودي الذي يقتل يهوديًا فتدخل روحه في الحيوانات أو النباتات ثم تذهب إلى الجحيم مدة سنة، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين، إلى أن ترجع إلى جسم يهودي بعد تطهيرها»(1).

وسبب ذلك يعود إلى قولهم: «إن الله ما خلق الناس إلا ليحفظوا وصاياه العشرة التي أعطاهم موسى في اللوحين الحجرين، ولم يكن لله شعب سوى الشعب الإسرائيلي، فإذا مات رجل من هذا الشعب، وكان حال حياته عاملًا بوصاياه، فحالًا تمضي روحه إلى فردوس النعيم، أما إذا كان مخالفًا لواحدة منها، فالله يرسل روحه لبهيمة كي يطهره من الخطايا عن طريق العذاب الذي تكابده تلك البهيمة؛ وبعد أن تتطهَّر يُدخلها في جسم بشري لتتم وصاياه، ولم يزل يميتها ويحييها حتى تموت نقية عاملة بوصاياه، لأنه لا يريد أن يُدخل النار نفسًا يهودية، ولا يقدر أن يُدخلها الجنة بغير عمل تستحقه تلك النفس، وليس له واسطة لخلاصها ولحفظ وصاياه، التي تستحق بواسطتها أن تدخل ملكوته إلا بهذه العلة، وهي إعادتها إلى جسم بشري»(2).

ويرجع قولهم بالتناسخ إلى تخبطهم في البعث، وفي حقيقة الروح؛ حيث قالوا: «إن اليهود الذين يمرقون من دينهم أو يقتلون أحد أبناء ملتهم، فإن نفوسهم بعد الموت تسير إلى الحيوانات والنباتات، وتقطن بها، ثم بعد حياة شقية يرسلون إلى الجحيم؛ ليحتملوا ألوان العذاب اثنى عشر شهرًا، وعند انتهاء المدة يبعثون أحياء، وينتقلون متجسدين في الجماد أو الحيوان وعبدة الأوثان، وعندما يطّهرون يعودون إلى اليهودية»(3).

فمن خلال هذا النص يتبيّن أن اليهود يقولون: بالنسخ: الذي هو انتقال الروح إلى بدن إنسانٍ آخر، ويقولون بالمسخ: الذي هو انتقال الروح إلى حيوان آخر، ويقولون: بالفسخ الذي هو انتقال الروح إلى النبات، ويقولون: بالرسخ الذي هو انتقال الروح إلى الجماد لكن لغير اليهودي، وعندما تصل الروح إلى الطهارة والنقاء تحلّ في جسد اليهودي.

وعلى هذا فاليهودية وافقت الهندوسية في الاعتقاد أن التناسخ لا ينقطع، ولا تنتهي دورات الروح وترددها في الأبدان إلا عند تخلُّص الروح من الآثام، وانعدام أية رغبة لها في الحياة.

وكذلك في الاعتقاد أن الروح خالدة لا تفنى، وهي في تناسخ دائم، وتجوال مستمر، تنتقل من جسد بعد موته إلى جسد آخر، سواءً كان حيوانًا أو نباتًا، وليس لها من خلاص إلا إذا توقفت الروح عن شرورها، ونزعاتها، وشهواتها، ورغباتها، وبقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة.

---

(1) انظر: حصن الوجود، سليمان الصولة (ص402).

(2) المرجع السابق (ص403).

(3) همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنّا مسعد (ص55).

3. علاقة الرجعة بالتناسخ عند اليهودية:

القول بتناسخ الأرواح ليس غريبًا على اليهود، فقد قالوا بالرجعة التي هي أحد مظاهر القول بالتناسخ، فقالوا برجعة الروح إلى بعض الناس بعد الموت، فيعودون بأجسادهم أنفسها إلى الحياة.

فقد أخبر سفر الملوك الأول أن إيليا أحيا ابن الأرملة: «وَجَاءَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَإِذَا بِامْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ هُنَاكَ تَقُشُّ عِيدَانًا، فَنَادَاهَا وَقَالَ: هَاتِي لِي قَلِيلَ مَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَأَشْرَبَ...فَذَهَبَتْ وَفَعَلَتْ حَسَبَ قَوْلِ إِيلِيَّا، وَأَكَلَتْ هِيَ وَهُوَ وَبَيْتُهَا أَيَّامًا...وَبَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ مَرِضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ...فَقَالَ لَهَا: أَعْطِينِي ابْنَكِ. وَأَخَذَهُ مِنْ حِضْنِهَا وَصَعِدَ بِهِ إِلَى الْعُلِّيَّةِ الَّتِي كَانَ مُقِيمًا بِهَا، وَأَضْجَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ...وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: يَا رَبُّ إِلهِي، لِتَرْجِعْ نَفْسُ هذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ. فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ»(1).

وأخبر سفر الملوك الثاني أن اليشع أحيا صبيًّا بعد موته: «وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ.ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ... فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ»(2).

وجاء في التلمود: «إن أحد الخامات قتل حاخامًا آخر في حالة سكر، ثم أتى بمعجزة فأعاد الحاخام القتيل إلى الحياة»(3).

وزعموا أن عزرا (4) عاد إلى الحياة بعد موته بمائة عام، وكذلك هارون أخو موسى -عليهما السلام- قد آمنوا برجعته إلى الحياة من جديد(5).

ويعتقد اليهود برجعة إيليا، حيث سيعود إلى الحياة من جديد قبل مجيء يوم الرب، فقد جاء في سفر ملاخي: «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ»(6).

وقالوا: إن الله تعالى مسخ بختنصر(7) في سبع صور من البهائم والسباع، وعذّبه فيها كلها ثم بعثه في آخرها موحدًا(8).

(1) سفر الملوك الأول (22-10:17).

(2) سفر الملوك الثاني (35-33:14).

(3) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان (ص78).

(4) هو عزرا الوراق تنسب إليه كتابة التوراة وتحريفها، توفي في القرن الخامس قبل الميلاد. انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص621).

(5) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (1/212).

(6) سفر ملاخي (5:4).

(7) بختنصّر: من أشهر ملوك الدولة البابلية، ألحق الهزيمة بالجيوش المصرية سنة 605 ق.م، وانتصر على مملكة يهوذا، وأسر جميع اليهود وأرسلهم إلى بابل واستذلهم، مدة ملكه 43سنة. انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (1/536)، والعرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص189).

(8) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي (ص254).

والقول بالرجعة عند اليهود والتي هي مظهر من مظاهر التناسخ؛ شبيه بقول الهندوس برجوع بعض آلهتهم للانتقام من أعدائهم، وكُتبهم المقدسة مليئة بهذه القصص والخرافات(1).

المطلب الثاني / موقف الإسلام من عقيدة التناسخ:

تبين فيما سبق تشابه الهندوس واليهود في القول بالتناسخ، واعتقادهم بانتقال الروح من الجسد بعد موته لتسكن جسدًا آخر في هذا العالم، تسعد فيه أو تشقى نتيجة ما قدمته من عمل، وفي هذا المطلب نورد بإيجاز موقف الإسلام من هذه العقيدة، على النحو الآتي:

1. القول بالتناسخ إنكار لليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجنة والنار، مما علم بالضرورة مجيء الرسل به، واشتمال الكتب المنزلة عليه، والقول بالتناسخ تكذيب لذلك كله، وإنكار له(2)، ومن أنكر البعث فقد كفر(3)، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد:5].

قال الإمام ابن حزم(4) رحمه الله في معرض رده على القائلين بالتناسخ: «فيكفي من الرد عليهم، إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعيم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها...ويكفي من هذا أن قولهم إنما هو دعوى بلا برهان، وكل قول لم يوجبه برهان فهو باطل، ولم يأت هذا القول قط على أحد من الأنبياء»(5).

وقال في موطن آخر عن الأرواح: «وأما من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد أخر، فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام»(6).

كما أن عقيدة تناسخ الأرواح مبنية على أساس فكرة الجزاء، فتقلب الأرواح في الأجساد المختلفة في الدنيا –حسب عقيدة التناسخيين- ليس إلا جزاء على ما عمل الإنسان في حياته الدنيا، فإذًا على

(1) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (3/1410).

(2) انظر: لوامع الأنوار، السفاريني (2/48).

(3) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبدالوهاب (ص373).

(4) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، أبو محمد، علم الأندلس في عصره، كان شافعيًا ثم تركه إلى القول بالظاهر، له مصنفات كثيرة، توفي سنة 456هـ. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (3/325).

(5) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (1/77).

(6) المحلى، ابن حزم (1/24).

اساس هذه العقيدة فلا حاجة لوجود الجنة والنار اللذين قد خلقهما الله تعالى جزاءً لأهل الخير وأهل الشر، قال الله -جل ثناؤه- في الجنة: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين﴾ [آل عمران:133]، وقال -تعالى- عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين﴾ [البقرة:24].

ومن هنا فإن عقيدة التناسخ تهدم الإيمان باليوم الآخر، وما يتعلق به من البعث والجنة والنار.

2. الأرواح باقية بعد موت الأجساد في النعيم أو العذاب:

الأرواح باقية بعد مفارقتها لأجسادها، وأنها متفاوتة في مستقرّها في البرزخ أعظم تفاوت، بحسب منزلتها ودرجتها، فهي إما في نعيم أو جحيم إلى يوم القيامة، وبعدها إما إلى الجنة وإما إلى النار(1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(2)-رحمه الله-: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة ، تُنعَّم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»(3).

3. بطلان قولهم بالرجعة:

جعل الله -تعالى- الدنيا دار تكليف وعمل، والآخرة دار جزاء وقرار، والإنسان يحيا حياة دنيوية واحدة، ولا يستطيع الرجعة إليها مرة أخرى بعد موته، وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى هذا المعنى، قال الله -تعالى-: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾ [المؤمنون:100-99].

وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُون. وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُون﴾ [يس:32-31].

وقال -تعالى-: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيل﴾ [الشورى:44].

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على إبطال التناسخ، وأن الموتى ليست لهم رجعة إلى الحياة الدنيا، على أية صورة من صور التناسخ، وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله -عز وجل-، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها(4).

---

(1) انظر: الروح، ابن القيم (1/374)، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (2/582).

(2) هو أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي، تقي الدين ابن تيمية، الإمام الفقيه، المجتهد، المحدّث، الحافظ، المفسّر، الأصولي، الزاهد، شيخ الإسلام، ناصر السنن وقامع البدع، ذاع صيته وعم الآفاق ذكره، صاحب المصنفات الكثيرة، توفي سنة 728هـ. انظر: العقود الدرية، محمد بن عبدالهادي (ص18)، والبداية والنهاية، ابن كثير (13/280).

(3) مجموع الفتاوى (4/282).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/575).

4. ثبوت التناقض في دعوى التناسخ:

فالتناسخ يتناقض مع التمييز الطبقي والنقاء القومي، الذي يدّعيه الهندوس واليهود، فالتناسخ ينقل الروح من طبقة إلى طبقة، بل من إنسان إلى حيوان أحيانًا، وبهذا تبطل دعواهم بالنقاء القومي، والعرقي، وسيادة الجنس؛ ولذلك اضطر بعضهم إلى القول بأن التناسخ يتم في حدود الطبقة التي عليها الإنسان، أي: أن الأرواح إنما تنتقل إلى نوع أجساده التي فارقت، فأرواح البراهمة تنتقل إلى البراهمة، وأرواح العبيد تنتقل إلى عبيد وهكذا.

وهذا القول لا يمنع الاعتراض؛ لأن التناسخ على هذا المفهوم يفقد قيمته، فالمقصود من التناسخ هو تحقيق الجزاء على ما ارتكبته الروح في الحياة السابقة، ولا يتم ذلك ما دام العبد سيبقى عبدًا والسيد سيدًا(1).

5. القول بتناسخ الأرواح هو من الغيب:

إن تصور التناسخ إنما هو شيء يتعلق بالمغيبات، والأمور الغيبية لا سلطان للعقل عليها ما دام بينه وبينها حجاب لا ينفذ منه أي برهان من البراهين التجريبية والمشاهدة، أو اللزوم البيّن، أو القياس الأولى، القائمين على الاستقراء التام، فالخيال قد يذهب في تصور هذه المغيبات كل مذهب، ولكن العقل لا يصدق أي مذهب منها مالم يقم عليه البرهان السليم(2).

6. يؤدي القول بالتناسخ إلى تفكيك الأسرة:

حيث يصور الأسرة على أنها أشتات من الناس لا روابط بينها، فكل فرد من أفرادها منحدر من فرد لا يُعرف، وعلى ما في هذا من الارتباك الاجتماعي، فهو أيضًا يخالف الملاحظ غالبًا من تقارب أفراد الأسرة الواحدة، مما يدل على صلاتها الأسريّة، لا على أشتات كما يرى أصحاب التناسخ(3).

7. عدم تذكّر الإنسان حياته السابقة:

مما يبطل عقيدة التناسخ أن الإنسان منهم لا يتذكّر شيئًا من أحداث دورات حياته السابقة، أي أن هناك انقطاعًا تامًا بين الدورتين للروح، ومعنى ذلك أن الروح تُعاقب على ذنب لا تعرف سببه ولا تذكره، فالمجرم منهم لا يذكر بعد التناسخ فعلته التي أوجبت عليه العقوبة التي يُعاقب بها في حالة تناسخه، فمن هنا هو لن يستطيع أن يحسن من سلوكه ولا أن يغيره؛ لأنه لا يذكر شيئًا أصلًا.

---

(1) انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص190-189).

(2) انظر: التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، سهيل مشتاق (ص257).

(3) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (3/193).

وطالما أن الإنسان لا يتذكر شيئًا من أحداثٍ مزعومة لحياةٍ سابقة، فهذا دليل على أن الروح لم تتناسخ، ولم تقع لها بالتالي دورة حياة سابقة، فعدم التذكر مبطلٌ لعقيدة التناسخ(1).

8. تعارض عقيدة التناسخ مع المسؤولية الفردية:

إن عقيدة التناسخ تعارض المسؤولية الفردية التي تناط بكل إنسان بحسب عمله في الدنيا، فكيف بالروح التي تتداولها أجسام كثيرة؟

كيف يمكن تحديد جزاء كل إنسان منهم؟ فإذا كانت الأرواح تنتقل إلى حيوان أيضًا، فإن الأمر يصبح أكثر اضطرابًا(2).

وإذا كان التناسخ للجزاء كما يزعمون، فماذا يقولون عن الطفل الذي يموت مباشرة عَقِبَ الولادة؟ إن الروح لم تستمتع ولم تعاقب، فليس ولادته إذًا وبعث روح شخص آخر به إلا عبثا(3).

9. يترتب على القول بالتناسخ تحريم قتل الحيوانات:

فالاعتقاد بالتناسخ يؤدي إلى تحريم قتل الحيوانات وإيذائها، ولو كانا لقصد صحيح، كالأكل أو دفع الضرر، وذلك لاعتبار أنها متناسخة فيها روح إنسان، قد يكون أبًا أو أمًا، أو قريبًا للإنسان.

فالأرواح التي تتلبس بالحيوانات هي في زعم التناسخيين أرواح الإنسان؛ لأنها بما ارتكبته في الحياة السابقة صارت حيوانًا في هذه الحياة(4).

الخاتمة:

أولًا: أبرز النتائج:

1. أن وجود وجه شبه بين عقيدة وعقيدة، لا يلزم منه أن العقيدة الأخيرة تأثرت بالعقيدة الأولى.
2. أن المقطوع به هو وجود التشابه العقدي بين الهندوسية واليهودية، وحصول التأثير والتأثر في كثير من العقائد، وأن المختلف فيه أي الديانتين أثّرت في الأخرى؟
3. تعتقد الديانتان الهندوسية واليهودية بالطبقية الجائرة الظالمة، وتطبقهما في مجتمعاتهما؛ فيقسّمان الناس أقسامًا تجعل بعضهم في منزلة الآلهة، وبعضهم أحط من الحيوانات.

---

(1) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (2/936).
(2) انظر: أديان الهند الكبرى، شلبي (ص190).
(3) انظر: المرجع السابق (ص197).
(4) انظر: الهندوسية، أبو بكر زكريا (2/940).

4. الطبقية عند اليهود لا تقتصر على غير اليهودي فحسب، بل إنهم يميزون بين اليهود أنفسهم، وهذا التمييز واضح في مصادرهم المقدسة.

5. تقسيم الهندوسية واليهودية النَاسَ إلى طبقات على أساس النسب أو اللون، وما إلى ذلك من الاختلافات الطبيعية، وعَدِّ بعضهم نجسًا عينيًا وإبعادهم عن مرافق الحياة العامة، وتشديد العقوبات عليهم، وغير ذلك من مظاهر الطبقية، كل ذلك يتنافى مع مبدأ الإسلام، وفيه عودةٌ إلى الجاهلية.

6. تشابه الهندوسية واليهودية في الاعتقاد بالطبقية والتناسخ.

7. أدّى انحراف اليهود واضطرابهم في عقيدة الإيمان باليوم الآخر إلى القول بالتناسخ.

8. ساعد القول بالتناسخ على جعل نظام الطبقات مقبولًا، فهو الباب الوحيد الذي يستطيع الأفراد الذين ولدوا في طبقة سافلة، أو منزلة أدنى، أن تتغير أحوالهم فيرتقون إلى أعلى من طبقاتهم الحالية؛ إذا توقفت أرواحهم عن شرورها وتطهرت من خطاياها، وبقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة.

9. القول بالتناسخ هو إنكار صريح لليوم الآخر، وما يتفرع عنه من العقائد الأخرى كالبعث والحساب والجنة والنار.

10. الاعتقاد بالتناسخ يؤدي إلى تحريم قتل الحيوانات وإيذائها، ولو كانا لقصد صحيح، كالأكل أو دفع الضرر؛ وذلك لاعتبار أنها متناسخة فيها روح إنسان، قد يكون أبًا أو أمًا، أو قريبًا للإنسان.

ثانيًا: التوصيات:

1. استكمال دراسة الجوانب العقدية الأخرى التي تَشَابهت فيها الديانتان الهندوسية واليهودية، كعبادة الحيوانات، وتقديس الأماكن، والقول بنجاسة كل من سواهم...وغير ذلك، وهذه جوانب مهمة يوصِي الباحثُ ببحثها ودراستها.

2. إجراء المزيد من البحوث والدراسات في مجال مقارنة الأديان، وموقف الإسلام منها، و ترجمتها بلغات أصحاب تلك الديانات، ونشرها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

1. أبحاث في الفكر اليهودي، ظاظا، حسن محمد، ط1، دمشق، دار القلم، 1407هـ/1987م.
2. أبحاث في اليهودية والصهيونية، سوسة، أحمد نسيم، (د. ط)، الأردن، دار الأمل، 2003م.
3. أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، القثامي، هند بنت دخيل الله، ماجستير، مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1420هـ.
4. أديان الهند الكبرى، شلبي، أحمد، ط11، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، سنة 2000م
5. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.
6. البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، الرياض، دار هجر، 1418هـ/1997م.
7. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، محمد ين جرير، ط2، بيروت، دار التراث، 1387هـ.
8. تأملات في سفر المزامير، عبدالنور، منيس، (د. ط)، القاهرة، الكنيسة الإنجيلية، (د. ت).
9. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1403هـ.
10. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، الحصين، صالح، الرياض، نشر كرسي الأمير سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، 1429هـ.
11. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، ط1، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1411هـ.
12. التفرقة العنصرية، عاشور، السيد محمد، (د. ط)، القاهرة، دار الاتحاد العربي، 1407هـ.
13. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق سامي السلامة، ط2، الرياض، دار طيبة، 1420هـ/1999م.
14. تفسير كلمات الكتاب المقدس، معجم الألفاظ العَسِرة، إبراهيم، سعيد مرقص، ط6، القاهرة، مكتب النسر للطباعة، 2004م.
15. التقمص، طليع، أمين، ط1، بيروت، دار عويدات،1980م.
16. التقمص في الكتاب المقدس، العهد الجديد، جايمس، برايز، ترجمة شوقي داود تمراز، (د. ط)، ينطا، الشوف الدائم للكتاب، 1424هـ/2003م.

17. التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ترجمة مويال، شمعون، ترجمة رشاد الشامي، ط1، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1425هـ/2004م.
18. التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1، الأردن، 2011م.
19. التلمود تاريخه وتعاليمه، خان، ظفر الإسلام خان، ط7، بيروت، دار النفائس، 1410هـ/1989م.
20. التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، مشتاق، محمد سهيل، ماجستير، مكة المكرمة، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، 1418هـ/1997م.
21. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت، لبنان، طبع مؤسسة الرسالة، 1423هـ/2002م.
22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، القاهرة، دار هجر، 1422هـ/2001م.
23. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م.
24. حصن الوجود الواقي من خبث اليهود، الصولة، سليمان بن إبراهيم، تحيق سيد كسروي، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2002م.
25. حضارات الهند، لوبون، غوستاف، ترجمة عادل زعيتر، ط1، القاهرة، دار إحياء العالم العربي، 2009م.
26. حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام، الشنيبر، خالد بن محمد، ط1، الرياض، مطابع الحميضي،1430هـ/2009م.
27. الحياة اليهودية بحسب التلمود، القمص روفائيل البرموسي، ط1، الإسكندرية، دار نوبار للطباعة، 2003م.
28. دائرة المعارف الكتابية، جماعة من اللاهوتيين، (د. ط)، مصر، دار الثقافة، (د. ت).
29. الروح، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق بسام علي العموش، ط1، الرياض، دار ابن تيمية، 1406هـ/1986م.
30. سفر التكوين تاريخ الكون والإنسان، الخوري، بولس الفغالي، ط1، بيروت، المكتبة البولسية، 1988م.
31. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد بن ناصرالدين، ط1، الرياض، مكتبة المعارف، 1416هـ/1996م.
32. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، مارش، وليم، (د. ط)، بيروت، مجمع الكنائس في الشرق

33. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.

34. شجرة الحضارة، لنتون، رالف، ترجمة أحمد فخري، (د. ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م.

35. الشخصية الإسرائيلية، ظاظا، حسن محمد، ط1، دمشق، دار القلم ، 1985م.

36. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، علي بن علي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، ط10، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1997م.

37. شرح المقاصد، التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين تحقيق عبدالرحمن عميرة، ط3، بيروت، لبنان، عالم الكتب، 1419هـ/199م.

38. صحيح البخاري، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، ط1، القاهرة، المكتبة السلفية، 1400هـ.

39. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1412هـ/1991م.

40. العرب واليهود في التاريخ، سوسة، أحمد نسيم، ط2، دمشق، دار العربي، (د. ت).

41. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن عبدالهادي، شمس الدين محمد بن أحمد، تحقيق محمد حامد الفقي، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).

42. العقيدة والشريعة في الإسلام، أجناس جولد زيهر، ترجمة محمد يوسف وآخرون، (د. ط)، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د. ت).

43. العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، الزغيبي، أحمد عبدالله، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1418هـ/1998م.

44. العنصرية عند الأمم وموقف الإسلام منها، المشوخي، عابد بن سليمان، ماجستير، الرياض، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1407هـ/1986م.

45. غيتا (الكتاب الهندي المقدس) الترجمة العربية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط1، اللاذقية، سورية، 1993م.

46. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، آل الشيخ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق محمد حامد الفقي، ط7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1377هـ/1957م.

47. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، عبدالقادر بن طاهر بن محمد، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1977م.
48. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن أحمد، (د. ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د. ت).
49. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذهبه، ظاظا، حسن محمد، ط2، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م.
50. الفكر الفلسفي الهندي، رادها كريشنان وآخرون، ترجمة ندرة اليازجي، (د. ط)، دمشق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1967م.
51. قاموس التراجم القبطية، جمعية مار مينا العجايبي، ط1، الإسكندرية، سنة 1995م
52. قاموس الكتاب المقدس، عبدالملك، بطرس، وجون الكساندر طمس، وإبراهيم مطر وغيرهم، ط6، بيروت، لبنان، مكتبة المشعل الإنجيلية، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط،1981م.
53. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، (د. ت).
54. الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، أوغست، وشارل لوران، ترجمة يوسف نصرالله، ط1، الفجالة، مطبعة المعارف، 1899م.
55. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، ط2، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، 1402هـ/1982م.
56. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، 1416هـ/1995م.
57. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، التميمي، محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
58. محاضرات في مقارنة الأديان القديمة، أبو زهرة، محمد، (د. ط)، دار الفكر العربي، (د. ت).
59. المحلى، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت).
60. محمد في مكة، مونتقمري وات، تعريف شعبان بركات، (د. ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د. ت).
61. مدخل الى التلمود. المؤلف : ادين شتاينسالتز، ترجمة فينيتا بوتشيفا الشيخ، ط1، دمشق، دار الفرقد، 2006م.
62. المرأة في القديم والحديث، كحالة، عمر رضا، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1409هـ/1989م.
63. المرشد إلى الكتاب المقدس، سيل، سيكل، (د. ط)، بيروت، مكتبة المشعل الإنجيلية، 1958م.

64. المستشرقون، العقيقي، نجيب، ط4، القاهرة، دار المعارف، (د. ت).
65. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف عبدالله التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م.
66. المعتقدات الدينية لدى الشعوب، بارندر، جفري، ترجمة إمام عبدالفتاح، (د. ط)، الكويت، عالم المعرفة، 1413هـ/ 1993م.
67. معجم المصطلحات الكنسية، المقاري، أثناسيوس، ط2، دار نوبار، 2008م
68. معجم المؤلفين، كحالة، عمر رضا، (د. ط)، بيروت، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
69. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم وآخرون، (د. ط)، دار الدعوة، (د. ت).
70. مفتريات وأخطاء دارة المعارف الإسلامية الاستشراقية، القاسم، خالد بن عبدالله، ط1، الرياض، دار الصميعي، 1430هـ/2010م.
71. الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، سنة 1404هـ.
72. من تفسير وتأملات الآباء الأولين، القمص ملطي، تادرس يعقوب، (د. ط)، (د. ت).
73. من سيناء إلى موآب، الخوري، بولس الفغالي، ط1، بيروت، المكتبة البولسية، 1996م.
74. مُنُوْ سُممْرتي (كتاب الهندوس المقدس) ترجمة إحسان حقي، (د. ط) دار اليقظة العربية للتأليف والنشر (د. ت).
75. المواقف في علم الكلام، الإيجي، عبدالرحمن، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، (د. ت).
76. الموت والخلود في الأديان المختلفة، زكي، عزت، (د. ط)، القاهرة، دار النشر للكنيسة الأسقفية، 1972م.
77. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1419هـ/1999م.
78. الموسوعة الفقهية الكويتية، (د. ط)، وزارة الأوقاف، الكويت، 1404هـ.
79. النظام الطبقي في البرهمية عرض ونقد، بوتابل، عبدالرحمن محي الدين، ماجستير، مكة المكرمة، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، 1414هـ/1994م.
80. همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنّا مسعد، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ/183م.
81. الهندوسية عرض ونقد، العلي، محمد عبدالعزيز، ماجستير، الرياض، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، 1408هـ.

82. الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، زكريا، أبو بكر محمد، ط1، جدة، دار الأوراق الثقافية، 1437هـ/2016م.

83. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، 1994م.

84. اليهودية، شلبي، أحمد، ط8، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، سنة 1988م.

أحكام التخارج في الشركات الحديثة دراسة فقهية مقارنة

إعداد

د. مسفر بن سعد بن مسند الجروي

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة بكلية الشريعة والقانون بجامعة الجوف

المستخلص:

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه أما بعد: فهذا البحث لتوضيح الأحكام المتعلقة بالتخارج من خلال تبيين آراء العلماء، وتوضيح الراجح من قولهم، ولقد اعتمدت المنهج الاستقرائي في تتبع أقوال الفقهاء وإقامة الأدلة على ما خلصت إليه، بالإضافة إلى المنهج التأصيلي في تكييف طبيعة عقد التخارج.

وبينت في هذا البحث أن الأئمة الأربعة قد أجازوا التخارج في الميراث في الجملة على اختلاف بينهم في بعض أحكامها.

وكانت أهم الشروط المتفق عليها لصحة التخارج أن تكون التركة -محل التخارج- معلومة.

كما وضحت الحكم في الشركات المعاصرة بأنواعها، وأنها لا تخرج في قواعدها وأسسها عن القواعد الشرعية للشركات الواردة في الفقه الإسلامي، ولذلك نقول بجوازها ومشروعيتها.

وكانت أهم القواعد الحاكمة لقضية التخارج قاعدة: "الأصل في العقود الإباحة".

وقد رأيت أن عقد التخارج لا يخرج عن أحد الاحتمالات الأربعة الآتية: أنه عقد بيع للحصة، أو أنه عقد قسمة للمال الشائع، أو أنه عقد صلح، أو أنه عقد دون تحديد طبيعته، وقد رجحت أنه عقد دون تحديد لطبيعته.

ولقد أوصيت الباحثين بالدراسة والبحث لمعالجة ما يشكل على الشركاء في أموالهم وتبيين أحكام ها، وكذا الحرص والنظر على ما يستجد من نوازل، وتبيين أحكامها للمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: تخارج. شركات. حديثة

Abstract:

The rules of the exit in modern companies are a comparative doctrinal study Praise be to Allah، and he is a prayer and peace for the Prophet Muhammad، the prayers of Allah and his delivery to him، but after: This research is to clarify the provisions related to the leaving through the prophets of the scholars' opinions، and to explain what is likely to be said. The inductive approach has been adopted to track down the words of the jurists and to establish evidence of their findings. In addition to the original approach to adapting the nature of the contract of exit.

In this research، it was stated that the four Imams had been allowed to leave the inheritance، none of whom had violated the terms and conditions.

The most important agreed conditions for the validity of the exit were that the legacy - the place of the exit - is known. Some scholars excluded the situation where the legacy could not be known that the unknown could be reconcilied.

Governance in contemporary companies، whether people، money or mixed، has been made clear، and it is not in its rules and foundations that it deviates from the legitimate rules of the companies contained in the doctrine.

Keywords: takharuj-sharikat-Alhaditha

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اختاره لوحيه، وانتخبه لرسالته، وفضله على جميع خلقه، رفع ذكره مع ذكره في الأولى، وجعله الشافع والمشفع في الآخرة، أفضل خلقه نفسًا، وخيرهم نسبًا ودارًا، فصلى الله على نبينا ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وصلى الله عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه، وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحدًا من أمته بصلاته عليه، فأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، فرض الله علينا طاعته، والتسليم لحكمه.

قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[1]. فهذا البحث المتواضع في فقه الشركات الحديثة وما يستجد فيها من نوازل وهو "التخارج في الشركات الحديثة" فكلمة التخارج لم تأتِ في المعاملات قديمًا وحديثًا، وإنما أتت في الميراث فقط.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه:

1. توضيح الأحكام المتعلقة بالتخارج من خلال تبيين آراء العلماء، وتوضيح الراجح من قولهم.
2. كثرت في العصر الحالي الشركات نتيجة لكثرة الأموال، وينتج عن هذه الكثرة بعض الإشكالات.
3. يمثل التخارج مخرجًا لكثير من حالات فض الشركات العائلية ما يدفع التنازع ويدرأ الخصام ، ويجنبهم الوقوع في الحرام ، فكان جديرًا بالبحث.

أسباب اختيار الموضوع:

وكان من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ما يأتي:

(1) النساء: الآية 65.

1. عدم وجود بحث معاصر مستقل يشتمل على كافة أحكام التخارج في الشركات.
2. حاجة الناس إلى تبين أحكام التخارج.
3. معرفة أحكام النوازل المتعلقة بالشركات الحديثة التي يقع فيها بعض النزاعات ويريدون التخارج.

مشكلة البحث:

قلة المراجع في أحكام التخارج عند المتقدمين والمتأخرين مما زاد صعوبة في البحث وحل بعض الاشكالات التي تحصل او قد تحصل في الشركات الحديثة والتأصيل الفقهي لهذا لتخارج في الشركات الحديثة فصور التخارج عند الأئمة الاربعة الأعلام في أحكام التخارج في المعاملات المالية انه قد يؤدي إلى الاختلاف والنزاع والشقاق لمن اقتصر إدراكه على رأي من الآراء، وجهله في الآراء الأخرى والتي قد تكون راجحة في القضية ذاتها، فكان بحثي هذا معالجة وتبيين لهذه المشكلة، وتوضيحًا لأحكام التخارج كافة وفق مذاهب الأئمة الأربعة، مما يرفع حالة الإنكار والشقاق بإذن الله تعالى.

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن أسئلة عديدة تدور حول أحكام التخارج، من بينها ما يأتي:

1. ما مشروعية التخارج؟.
2. ما الحكم التكليفي للتخارج؟.
3. من الذي له حق التخارج؟.
4. ما الألفاظ التي لها صلة بالتخارج؟.
5. ما صور التخارج عند المذاهب الأربعة؟.
6. ما صور التخارج في الشركات الحديثة؟.
7. ما التأصيل الفقهي للتخارج في الشركات الحديثة؟.

أهداف البحث:

من أهم الأهداف التي آثرت البحث من أجلها ما يأتي:

1. معرفة أحكام التخارج في الشركات الحديثة.
2. التسهيل على أصحاب الأموال وأصحاب الشركات في معرفة أحكام التخارج في بحث مستقل يسهل عليهم تناوله.

3. المنطلقات التي اعتمدتها في تأصيل التخارج في الشركات التبيين للأمة من العلماء وطلبة العلم لرفع الحرج عن الشركاء بالتخارج مما يحل بعض الاشكالات.

الدراسات السابقة:

1. بحث "خروج الشريك من الشركة في النظام السعودي"، باسم زينب عبد العزيز الحميدي، رسالة ماجستير في القانون الخاص، كلية الشرق العربي.
2. بحث "التصرف بالأسهم والحصص في الشركات بيعًا وهبة"، للباحث عباس مرزوك فلسح العبيدي، جامعة بغداد، كلية القانون.
3. بحث "التخارج في الأسهم المختلطة"، لمحمد جنيد محمد نوري، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية والإدارية.
4. بحث "أحكام التخارج من الصناديق الاستثمارية الإسلامية: دراسة شرعية"، للباحث حمد عاصم أحمد محمد، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة.
5. بحث "عقد التخارج: دراسة قانونية مقارنة في إطار القانون المدني العراقي وقانون المعاملات المدنية الإماراتي"، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلة الشريعة والقانون، صالح أحمد اللهيبي.

طريقة الدراسة ومنهج البحث:

كان منهج كتابة البحث يقوم على النحو الآتي:

1. اعتمدت المنهج الاستقرائي في تتبع أقوال الفقهاء وإقامة الأدلة على ما خلصت إليه، بالإضافة إلى المنهج التأصيلي في تكييف طبيعة عقد التخارج.
2. وضحت مسائل التخارج بحيث يسهل على القارئ فهمها.
3. المقارنة بين آراء الأئمة الأربعة في أحكام التخارج وصوره مبينًا مدى الاتفاق بينهم والاختلاف، مع ذكر الأدلة والقول الراجح.
4. قسمت المادة العلمية إلى مباحث ومطالب كما هو مبين في الخطة.
5. عزوت الآيات القرآنية إلى صورها مع بيان رقم الآية.
6. خرجت الأحاديث النبوية من أصول المصادر المعتمدة مبينا درجة الحديث.

خطة البحث:

لقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومباحث وخاتمة وفهارس.

- المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث، وأسباب اختيار هذا الموضوع، وهدف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- التمهيد: جعلته للتعريف بمصطلحات البحث ومدخلا للتخارج، وفيه مطالب خمسة:
  - المطلب الأول: تعريف التخارج لغة واصطلاحا.
  - المطلب الثاني: مشروعية التخارج.
  - المطلب الثالث: الحكم التكليفي للتخارج.
  - المطلب الرابع: الذي له حق التخارج.
  - المطلب الخامس: شرط صحة التخارج.
- المبحث الأول: صور التخارج في المذاهب الأربعة، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: صور التخارج عند الحنفية.
  - المطلب الثاني: صور التخارج عند المالكية.
  - المطلب الثالث: صور التخارج عند الشافعية.
  - المطلب الرابع: صور التخارج عند الحنابلة.
- المبحث الثاني: الشركات القديمة في المذاهب الأربعة، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: الشركات القديمة عند الحنفية.
  - المطلب الثاني: الشركات القديمة عند المالكية.
  - المطلب الثالث: الشركات القديمة عند الشافعية.
  - المطلب الرابع: الشركات القديمة عند الحنابلة.
- المبحث الثالث: الشركات الحديثة، وفيه خمسة مطالب:
  - المطلب الأول: أنواع الشركات المعاصرة.
  - المطلب الثاني: أنواع الشركات التجارية.

- المطلب الثالث: أنواع شركات الأشخاص.
- المطلب الرابع: أنواع شركات الأموال.
- المطلب الخامس: أنواع الشركات العامة.

- المبحث الرابع: شركات الأشخاص، مميزاتها وأحكام ها، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: مميزات شركات الأشخاص.
- المطلب الثاني: الحكم الشرعي للشركات المعاصرة.
- المطلب الثالث: أسباب انقضاء الشركة وانتهائها.

- المبحث الخامس: التأصيل الفقهي للتخارج في الشركات الحديثة، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: القواعد الحاكمة لقضية التأصيل الفقهي للتخارج في الشركات الحديثة.
- المطلب الثاني: صور التخارج في الشركات الحديثة.
- المطلب الثالث: الخلاف في صور التخارج في الشركات الحديثة.

- المبحث السادس: التأصيل الفقهي للتخارج في الشركات الحديثة، وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: التخارج عقد بيع للحصة.
- المطلب الثاني: التخارج عقد قسمة للمال الشائع.
- المطلب الثالث: التخارج عقد صلح.
- المطلب الرابع: التخارج عقد دون تحديد طبيعته.

- الخاتمة: ذكرت فيها نتائج البحث، والتوصيات.

- الفهارس: وتحتوي على فهارس الكتب والمراجع.

التمهيد: تعريف بمصطلحات البحث، ومدخل للتخارج:

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التخارج لغة واصطلاحا:

التخارج لغة: الخروج: ضد الدخول، مأخوذ من خرج خروجا ومخرجا، قال الجوهري: قد يكون المخرج موضع الخروج. والتخارج: مصدر تخارج، يقال: تخارج القوم: إذا أخرج كل واحد نفقة على قدر نفقة الآخر. وتخارج الشركاء: خرج كل شريك من شركته عن حقه إلى شريكه بالبيع(1).

اصطلاحًا: عرف الفقهاء التخارج: بأن يصالح الورثة بعضهم بعضا على أن يخرج أحدهم بشيء معين من التركة(2).

المطلب الثاني: مشروعية التخارج:

دلت أحاديث عديدة على مشروعية التخارج، منها:

1. أثر ابن عباس أنه قال: يتخارج الشريكان وأهل الميراث؛ قال أبو عبيد: يقول إذا كان المتاع بين ورثة لم يقتسموه أو بين شركاء، وهو في يد بعضهم دون بعض، فلا بأس أن يتبايعوه، وإن لم يعرف كل واحد نصيبه بعينه ولم يقبضه؛ قال: ولو أراد رجل أجنبي أن يشتري نصيب بعضهم لم يجز حتى يقبضه البائع قبل ذلك؛ وحدث الزهري بسنده عن ابن عباس، قال: لا بأس أن يتخارج القوم في الشركة تكون بينهم فيأخذ هذا عشرة دنانير نقدا (3).

2. ما روي أن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية في مرض موته، ثم مات وهي في العدة، فورَّثها عثمان -رضي الله تعالى عنه- مع ثلاث نسوة أُخر، فصالحوها عن ربع ثمنها على ثلاثة وثمانين ألفا. قيل من الدنانير، وقيل من الدراهم(4).

---

(1) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب"، فصل الخاء، (ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ)، 2: 249.

(2) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، "البناية في شرح الهداية"، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،2000م) 10: 38؛ و"العناية شرح الهداية"، 8: 439؛ والجرجاني، "التعريفات"، 1: 54.

(3) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، "صحيح البخاري" كتاب الحوالات في باب الحوالة، وهل يرجع في الحوالة، (ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ)، 3: 94.

(4) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، "الموطأ"، (ط1، الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 1425هـ)، 2: 571. مالك عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف. ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج، "المصنف"، 7: 62، ورواه الشافعي عن مسلم بن خالد عن ابن جريج به. وسماها "تماضر"، ورواه من طريق أخرى عن مالك، 2: 60. ورواه البيهقي في الكبرى بالروايتين معا، "السنن الكبرى"، 7: 362، ورواه سعيد بن منصور من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف، سنن سعيد ابن منصور، القسم الأول من المجلد الثالث، 2: 66.

المطلب الثالث: الحكم التكليفي للتخارج:

أجاز الحنفية التخارج سواء كان قليلًا أو كثيرًا، ومن الأئمة الاربعة من جعل له قيودًا ولم يجيزوه مطلقًا، واستدل الحنفية بأثر عثمان بن عفان في زوجة عبد الرحمن بن عوف تماضر "قال في الهداية: "وإذا كانت الشركة بين ورثة فأخرجوا أحدهم منها بمال أعطوه إياه والتركة عقار أو عروض جاز قليلا كان ما أعطوه إياه أو كثيرا"؛ لأنه أمكن تصحيحه بيعا. وفيه أثر عثمان، فإنه صالح تماضر الأشجعية امرأة عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- عن ربع ثمنها على ثمانين ألف دينار"(1).

التخارج جائز عند التراضي، والأصل في جوازه ما روي أن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية في مرض موته، ثم مات وهي في العدة، فورَّثها عثمان -رضي الله تعالى عنه- مع ثلاث نسوة أُخر، فصالحوها عن ربع ثمنها على ثلاثة وثمانين ألفا. قيل من الدنانير، وقيل من الدراهم(2).

المطلب الرابع: من له حق التخارج:

التخارج عقد صلح، وهو يعد من عقود المعاوضات، ولكن يشترط فيمن يملك التخارج شروطاً.

أن يكون المتخارج عاقلًا غير محجور عليه، فلا يكون التخارج من الصبي الذي لا يميز، ولا من المجنون، ومن على شاكلته(3).

الدليل من القرآن قوله تعالى: (لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) . (4).

قال صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاثةٍ: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، أي يبلغ»(5).

ورفع القلم يعني عدم الاعتبار بما فعل واتخذ، والعقود أحكام والتزامات، ومن كان غير مؤاخذ عن تصرفاته فليس أهلًا لإنشائها.

---

(1) علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، "الهداية في شرح بداية المبتدي"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 3: 198.

(2) سبق تخريجه.

(3) "الموسوعة الفقهية"، 11: 6.

(4) النساء: الآية 6.

(5) رواه أبو داود: في كتاب الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، رقم: 4401. له طرق أقواها طريق عائشة رضي الله عنها، رواه إبراهيم عن الأسود عنها أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر»، وفي لفظ: «يحتلم»، وفي لفظ: «يبلغ». ورواه الأئمة: أحمد في "مسنده"، وأبو داود في "سننه" في (الحدود) والنسائي، وابن ماجه في "سننهما" في (الطلاق) والحاكم في "مستدركه" في البيوع، وأبو حاتم وابن حبان في "صحيحه" بإسناد حسن، بل (صحيح) متصل كلهم علماء. "البدر المنير"، 3: 226.

أن يكـون مختـارًا للتخـارج: أي أن يكـون قاصـدًا لمـا يقـوم بـه بحريتـه ورغبتـه فـي بيعـه وشـرائه، راضيًـا بهذا التعامل الذي أقدم عليه.

ودليـل ذلـك قولـه تعالـى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)(1).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما البيع عن تراض»(2). أي يكون التراضي للمتبايعين عن رضا بينهم.

لكـن بيـع وشـراء المكـره انتفـى منـه هـذا الشـرط وهـو الرضـا؛ فـلا يصـح بيـع المكـره، ومـما يوضـح الرضـا ويبينـه فـي البيـع هـو القـول أو الفعـل الـذي يكـون مظنـة فـي النطـق الـذي نطـق بـه أو فعلـه الـذي أخـذ بـه ورد، فـإذا لـم يوجـد النطـق والفعـل لـم يكـن هـذا البيـع معتبـرًا بعـدم وجـوده، ولـم يصـح هـذا البيـع. ومثلـه بيـع الهـازل الذي تلفظ به فلا يعتبر البيع؛ لأنه غير قاصد فلا ينعقد البيع.

ويكـون هنـاك اسـتثناء مـن هـذا القيـد فـي الإكـراه، وهـو عندمـا يكـون الإكـراه بحـق، كالمماطـل فـي حقـوق النـاس، فـإن القاضـي يكـون لـه الحـق فـي إكـراه هـذا المماطـل وإجبـاره علـى بيـع مـا لديـه، ويكـون هـذا البيـع صحيحا ويحل رضا الشارع مكان العاقد لأخذ حقوق الناس ووفائها(3).

ولا بـد أن يكـون مـع الرضـا -كـما نصـت عليـه الآيـات والأخبـار أن يكـون مالـكًا للـذي تخـارج عليـه. أمـا تصـرف الفضولـي ففيـه خـلاف بيـن الفقهـاء، منهـم المجيـز مـع إيقافـه علـى إجـازة المالـك وهـم الحنفيـة، فقالـوا فـي بدائـع الصنائـع: "فهـو أن يكـون المبيـع مملـوكا للبائـع فـلا ينفـذ بيـع الفضولـي لانعـدام الملـك والولايـة لكنـه ينعقد موقوفـا علـى إجـازة المالـك"(4). والمالكيـة يوافقـون الحنفيـة فـي بيـع الفضولـي وتقييـده بإجـازة المالـك لهـذا البيـع، فقالـوا فـي إرشـاد السـالك: "يصـح بيـع مميـز موقوفًـا علـى إجـازة وليـه، وبيـع الفضولـي وابتياعـه موقوفًـا علـى إجـازة المالـك"(5). ومنهـم المانـع لهـذا التصـرف القائـل بعـدم صحتـه، وهـم الشـافعية، فقالـوا فـي السـراج الوهـاج ببطـلان البيـع؛ لأن الشـرع لا يحـل لـه ذلـك، مـع أنهـم قـد أجـازوا تصـرف الفضولـي وبيعـه فـي المذهـب القديـم ووافقـوا الحنفيـة والمالكيـة فـي توقفـه علـى إجـازة المالـك فقالـوا: "فبيـع الفضولـي باطـل؛ لأن الشـارع لـم يثبـت لـه حـق التصـرف، وفـي القديـم موقـوف إن أجـاز مالكـه أي المبيـع أو وليـه"(6). أمـا الحنابلـة فوافقـوا الشـافعية فـي الجديـد ببطـلان هـذا التصـرف وعـدم إجازتـه، فقـال فـي المحـرر: "ولا يصـح تصـرف الفضولـي لغيـره ببيـع ولا شـراء ولا نكاح إلا شراؤه له في الذمة إذا لم يسمِّه في العقد فإنه يصح، ثم إن أجازه المشتري له ملكه(7).

(1) النساء: الآية 29.

(2) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، "سنن ابن ماجه" في التجارات، باب: بيع الخيار، (ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ)، 3 : 305 رقم: 2185.

(3) الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، "الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي"، (ط4، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، 1413هـ)، 6: 12.

(4)علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، (ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ) 5: 148.

(5) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، "إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك"، (ط1، الرياض: دار السلف، 1373هـ)، 1: 80.

(6) محمد الزهري الغمراوي، "السراج الوهاج على متن المنهاج"، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، 1: 175.

(7) عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، "المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد"، (ط2، الرياض: مكتبة المعارف، 1414هـ)، 1: 310.

المطلب الخامس: شرط صحة التخارج:

التخارج إذا كان العقد فيه عقد صلح فإنه يشترط فيه أن تكون التركة -محل التخارج- معلومة؛ إذ التخارج في الغالب بيع في صورة صلح؛ فلا يصح الصلح على مجهول، واستثنى بعض الفقهاء حالة تعذر معرفة التركة فأنه يجوز الصلح على المجهول، فقال الحنفية بصحة الصلح على مجهول إذا كان معلومًا فقالوا: "ويجوز الصلح عن مجهول؛ لأنه إسقاط ولا يجوز إلا على معلوم؛ لأنه تمليك فيؤدي إلى المنازعة(1).

وقال المالكية في الصلح على المجهول بالجواز إذا لم يعلم ولم يستطيعوا معرفته، ففي هذه الحال يصح الصلح، أما إذا كانوا يعلمون قدره وعرفوه فإن هذا الصلح لا يجوز على هذه الحالة لأنهم غير عاجزين عن الذي يتصالحون من أجله، فقالوا في المدونة: "ومن ادعى حقا في دار بيد رجل فصالحه منه فإن جهلاه جميعا جاز ذلك، وإن عرف المدعي دعواه منها فليسمّه، وإن لم يسمّ بطل الصلح ولا شفعة فيه، والزوجة إن صالحت الورثة على ميراثها، فإن عرفت هي وجميع الورثة مبلغ التركة جاز الصلح، وإن لم يعرفوه لم يجز لها"(2).

وقال الشافعية بعدم الصلح على مجهول وعدم جوازه؛ لأنه عقد معاوضة والجهالة معه لا تصح فقال في الحاوي: "ولأنه نوع معاوضة لا يصح مع الجهالة فوجب أن لا يصح مع الإنكار كالبيع. ولأن الصلح لما لم يجز على مجهول الوصف فأولى أن لا يجوز على مجهول العين"(3).

بينما الحنابلة قالوا في الصلح على مجهول: إنه يصح سواء كان عينًا أو دَينًا، ولكنهم لم يجيزوا الصلح إلا مع عدم العلم والمعرفة، فهم يوافقون المالكية في قولهم، يقول ابن قدامة في المغني: "ويصح الصلح عن المجهول، سواء كان عينًا أو دينًا، إذا كان مما لا سبيل إلى معرفته"(4).

المبحث الأول: صور عقد التخارج عند المذاهب الأربعة:

و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صور التخارج عند الحنفية:

الصورة الأولى: أن تكون التركة عروضًا وعقارًا سواء كانت قليلة أو كثيرة فإنه يجوز فيها التخارج بين الورثة سواء كان مالًا أو عقارًا أو منقولًا أو عروضًا، فقال في الهداية: «وإذا كانت الشركة بين ورثة

(1) عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي، "الاختيار لتعليل المختار"، (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1356هـ)، 3: 6.

(2) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب، "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، (ط3، دار الفكر، 1412هـ)، 5: 80.

(3) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، "الحاوي الكبير"، (ط1، بريوت: دار الكتب العلمية، 1419هـ)، 6: 370.

(4) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، "المغني"،(القاهرة: مكتبة القاهرة، 1388هـ)، 4: 368.

فأخرجوا أحدهم منها بمال أعطوه إياه -والتركة عقار أو عروض-جاز قليلًا كان ما أعطوه إياه أو كثيرًا"؛ لأنه يحصل به التصحيح ليكون بيعًا. وفيه أثر عثمان، فإنه صالح تماضر الأشجعية امرأة عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-عن ربع ثمنها على ثمانين ألف دينار"(1). فهذه هي الصورة التي يجوز التخارج فيها سواء كان التخارج أقل من نصيب الوارث أو أكثر.

الصورة الثانية: ومن الصور التي أباحوا التخارج فيها اختلاف الجنس كأن تكون التركة ذهبًا وأعطي فضة أو فضة وأعطي ذهباً، فإنه يجوز فيه التخارج ولا عبرة بالتساوي قال: "وإن كانت التركة فضة فأعطوه ذهبا أو كانت ذهبا فأعطوه فضة فهو كذلك"؛ لأنه بيع الجنس بغير جنسه فلا يشترط التساوي ويشترط التقابض في مجلسهم؛ لأنه صرف، أما الذي في يده بقية التركة إن كان جاحدا فإنه يكتفي بذلك القبض؛ لأنه قبض يكون به ضامنًا فيكون عن قبض الصلح وإن كان مقرًا لا بد من إعادة القبض؛ لأنه قبض أمانة فلا يكون عن قبض الصلح، فقال في الهداية: "وإن كانت التركة ذهبا وفضة وغير ذلك فصالحوه على ذهب أو فضة فلا بد أن يكون ما أعطوه أكثر من نصيبه من ذلك الجنس حتى يكون نصيبه بمثله والزيادة بحقه من بقية التركة" اجتنابًا وبعدًا عن الربا، لكن يشترط التقابض فيما يقابل نصيبه من الذهب والفضة؛ لأنه صرف في هذا القدر، ولو كان بدل الصلح عرضًا جاز مطلقًا لعدم الربا، ولو كان في التركة دراهم ودنانير وبدل الصلح دراهم ودنانير أيضا جاز الصلح كيفما كان؛ صرفًا للجنس إلى خلاف الجنس كما في البيع لكن يشترط التقابض للصرف"(2).

الصورة الثالثة: إذا كانت التركة ذهبا وفضة وعروضًا وغيرها وصُولح على أحد النقدين فاشترطوا أن يكون العطاء أكثر من نصيبه من ذلك الجنس ليكون نصيبه مثله والزيادة بحقه من بقية التركة وإن كان مساويًا أو أقل من نصيبه أو لا يعلم مقداره فإنه يكون الصلح باطلا لعين الربا فيه، قال في الهداية: "وإن كانت التركة ذهبا وفضة وغير ذلك فصالحوه على أحد النقدين فلا بد أن يكون ما أعطوه أكثر من نصيبه من ذلك الجنس ليكون نصيبه بمثله والزيادة بحقه من بقية التركة، فإن كان مساويا لنصيبه أو أقل أو لا يعلم مقدار نصيبه بطل الصلح لوجود الربا، أما إذا كان مساوياً فلزيادة العروض وإذا كان أقل فلزيادة العروض وبعض الدراهم، وإن كان مجهولا ففيه شبهة ذلك فتعذر تصحيحه بطريق المعاوضة، ولا يصح بطريق الإبراء أيضًا لما مر، ولا بد من التقابض فيما يقابل حصته من الذهب والفضة؛ لأنه صرف في هذا القدر"(3).

الصورة الرابعة: في هذه الصورة من صور التخارج إذا كانت التركة دراهم ودنانير وتم التبادل، يعني لا يشترطون التساوي والزيادة ويصح فيه الصلح بشرط التقابض، "ولو كان في التركة دراهم ودنانير وبدل الصلح دراهم ودنانير أيضا جاز الصلح كيفما كان" في هذه الصورة لا يشترط التساوي والزيادة قلت أو كثرت فيصح الصلح صرفا"(4).

(1) المرغيناني، "الهداية في شرح بداية المبتدي"، 3: 198.

(2) المرغيناني، "الهداية في شرح بداية المبتدي"، 3: 198.

(3) المرغيناني، "الهداية في شرح بداية المبتدي"، 3: 198.

(4) العيني، "البناية في شرح الهداية"، 10: 39.

الصورة الخامسة: إذا كانت الأعيان في التركة غير معلومة فصُولح على المكيل أو الموزون فقد اختلفوا في هذه الصورة ما بين مجيز وغير مجيز. وعلة الذين لا يجيزون احتمال وجود الربا، وعلة المجيزين أنه لا يمنع من الصلح بسبب الشبهة فقالوا: "إذا لم يكن في التركة دين على الناس ولكن أعيان التركة ليست معلومة فصالح بعض الورثة من نصيبه على كيليّ كالحنطة والشعير ووزنيّ كالحديد والصفر، فهل يجوز هذا الصلح أم لا؟ اختلف المشايخ فيه، قيل: لا يجوز لاحتمال الربا، وقيل: يجوز؛ لأنه شبهة الشبهة"(1).

الصورة السادسة: إذا كانت التركة ليست مكيلاً ولا موزونًا ولكنها أعيان مجهولة فإنه لا يجوز فيه الصلح بسبب جهالة المصالح عليه، "ولو كانت التركة غير المكيل والموزون لكنها أعيان غير معلومة قيل: لا يجوز لكونه بيعا"(2).

المطلب الثاني: صور التخارج عند المالكية:

المالكية يميزون بين أن يكون التخارج من نفس التركة، وبين أن يكون من غيرها.

أولًا: إذا كان التخارج من نفس التركة فلها ثلاث صور:

الصورة الأولى: الصلح على عرض من عروض التركة فيكون هذا الصلح جائزًا مطلقًا سواء كان قدر النصيب أو أقل أو أكثر، فهذه هي الصورة الأولى التي يصح فيها التخارج(3).

الصورة الثانية: الصلح على ذهب من ذهب التركة وكان الصلح زائدًا عن النصيب وقدر هذه الزيادة أكثر من دينار، فهذا الصلح جائز بشرط معلومية التركة وحضورها(4).

الصورة الثالثة: الصلح، أي التخارج إذا أخذ مقدار نصيبه من التركة ذهبًا أو أقل من نصيبه أو أخذ من التركة دراهم مقدار نصيبه أو أقل من نصيبه دراهم، ففي هذه الحالة يصح التخارج؛ لأن ما استغني عنه من نصيبه كان بمنزلة الهبة للوارث، ولكن مع هذا التنازل اشترط الفقهاء حضور الذهب كله الذي أعطي منه أو تكون الدراهم حاضرة كلها(5).

ثانيًا: إذا كان التخارج من غير التركة:

إذا كان التخارج من غير التركة فإنه يختلف باختلاف حالاته، وهي كالتالي:

الصورة الأولى: إذا كانت التركة فضة وعروضا وذهبا، وصُولح من الورثة بفضة غير فضة التركة أو بذهبٍ

(1) العيني، "البناية في شرح الهداية"، 10: 41.

(2) العيني، "البناية في شرح الهداية"، 10: 41.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، "حاشية الصاوي على الشرح الصغير"، (القاهرة: دار المعارف)، 2: 150.

(4) الصاوي، "حاشية الصاوي على الشرح الصغير"، 2: 150.

(5) الصاوي، "حاشية الصاوي على الشرح الصغير"، 2: 150.

غير ذهب التركة فإنه في هذه الصورة لا يجوز الصلح؛ لأنه بيع ذهب وفضة وعرض بذهب أو فضة وهذا ربا الفضل، وفيه ربا النسيئة إن غابت التركة كلها أو بعضها(1).

الصورة الثانية: إذا كانت التركة عروضًا وصولح على عروض من غير التركة ففي هذه الحالة يجوز هذا الصلح ولكن يشترط شروط مقابل هذا الصلح، وهي:

1. معلومية التركة للورثة، فلا تصح الجهالة في التركة.
2. حضور التركة حكمًا في العروض وحقيقة في العين.

فإذا تحقق هذان الشرطان كان التخارج صحيحًا(2).

الصورة الثالثة: إذا كانت التركة ذهبًا وعروضًا أو دراهم وعروضًا فإنه يصح الصلح بذهب غير ذهب التركة أو بفضة غير فضة التركة بشرط واحد، وهو: أن لا يجتمع البيع والصرف في أكثر من دينار(3).

المطلب الثالث: صور التخارج عند الشافعية:

التخارج عند الشافعية بين الورثة على ضربين، هما:

1. أن يكون الصلح عن إقرار.

فإذا كان البدل غير المتصالح عليه فهذا بيع وله أحكام البيع، وإذا كان الصلح على بعض المتصالح عنه فهو هبة وتثبت فيه أحكام الهبة(4).

2. أن يكون الصلح عن إنكار.

فهذا الصلح باطل عندهم، واستثنوا من هذا الصلح بين الورثة أمورًا، هي:

1. ضرورية هذا الصلح.
2. أن يكون المتصالح عليه من نفس التركة.
3. عدم التفرقة إذا كان الصلح مساويًا أو متفاوتًا(5).

---

(1) محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي، "لوامع الدرر في هتك أستار المختصر"، (ط1، موريتانيا: دار الرضوان، 1436هـ)، 9: 546.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، "شرح مختصر خليل للخرشي"، (بيروت: دار الفكر للطباعة)، 6: 7.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عليش، "منح الجليل شرح مختصر خليل"، (بيروت: دار الفكر، 1409هـ)، 6: 153.

(4) عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، "فتح العزيز بشرح الوجيز = الشرح الكبير"، (بيروت: دار الفكر)، 10: 302؛ وجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، "المهمات في شرح الروضة والرافعي"، (ط1، بيروت" دار ابن حزم، 1430هـ)، 5: 447.

(5) زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، "أسنى المطالب في شرح روض الطالب"، (دار الكتاب الإسلامي)، 2: 216.

المطلب الرابع: صور التخارج عند الحنابلة:

لم يذكر الحنابلة صورًا للتخارج، ولكن التخارج عندهم يكون على طريقة الصلح العامة، فقد يكون في الهبة أو البيع أو الإبراء.

فقالوا: يصح أن يكون الذي تصالحوا عليه من جنسه ومن غير جنسه(1).

فإذا كان من جنسه الذي هو له فهو استيفاء له، فإذا كان أقل من حقه فقد أخذ بعضه وترك بعضه على سبيل الهبة أو الإبراء(2). وإذا كان من غير جنسه الذي تصالح عليه فهو بيع في حقه(3).

وهناك تفريق بين الصلح على إنكار والصلح على التراضي؛ فشروط الصلح على الإنكار شرطان:

1. ألا يأخذ أكثر من حقه، أي الجنس نفسه؛ لأن الزيادة ظلم فلا يحق له هذه الزيادة.
2. إن أخذ من غير جنسه يجوز له أن يأخذ أكثر من حقه أو أقل منه؛ لأنه يعتبر بيعًا في حقه(4).

المبحث الثاني / التعريف بالشركات القديمة في المذاهب الأربعة:

و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشركات القديمة عند الحنفية:

الشركة: هي الاجتماع في استحقاق أو تصرف.

وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع؛ أما الكتاب فقول الله تعالى: فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ (5). أي يكونون شركاء في هذا الثلث من المال الموروث يقسم بينهم، وقال الله تعالى: وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ (6)، والمقصود بالخلطاء هم الشركاء.

وحكمها التكليفي على الجواز ، فدلت الآية على صدق ونزاهة بعض الشركاء، وفي المقابل الظلم وأخذ الحقوق بغير وجه حق كما دلت عليه الآية، ثم بينت ووضحت السنة النبوية جواز الشركة في قوله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما»(7). فالله يكون هو ثالث الشركاء الصادقين العارفين للحلال والحرام؛ فالنماء والبركة في مالهم مالم تحصل الخيانة.

(1) ابن قدامة، "المغني"، 4: 358.

(2) ابن قدامة، "المغني"، 4: 359.

(3) ابن قدامة، "المغني"، 4: 359.

(4) المرجع السابق.

(5) النساء: الآية 12.

(6) ص: الآية 24.

(7) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، "المستدرك"، في كتاب البيوع، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ) برقم: 2322، وصححه، قال ابن القطان في "كتابه": وهو حديث إنما يرويه أبو حيان التيمي عن أبيه عن أبي هريرة، وأبو حيان هو يحيى بن سعيد بن حيان، أحد الثقات، ولكن أبوه لا يعرف له حال، نصب الراية، 3: 474.

الحنفية يقسمون الشركات إلى أصلين، ويتفرع من كل أصل عدد من الشركات.

الأصل الأول: شركة الأملاك، وهي نوعان:

1. نوع ثابت بسبب فعل الشريكين، فقال في بدائع الصنائع: "الذي يثبت بفعلهما فنحو أن يشتريا شيئا، أو يوهب لهما، أو يوصى لهما، أو يتصدق عليهما، فيقبلا فيصير المشترى والموهوب والموصى به والمتصدق به مشتركا بينهما شركة ملك".
2. نوع ثابت بغير فعل الشريكين كالميراث، فقال في بدائع الصنائع: "الذي يثبت بغير فعلهما كالميراث بأن ورثا شيئًا، فيكون الموروث مشتركًا بينهما شركة ملك"(1).

الأصل الثاني: شركة العقود:

شركة العقود ثلاثة أقسام:

1. شركة الأموال: هي شراكة تكون بين اثنين برأس مال يكون الاتفاق في هذا المال على الشراء والبيع معًا، أو جعل هذه الشراكة مطلقة والأرباح بينهما على ما يكون عليه الاتفاق بينهما أو موافقة أحدهما على ما يقول الآخر أو يفعله(2).
2. شركة الأعمال: الشراكة على عمل اليد ليس فيه مال بل عمل وجهد، مثل: عمل الخياطة أو القصارة أو غيرهما، فتكون هذه الشراكة على ما حصَّل الآخر على شرط يسمى والرزق بينهما، وتسمى هذه الشركة شركة الأبدان والصنائع والتقبل.
3. شركة الوجوه: وهي شراكة بما لهم من وجاهة عند الناس وليس لديهم مال، وهو أن يقوموا بالشراء نسيئة ويبيعوا نقدًا والربح بينهم على ما يتفقون عليه(3).

وفي هذه الأنواع الثلاثة يدخل في كل نوع شركة المفاوضة وشركة العنان:

- شركة المفاوضة: وهي أن يفوض كل واحد منهم صاحبه في كل المال، وقيل: بمعنى الانتشار واستفاضة الخير، وقيل: بمعنى المساواة للتساوي في المال والتصرف والدين(4). واستدل الحنفية على هذه

(1) الكاساني، "بدائع الصنائع"، 6: 56؛ ومحمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي، "تحفة الفقهاء"، (ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ)، 3، 5؛ والموصلي، "الاختيار لتعليل المختار"، 3: 12.

(2) الكاساني، "بدائع الصنائع"، 6: 56.

(3) محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو، "درر الحكام شرح غرر الأحكام"، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية) 2: 319.

(4) عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي، "اللباب في شرح الكتاب"، (بيروت: المكتبة العلمية) 2: 122.

الشركة بقوله صلى الله عليه وسلم: «تفاوضوا؛ فإنه أعظم للبركة»(1)، وهذا الحديث لا يوجد له أصل في كتب السنة، وإنما وجد في بعض كتب فقهاء الحنفية، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا فاوضتم فأحسنوا المفاوضة»(2) (3).

- شركة العنان: وهي جعل أحد الشريكين التصرف في بعض المال إلى صاحبه دون الباقي مع تساويهما في رأس المال والربح أو التفاوت بينهما في الربح(4).

المطلب الثاني: الشركات القديمة عند المالكية:

الشركات عند المالكية على أربعة أنواع، هي:

1. شركة العنان.
2. شركة المفاوضة.
3. شركة الأبدان.
4. شركة الوجوه(5).

المطلب الثالث: الشركات القديمة عند الشافعية:

الشركات عند الشافعية شركة واحدة فقط وهي العنان، والباقي من هذه الشركات باطلة؛ لما فيها من الجهالة والغرر، ولأن شروط شركة العنان غير متوفرة في هذه الشركات(6).

شركة العنان: هي أن يجعل الشريكان مالا للبيع والشراء فيه، بشرط وجود اللفظ الدال على الإذن في المتاجرة به، فيأذن كل واحد منهما للآخر بشرط الأهلية في كل واحد منهما، ويكون وكيلًا للآخر، ويكون المال بقدر كل واحد منهما، ولا يشترط التساوي(7).

---

(1) غريب، وأخرج ابن ماجه في "سننه في التجارات" عن صالح بن صهيب عن أبيه صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث فيهن البركة: البيع إلى أجل، والمقارضة، وإخلاط البر بالشعير للبيت لا للبيع»، انتهى. ويوجد في بعض نسخ ابن ماجه "المفاوضة" عوض "المقارضة"، ورواه إبراهيم الحربي في كتاب "غريب الحديث"، نصب الراية، 3: 475.

(2) هذا الحديث لم أجد له أصلًا، ويوجد في كتب فقهاء الحنفية كـ "المبسوط"، 13: 366؛ و"شرح فتح القدير"، 13: 460.

(3) السرخسي، "المبسوط"، 11: 152.

(4) السرخسي، "المبسوط"، 11: 152.

(5) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، (القاهرة: دار الحديث)، 4: 38؛ وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، "الكافي في فقه أهل المدينة"، (ط2، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1400هـ)، 2: 784.

(6) الغمراوي، "السراج الوهاج"، 1: 246.

(7) الغمراوي، "السراج الوهاج"، 1: 246.

المطلب الرابع: الشركات القديمة عند الحنابلة:

شركة العقود عند الحنابلة خمسة أقسام، ولا تكون إلا من جائز التصرف.

1. شركة العنان: وهي تساوي الشخصين في مالهما وتصرفهما، وقد ذكر ابن المنذر الإجماع على ذلك(1)، ولكن بشرط معلومية المال لعدم الجهالة والغرر، وكون الربح معلوما مشاعا.
2. المضاربة: قيل: السفر للتجارة، وقيل: أن يضرب كل واحد منهما بسهم في الربح، وقيل: من المساواة والموازنة(2). وقد حكى ابن المنذر الإجماع على جوازها(3)، ولكنهم اشترطوا تقدير نصيب العامل من الربح لعدم استحقاقه إلا بشرط(4).
3. شركة الوجوه: وهي أن يشتري الشريكان بذممهما وجاههما نسيئة وليس لديهما رأس مال، ويكون الربح بينهما على ما اتفقا عليه(5).
4. شركة الأبدان: وهي عمل الشريكين بأبدانهما لحصول المكاسب، وجعلوا هذه المكاسب على ضربين:

الضرب الأول: العمل بأبدانهما وليس لهما مال، فهذا شركة صحيحة.

الضرب الثاني: الشراكة في تملك المباحات، مثل الصيد والاحتطاب(6)، وهذا أيضا شركة صحيحة.

5. شركة المفاوضة: وهي الشراكة في كل شيء، وهي نوعان:

النوع الأول: الكسب النادر كالركاز واللقطة وحصول أحدهما على ميراث أو أرش جناية وغيرها، فهذا الشراكة شراكة فاسدة لما فيها من الجهالة والغرر وعدم ورود الشرع به(7).

النوع الثاني: تفويض الآخر صاحبه في البيع والشراء والمضاربة والرهن والسفر بالمال وضمان الأعمال من الحدادة والخياطة، فهذا الشراكة صحيحة، وقد جمعت بين المضاربة والعنان(8).

المبحث الثالث: الشركات الحديثة:

و فيه خمسة مطالب:

(1) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، "الإجماع"، (ط1، المملكة العربية السعودية: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1425هـ)، 1: 100.
(2) منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، (بيروت: دار الكتب العلمية) 3: 507.
(3) ابن المنذر، "الإجماع"، 1: 102.
(4) البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، 3: 507.
(5) البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، 3: 526.
(6) البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، 3: 528.
(7) البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، 3: 531.
(8) البهوتي الحنبلي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، 3: 532.

المطلب الأول: أنواع الشركات المعاصرة:

تنقسم الشركات من حيث المصلحة والإنشاء إلى نوعين:

1. الشركات المدنية: التي تقوم على الأعمال المدنية، وعملها شراء الأراضي وبيعها وكذلك أعمال المناجم؛ لإيجاد النفع والزيادة من الأرباح التي يعود ريعها للشركاء، وليس لها صفة التاجر ولا تخضع لنظام القانون التجاري، وهي تابعة للنظام الخاص بالأفراد.

2. الشركات التجارية: التي تقوم على الأعمال التجارية، ولها صفة التاجر وتخضع لجميع الواجبات الملزمة على التجار ويطبق عليها نظام القانون التجاري، وهي أهم ولها أهمية أكبر من الشركات المدنية؛ لأن عليها الدور الأكبر والأهم في مجال العمل التجاري، وتمثل الدور الأساس في حياة البشر الاقتصادية(1).

المطلب الثاني: أنواع الشركات التجارية:

تنقسم الشركات التجارية إلى ثلاثة أقسام:

1. شركات الأشخاص: هذه الشركات تقوم على اعتبار شخصي بين شركاء هذه الشركة على تبادل الثقة بينهم، وتقوم بين اثنين أو أكثر تجمعهم الصداقة، وتقوم شركات الأشخاص في العادة على كسب المشاريع الصغيرة والمتوسطة.

2. شركات الأموال: تقوم على الأموال وتعتمد كليًا على المال، وليس لها أي اعتبار بالاعتبارات الشخصية(2).

3. الشركات العامة: وهي شراكة رأس المال الخاص مع رأس المال العام لمصلحة الصالح العام والجهات الفردية معًا، أو يكون للدولة أو بعض المؤسسات العامة بملكية جميع إسهاماتها(3).

المطلب الثالث: أنواع شركات الأشخاص:

شركات الأشخاص ثلاثة أنواع:

1. شركة التضامن: وهي من يعقدها شخصان أو أكثر بقصد المتاجرة على سبيل الشراكة بينهم بمسمًّى خاص يكون اسمًا لها ليكون كل واحد من الشركاء فيها مسؤولًا وملتزمًا بالسداد لجميع ديون هذه الشركة.

( ) "الفقه الميسر"، 6: 162؛ د. سعيد يحيى ، "الوجيز في النظام التجاري السعودي"، ص: 133.

( ) د. مرتضى نصر الله، "الشركات التجارية"، ص: 52.

( ) د. مصطفى طه، "الوجيز في القانون التجاري"، 1: 437.

2. شركة التوصية البسيطة: وهي التي يكون عقدها بين فريقين من الشركاء، شريك أو أكثر متضامنين، عليهم المسئولية الكاملة في إدارة هذه الشركة عن الديون والتعهدات للغير، وشريك أو أكثر موصين، وتكون مسئوليتهم عن ديون الشركة بقدر حصتهم في رأس المال الذي في الشركة.

3. شركة المحاصة: وهي التي يقوم بها الشركاء لوحدهم ولا أثر لها عند الآخرين، ولا يكون لها الشخصية المعنوية، ويحصل إثباتها بجميع الطرق الخاصة بالإثبات(1).

المطلب الرابع: أنواع شركات الأموال:

1. المساهمة: وهي التي يقسمون رأس مالها إلى أقسام متساوية قابلة للتداول ويسمونها أسهمًا، وتكون المسئولية على المسهمين من ناحية سداد الديون لا تتجاوز القيمة المسماة للأسهم.

2. شركة التوصية بالأسهم: هذه الشركة يقسمون رأس المال فيها إلى أسهم، وتضم فريقين من الشركاء: شركاء متضامنون: وهم المسئولون عن كل ما يلزم الشركة، وشركاء موصون، ومسئولية التزامات الشركة تكون في حدود القيمة المسماة التي اكتتبوا من أجلها.

3. الشركة ذات المسؤولية المحدودة: وهي التي لا يزيد عدد الشركاء فيها عن خمسين شريكًا، والمسؤولية فيها على الشريك محدودة بقدر ما دفعه من مال.

المطلب الخامس: أنواع الشركات العامة:

1. شركة الاقتصاد المختلط: وهي الشركة التجارية التي تؤسس غالبًا على طريقة شركة المساهمة، وتكون في غالبية قواعدها خاضعة للنصوص المتعلقة بشركات المساهمة، ويكون رأس مالها والإدارة فيها مشتركًا بين المؤسسات العامة والأفراد.

2. شركة المساهمة العامة: وهي التي تكون ملكيتها للدولة أو بعض المؤسسات العامة، ولقد كانت نشأتها نتيجة للتأميم الذي حصل عند بعض الدول العربية. ولقد زاد النظام السعودي شركات أخرى مثل: الشركة التعاونية والشركة ذاتَ رأس المال القابلة للتغيير.

المبحث الرابع: شركات الأشخاص، مميزاتها وأحكامها:

و فيه ثلاثة مطالب:

(1) مجموعة من المؤلفين، "الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة"، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1424هـ) 6: 164؛ محمد زهدي، "محاسبة شركات الأشخاص"، ص: 15.

المطلب الأول: مميزات شركات الأشخاص:

مما تتميز به شركات الأشخاص عن شركات الأموال أن الشركاء لهم حرية الاختيار لبعضهم بعض بسبب شعور كل واحد منهم نحو الآخر بالعلم والمعرفة في قدرته التجارية وكذلك الأمانة والقدرة المالية، وهذه العلاقة فيما بينهم قوية جدًا، ومما يترتب على تلك الاعتبارات الآتية:

1. لا يحق لأحد الشركاء أن يتنازل عن حصته للغير دون علم ورضا بقية الشركاء في الشركة؛ والسبب أن دخول شخص غريب على الشركاء لا يعلم هل سيتفقون معه أو يختلفون.
2. أن الشركة تنحل بموت أحدهم أو بالحجر عليه أو إشهار إفلاسه، وهذا الإفلاس لا يكون به إفلاس الشركة مالم يكن منصوصًا عليه في العقد.
3. الشريك ومسئوليته في غالب الأمر غير محددة، فالمتضامنون في شركة التضامن أو شركة التوصية عليهم مسئولية التضامن عن الديون التي على الشركة(1).

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للشركات المعاصرة:

إن الشركات المعاصرة سواء كانت شركات الأشخاص أو الأموال أو المختلطة، لا تخرج في قواعدها وأسسها عن القواعد الشرعية للشركات الواردة في الفقه الإسلام؛ ولذلك نقول بجوازها ومشروعيتها؛ لما يأتي:

1. أن الأصل في العقود الجواز والصحة(2)؛ لأن الله تعالى قد أمر بالوفاء بالعقود، فقال تعال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (3).
2. أن السنة قد جاءت بالالتزام بالشروط التي يُتَّفَقُ عليها ولا تخالفُ الشريعةَ الإسلاميةَ، قال صلى الله عليه وسلم: «المسلمون عندَ شروطِهم ما وافق الحقَّ من ذلك»(4).
3. أنه يُستبعد ما خالف الشريعة الإسلامية من شروط وأمور ممنوعة، كاشتراط فائدة ثابتة لأيّ من الشركاء أو توزيع الخسائر بمقتضى اتفاق الشركاء دون اعتبار لمقدار نصيبِ كلِّ شريكٍ في رأس المال، أو كانت الشركة قد أنشئت للتعامل فيما حرم الإسلام من بيع أو شراء أو استيراد أو غير ذلك؛ لتكون الشركة موافقة للقواعد والأسس الشرعية.

---

(1) مجموعة من المؤلفين، "الفقه الميسر"، 6: 166.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني "الفتاوى الكبرى"، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ) 29: 133.

(3) المائدة: الآية 1.

(4) البخاري، "صحيح البخاري"، 2: 135، 37، كتاب الإجارة، 14، باب أجر السمسرة، ذكر البخاري هذه الآثار من حديث: «لا يبع حاضر لباد» إلى حديث: «المسلمون على شروطهم» في ترجمة هذا الباب.

وما يتم من أمور تنظيمية أو إدارية أو غيرها فلا مانع منه؛ لعدم مخالفته للنصوص والقواعد الشرعية.

وقد أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من 7 إلى 12 ذي القعدة 1412هـ - قراره رقم 63 يتناول الإسهام في الشركات وما يتبعه من جوانب تتعلق بالسهم.

وكذلك أصدر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الرابعة عشرة المنعقدة في مكة المكرمة عام 1415 هـ قراره في حكم الإسهام في تأسيس شركة مساهمة ذات أغراض وأنشطة مباحة، وأن ذلك جائز شرعًا؛ لأن الأصل في المعاملات الحِلُّ والإباحةُ(1).

المطلب الثالث: أسباب انقضاء الشركة وانتهائها:

ذكر الفقهاء أسبابًا لانقضاء الشركة: منها موت أحد الشركاء، أو جنونه، أو الحجر عليه لسفه أو فلس، أو انسحاب أحد الشركاء من الشركة غير المؤقتة بمدة، وكذلك عزل أحد الشركاء من الشركة. وهناك أسباب أخرى لانقضاء الشركات المعاصرة، منها:

1. انتهاء المدة التي حددتها الشركة.
2. انتهاء العمل الذي قامت من أجله، أو استحالة تنفيذ العمل.
3. هلاك مال الشركة وخسارته.
4. الاتفاق على إنهاء الشركة قبل انقضاء مدتها.
5. اجتماع الحصص في يد شريك واحد.
6. اندماج الشركة في شركة أخرى.
7. التأميم(2).

وليس هناك ما يمنع من اعتبار هذه الأسباب أسبابًا لانقضاء الشركة، شريطة ألا يكون في ذلك ظلم، وأن يكون تطبيقه مبنيًّا على الحق والعدل. فإذا انتهت الشركة بأي سبب من الأسباب المشار إليها فإنها تصفى وتقسم موجوداتها، ويقوم بذلك من يتفق الشركاء على تعيينه وتحديد صلاحياته، فإذا لم يحصل الاتفاق بين الشركاء على ذلك تولى القاضي تعيينه بناءً على طلب أحدهم، وعلى المصفِّي أن يستوفي ما للشركة من حقوق، وأن يفي بما عليها من ديون، وأن ينجز الأعمال الحالية التي بدأت فيها الشركة، وله أن

(1) مجموعة من المؤلفين، "الفقه الميسر"، 6: 166.

(2) التأميم: هو نقل ملكية الشركة من نطاق الملكية الخاصة إلى الملكية العامة؛ لاستخدامه للمصلحة العامة لا الخاصة. محمد كامل ملش، "الشركات"، ص: 699.

يبيع كل موجودات الشركة منقولًا أو عقارًا، ويلتزم المصفِّي بتقديم حساب عن أعماله إلى الشركاء وبيان الأموال المتبقية، ثم تقسم أموال الشركة بين الشركاء كلٌّ حسب حصته فيها، فإذا لم تكفي أموال الشركة للوفاء بحصص الشركاء فإن الخسارة توزع عليهم جميعًا بحسب مقدار نصيب كل منهم في رأس المال(1).

المبحث الخامس: التخارج في الشركات الحديثة:

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القواعد الحاكمة لقضية التخارج:

القواعد الفقهية والأصولية المستنبطة والمستدل عليها من الكتاب والسنة في هذا الصدد لهذا البحث عديدة، وهذا يدل على سعة وشمولية هذه الشريعة الغراء علمها وفهمها العلماء قديمًا وحديثًا، وأول هذه القواعد:

قاعدة: "الأصل في العقود الإباحة": وهي بمعنى أن المستصحب في هذه العقود الحل والإباحة، وتكون هذه العقود صحيحة ويترتب عليها آثارها ولا يحرم منها شيء إلا ما دل الشرع على بطلانه بالنص والقياس، وهذه القاعدة قال بها شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم، وعليها الكثير من نصوص أحمد والإمام مالك، ويقرب منها كلام الشافعي وبعض الحنيفة(2).

القاعدة: "الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على غير ذلك": عن سلمان الفارسي قال: «سئل رسول الله عن السمن والجبن والفراء فقال: الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرمه الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه»(3). وهذا الخبر يوضح هذه القاعدة الأصولية بأن الأصل هو الحل وأن التحريم عارض لا أصل(4).

القاعدة الفقهية "الضرر يزال": والأصل فيها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»(5)، ويدخل في هذا القاعدة من الفروع الشيء الكثير في باب المعاملات وغيرها، بل تدخل في جميع أبواب الفقه.

---

(1) مجموعة من المؤلفين، "الفقه الميسر"، 6: 168.

(2) د. محمد مصطفى الزحيلي، "القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة"، (ط1، دمشق: دار الفكر، 1427هـ) 2: 815.

(3)ابن ماجه، "سنن ابن ماجه" كتاب الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن، من حديث سلمان الفارسي رقم: 3367، ورواه الترمذي في باب ما جاء في لبس الفراء من حديث سلمان الفارسي رقم: 1726، وقال في جامع الأصول: "صحيح موقوفا: أخرجه ابن ماجه: 3367، والترمذي: 1726، قالا: ثنا إسماعيل بن موسى السدي، قال: ثنا سيف بن هارون، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، فذكره. وقال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله: وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظا، رواه سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سليمان موقوفا، قال البخاري: وسيف بن هارون مقارب الحديث، وسيف بن محمد عن عاصم ذاهب الحديث جامع الأصول، 5: 58.

(4) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "البحر المحيط في أصول الفقه"، (ط1، دار الكتبي للنشر والتوزيع، 1414هـ)، 8: 10.

(5) مالك، "الموطأ"، 2: 745، مرسلا، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق: 31، والبيهقي من رواية أبي سعيد الخدري، 6: 69 – 70، كتاب الصلح، باب لا ضرر ولا ضرار، والدارقطني من رواية أبي سعيد الخدري، 3: 77، كتاب البيوع، والحاكم في "المستدرك"، 2: 58، كتاب البيوع.

المطلب الثاني: صور التخارج في الشركات الحديثة:

للتخارج في الشركات صور عديدة حسب نوع الشركة، فمثلا المادة السابعة والثمانون بعد المائة من نظام الشركات السعودي التي تناولت بالشرح تحول الشركات واندماجها نصت على ما يلي:

1. يجوز تحول الشركة إلى نوع آخر من الشركات بقرار يصدر وفقًا للأوضاع المقررة لتعديل عقد تأسيس الشركة أو نظامها الأساس، وبشرط استيفاء شروط التأسيس والشهر والقيد في السجل التجاري المقررة للنوع الذي حولت إليه الشركة. ويسري على مسهمي الشركة في حالة تحولها إلى شركة مساهمة حكم المادة (السابعة بعد المائة) من النظام، على أن تبدأ مدة الحظر من تاريخ صدور قرار الموافقة على تحويل الشركة. ومع ذلك إذا اقترن تحول الشركة بزيادة في رأس مالها عن طريق الاكتتاب العام، فلا يسري الحظر على الأسهم المكتتب بها عن هذا الطريق.

2. يجوز للشركاء أو المسهمين الذين اعترضوا على قرار التحول طلب التخارج من الشركة.

3. دون إخلال بشروط التأسيس والشهر والقيد المقررة لشركة المساهمة، تحوّل شركة التضامن والتوصية البسيطة وذات المسؤولية المحدودة إلى شركة مساهمة إذا طلب ذلك الشركاء المالكون لأكثر من نصف رأس المال مالم ينص في عقد تأسيسها على نسبة أقل، على أن تكون جميع حصص الشركة التي طلبت التحول مملوكة من ذوي قربى ولو من الدرجة الرابعة. ويكون باطلًا كل شرط يقضي بخلاف ما ورد في هذه الفقرة(1).

يلاحظ أن الفقرة الثانية من هذه المادة أجازت للمعترضين من الشركاء والمسهمين على قرار التحول حق التخارج من الشركة. وعند التخارج فإن الأساس أن يكون للشريك أو الشركاء الراغبين في الاستمرار في الشركة الحق في أن يشتروا حصص الشريك المتخارج قبل غيرهم، وذلك من خلال ممارسة حق "الاسترداد" الذي كفلته لهم المادة (165) من نظام الشركات، وهذا الحق مكفول لمدة ثلاثين يوما من التاريخ الذي يُخطر فيه، فإذا لم يمارس الشركاء هذا الحق جاز للمتخارج أن ينهي إجراءات التخارج مع الشريك الجديد(2).

المطلب الثالث: الخلاف في صور التخارج في الشركات الحديثة:

ينصب في قيمة هذا التخارج أي الثمن الحقيقي الذي ورد في النظام، ومنه ينتج السؤال:

ما قصد النظام من أن للشريك المطالبة باسترداد الحصة بثمنها الحقيقي؟

هل ثمنها الحقيقي هو الثمن المعروض على الشريك المتخارج؟ أم هل هو القيمة الاسمية للحصة؟ أم

(1) نظام الشركات السعودي.

(2) هذه إحدى صورة التخارج، تراجع المادة 165 من نظام الشركات.

القيمة السوقية للحصص؟ وهذه الأسئلة تعد هي الأهم في هذا الباب؛ لأن معظم الخلافات تدور حولها خصوصا عن التباين بين القيمة السوقية والقيمة المعروضة على الشريك المتخارج وكذلك عند تباين الاثنين مع القيمة الاسمية للحصص؛ إذ كثيرا ما يلجأ بعض الشركاء لبعض الحيل لرفع قيمة الحصص خصوصا في الشركات العائلية التي يكون الشريك المتخارج عالمًا بأن الشركاء الآخرين لن يسمحوا لغيرهم أن يدخلوا في الشركة مهما كان الثمن، وبالتالي يقوم برفع السعر المعروض عليه لإجبارهم على مثله، كما أن هنالك إشكالية أخرى ترتبط بالتقييم بالنسبة للشركات التي تملك أصولا عقارية، فهذه الأصول تسجل في حسابات الشركة بقيمتها الاسمية التي شُريت بها، وهذه القيمة قد تكون أقل بمراحل من القيمة الحقيقية للعقار أو القيمة السوقية له، وهو ما سيؤثر على قيمة الحصة بالسالب ما لم يكن الشركاء الآخرون مقدرين ومتفهمين لهذا الأمر بشكل موضوعي وواقعي. كذلك من الإشكاليات التي تنشأ في هذا الباب حين يرغب الشركاء في ممارسة حق الاسترداد -ولكن نظرا للقيمة المالية العالية للحصص- فإنهم يرغبون في السداد على دفعات، فهل سيكون النظام في جانبهم أم في جانب الشريك المتخارج خصوصا إذا عرضوا ثمنا أكبر في مقابل تقسيط المبلغ؟ وما استحقاقات هذا الشريك والشركاء الآخرين عند تقسيط المبلغ؟ هل سيعامل على أنه من قبيل المشاركة المتناقصة أم سيكون خروجا كاملا من أول لحظة بغض النظر عن التسديد وآلياته؟

بعض الشركات تضع ما يسمى (اتفاقية الشركاء) وهذه الاتفاقية تقوم بتفصيل ما أجمله النظام في عدد من النقاط، ومنها موضوع التقييم عند التخارج بحيث تكون هي المرجع عند الخلاف بين الشركاء بشأن عملية التقييم، وقد رأيت من يتبنى آخر ميزانية للشركة على اعتبار أنها المرجع في التقييم، كما أن هنالك من يتفق على أن يتم التقييم من قبل مقيّم مستقل بمواصفات معينة مع وضع أسس معينة للتقييم في ذات الاتفاقية بحيث يلتزم بها الجميع. أقول من المهم جدا للشركات وخصوصا العائلية أن تضع موضوع التخارج وآلياته في الحسبان، وأن تأخذه بعين الاعتبار لتلافي ما لا تحمد عقباه عند الحاجة إليه(1).

المبحث السادس: التأصيل الفقهي للتخارج في الشركات الحديثة:

و فيه أربعة مطالب:

أثيرت العديد من الآراء حول الطبيعة الفقهية لعقد التخارج، وأكثر هذه الآراء -عند تعريف التخارج- كانت تركز على التنازل والصلح، وما أراه أن عقد التخارج لا يخرج من أحد الاحتمالات الأربعة التالية:

المطلب الأول: التخارج عقد بيع للحصة:

إن التخارج في الشركات المعاصرة قد يكون بيعًا في حالة طلب المتخارج الخروج من الشركة للأسباب السالفة، أو قد يكون نُصّ عليه في العقد، ولكن إذا تم التخارج بجنس غير جنسه فهذا عقد بيع.

(1) https: / / www. alwatan. com. sa/ article: 17014 - التخارج-في- الشركات/

ويكون على هذا النحو في أغلب الأحيان، ذلك أن الشريك إنما يبيع حصته إلى شريك آخر أو أكثر، وهذا البيع قد يكون مقايضة إذا كان مبادلة عين بعين، أي أن أحد الشركاء أخذ عينا مقابل ترك حصته لشريك آخر أيضا بعين معينة، وقد يكون هذا التصرف صرفا، وكما نعلم أن الصرف هو بيع، ويشمله البيع بأنه مبادلة مال بمال. على أية حال فإن التخارج يكون صرفا إذا كانت الحصة التي تركها المتخارج هي نقد والمقابل الذي أخذه هو نقد، وفي هذه الحالة ينبغي الحذر من أن النقد إذا كان من نفس العملة فإن الأمر قد يؤدي إلى الربا، أما إن كان من عملتين مختلفتين -كأن تكون التركة مكونة من الدولار والمقابل الذي قبضه المتخارج هو الدينار أو الدرهم- فإن التخارج هنا سيكون صرفا، والشرط لصحته هو القبض في مجلس العقد(1).

وهذا ما أذهب إلى تأييده، ذلك أن التخارج يحتمل هذه الفرضيات، وهي:

1. قد يكيف على أنه عقد مقايضة، إذا كان البدلان حصة التخارج وما دفعه المتخارج له للمتخارج من الأعيان.
2. قد يكيف التخارج على أنه بيع، إذا كانت حصة المتخارج عينا وما قدمه المتخارج له للمتخارج نقدًا، أو العكس.
3. قد يكيف عقد التخارج على أنه صرف، إذا كانت حصة المتخارج وما قدمه المتخارج له للمتخارج نقدا أيضًا، لكن في هذه الحالة يجب أن تكون النقود من أجناس مختلفة، كما يجب القبض في مجلس العقد؛ للابتعاد عن شبهة الربا.

المطلب الثاني: التخارج عقد قسمة للمال الشائع:

يعد التخارج قسمة للمال الشائع المتأتي من الشركة؛ إذ إن القسمة هي اختصاص كل شريك بجزء مفرز من المال الشائع للشركة، والتخارج يطبق عليه نفس الكلام؛ إذ كل شريك سيختص بجزء مفرز يوازي حصته، والمعيار في ذلك هو أن البدل الذي سيقبضه المتخارج إن كان من الشركة فإن العقد قسمة وإن كان من غير تركة الشركة -سواء أكان من أحد الشركاء أم من بعضهم- فهو بيع، ويترتب على ذلك وجوب استيفاء شروط القسمة في الحالة الأولى وشروط البيع في الحالة الثانية(1).

ما أقصده هنا أن عقد التخارج قد يكيف على أنه قسمة للمال الشائع وفقا للتصور أعلاه، ويجب على القاضي أن يأخذ به إذا توافرت شروط قسمة المال الشائع، وهي:

1. أن نكون أمام حالة شيوع أولًا، وهذا الشرط متحقق؛ إذ إن حالة الشيوع -التي أتت بسبب من الأسباب- متحققة.

(1) ينظر: د. أحمد فراج حسين، ود. محمد كمال الدين، "أحوال التخارج وشروط صحته" ص 234.

(2) د. محمد جبر الألفي، ود. محمد عبد المنعم حبشي "فقه المواريث"، ص 253؛ المستشار أحمد نصر الجندي، "المواريث في الشرع والقانون"، ص123؛ د. جابر عبد الهادي، "المواريث في الشرع والقانون"، ص277.

2. أن يأخذ المتخارج حصته من أموال الشركة نفسها، أي أن يختص بجزء مفرز منها، أما في الحالة التي يأخذ المتخارج بدل التخارج من غير الشركة كأن يدفع له من أموال المتخارج له أو من أموال المتخارج لهم جميعًا عندما يكون التخارج لمصلحتهم جميعا، فإن هذا التصرف سيكيف على أنه بيع، وأهم شروط البيع هو وجود الثمن(1).

المطلب الثالث: التخارج عقد صلح:

وهذا الرأي ركزت عليه أغلب التعاريف، لكن نقول: إن التخارج يكون صلحًا إذا كان هناك نزاع بين الشركاء حول استحقاق أحد الشركاء، فقد يتفق باقي الشركاء على أن يأخذ هذا الشريك مالًا معينًا ويخرج من الشركة وينزل عن ادعائه بالشراكة في باقي الشركة، فإذا لم يكن هناك نزاع في الشركة فلا يمكن القول إنه صلح، وهذا ما ورد في كتب الفقه التي أشارت إلى هذه المسألة ولكن بصورة غير مباشرة عند الكلام على التخارج بين الورثة فورد فيها: "ولا يشترط في صلح أحد الورثة أن تكون أعيان التركة معلومة، لكن إن وقع الصلح عن أحد النقدين بالآخر يعتبر التقابض في المجلس، غير أن الذي في يده بقية التركة إن كان جاحدًا يكتفي بذلك القبض؛ لأنه ضمان فينوب عن قبض الصلح"(2).

المطلب الرابع: التخارج عقد دون تحديد طبيعته:

وهذا الاتجاه وهو تعريف التخارج بأنه عقد دون تحديد طبيعته.

وخلاصة القول وما أذهب إلى تأييده هو الاكتفاء بتعريف التخارج على أنه عقد خاص ولا نرجح كونه بيعًا ولا صرفًا ولا قسمة ولا صلحا؛ ذلك أن عقد التخارج يحتمل كل هذه الصور، ومن الأفضل أن تترك المسألة لقاضي الموضوع يفصل في كل دعوى ويكيف كل عقد على حدة، ولكن ما نجزم به هو أن عقد التخارج هو عقد من العقود الناقلة للملكية، وبسبب أهميته المتأتية من هذه الطبيعة، كانت الحاجة ماسة إلى تنظيمه بنصوص صريحة وواضحة.

الخاتمة:

الخاتمة ذكرت فيها نتائج البحث، والتوصيات.

أولا: نتيجة البحث وملخصه:

بعد دراستي لهذا الموضوع أستطيع أن أخرج بنتائج واضحة تكمن في الآتي:

(1) د. كمال حمدي، "المواريث والهبة والوصية"، ص123.

(2) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، "رد المحتار على الدر المختار"، (ط2، بيروت: دار الفكر، 1412هـ)، 5: 642.

1. دلت أحاديث عديدة على مشروعية التخارج.
2. أجاز الحنفية التخارج سواء كان قليلًا أو كثيرًا.
3. التخارج عقد صلح، ويعتبر من عقود المعاوضات.
4. يشترط لصحة التخارج أن يكون المتخارج عاقلًا غير محجور عليه.
5. من صور التخارج عند الحنفية: أن تكون التركة عروضًا وعقارًا سواء كانت قليلة أو كثيرة.
6. من الصور عند الحنفية التي أباحوا التخارج فيها اختلاف الجنس.
7. من الصور أيضًا: إذا كانت التركة ذهبًا وفضة وعروضًا وغيرها وصولح على أحد النقدين اشتراط أن يكون العطاء أكثر من نصيبه من ذلك الجنس.
8. من صور التخارج عند الحنفية: إذا كانت التركة دراهم ودنانير وتم التبادل عدم اشتراط التساوي والزيادة ويصح فيه الصلح بشرط التقابض.
9. إذا كانت الأعيان في التركة غير معلومة فصُولح على المكيل أو الموزون فقد اختلفوا في هذه الصورة بين مجيز ومانع، فالذين لا يجيزون لاحتمال وجود الربا، والمجيزون لأنه لا يمنع من الصلح بسبب الشبهة.
10. من صور الحنفية: إذا كانت التركة غير مكيل ولا موزون ولكنها أعيان مجهولة أنه لا يجوز فيه الصلح بسبب جهالة المصالح عليه.
11. المالكية يميزون بين أن يكون التخارج من نفس التركة، و أن يكون من غيرها.
12. إذا كان التخارج من نفس التركة عند المالكية، فالصلح على عرض من عروض التركة جائز مطلقًا سواء كان مقدر النصيب أو أقل منه أو أكثر، فهذه الصورة يصح فيها التخارج.
13. من الصور عند المالكية التي تكون في نفس التركة: أن يكون الصلح على ذهب من ذهب التركة وكان الصلح زائدًا عن النصيب وقدر هذه الزيادة أكثر من دينار جاز هذا الصلح بشرط معلومية التركة وحضورها.
14. من الصور كذلك عند المالكية التي تكون في نفس التركة: أن يكون الصلح إذا أخذ مقدار نصيبه من التركة ذهبًا أو أقل من نصيبه أو أخذ من التركة دراهم مقدار نصيبه أو أقل من نصيبه دراهم ففي هذه الحالة يصح التخارج؛ لأن ما استغني عنه من نصيبه كان بمنزلة الهبة للوارث.
15. من صور التخارج عند المالكية من غير التركة: إذا كانت التركة فضة وعروضًا وذهبًا، وصُولح من الورثة بفضة غير فضة التركة أو بذهب غير ذهب التركة فإنه في هذه الصورة لا يجوز الصلح؛ لأنه بيع ذهب وفضة وعرض بذهب أو فضة، وهذا ربا الفضل، وفيه ربا النسيئة إن غابت التركة كلها أو بعضها.

16. من الصور أيضًا عند المالكية التي من خارج التركة: إذا كانت التركة عروضًا وصُولح على عروض من غير التركة، ففي هذه الحالة يجوز هذا الصلح ولكن يُشترط شروط مقابل هذا الصلح.

17. من الصور أيضًا عند المالكية التي من خارج التركة: إذا كانت التركة ذهبا وعروضًا أو دراهم وعروضا فإنه يصح الصلح بذهب غير ذهب التركة أو بفضة غير فضة التركة بشرط ألا يجتمع البيع والصرف في أكثر من دينار.

18. التخارج عند الشافعية بين الورثة على ضربين: أن يكون الصلح عن إقرار أو عن إنكار.

19. الصلح على إقرار عند الشافعية: إذا كان البدل غير المتصالح عليه فهذا بيع، وله أحكام البيع. وإذا كان الصلح على بعض المتصالح عنه فهو هبة، وتثبت فيه أحكام الهبة.

20. أما الصلح عن إنكار عند الشافعية: فهو باطل عندهم، واستثنوا من هذا البطلان الصلح بين الورثة.

21. لم يذكر الحنابلة صورًا للتخارج، ولكن التخارج عندهم يكون على طريقة الصلح العامة، فقد يكون في الهبة أو البيع أو الإبراء.

22. الحنفية يقسمون الشركات إلى أصلين، ويتفرع من كل أصل عدد من الشركات، وهي شركة الأملاك وشركة العقود.

23. الشركات عند المالكية على أربع شركات، هي: شركة العنان وشركة المفاوضة وشركة الأبدان وشركة الوجوه.

24. الشركات عند الشافعية شركة واحدة فقط وهي العنان، والباقي من هذه الشركات باطلة؛ لما فيها من الجهالة والغرر.

25. شركة العقود عند الحنابلة خمسة أقسام، هي: العنان والأبدان والمضاربة والوجوه والمفاوضة.

26. تنقسم الشركات من حيث المصلحة والإنشاء إلى نوعين، هما: المدنية والتجارية.

27. تنقسم الشركات التجارية إلى ثلاثة أقسام، هي: الأشخاص والأموال والعامة.

28. شركات الأشخاص ثلاثة أنواع، هي: التضامن والتوصية البسيطة والمحاصة.

29. أنواع شركات الأموال، هي: المساهمة والتوصية بالأسهم وذات المسؤولية المحدودة.

30. أنواع الشركات العامة: شركة الاقتصاد المختلط، وشركة المساهمة العامة.

31. الشركات المعاصرة سواء كانت شركات الأشخاص أو الأموال أو المختلطة، لا تخرج في قواعدها وأسسها عن القواعد الشرعية للشركات الواردة في الفقه الإسلامي.

32. ذكر الفقهاء أسبابًا لانقضاء الشركة، منها: موت أحد الشركاء، أو جنونه، أو الحجر عليه لسفه أو فلس، أو انسحاب أحد الشركاء من الشركة غير المؤقتة بمدة، أو عزل أحد الشركاء من الشركة.

33. للتخارج في الشركات صور عديدة حسب نوع الشركة، فمثلًا في المادة السابعة والثمانين بعد المائة من نظام الشركات السعودي التي تناولت بالشرح تحول الشركات واندماجها ما يلي:

- يجوز تحول الشركة إلى نوع آخر من الشركات بقرار يصدر وفقًا للأوضاع المقررة لتعديل عقد تأسيس الشركة أو نظامها الأساس، وبشرط استيفاء شروط التأسيس والشهر والقيد في السجل التجاري المقررة للنوع الذي حولت إليه الشركة.
- يجوز للشركاء أو المسهمين الذين اعترضوا على قرار التحول، طلب التخارج من الشركة.
- دون إخلال بشروط التأسيس والشهر والقيد المقررة لشركة المساهمة، تحوّل شركة التضامن والتوصية البسيطة وذات المسؤولية المحدودة إلى شركة مساهمة إذا طلب ذلك الشركاء المالكون.

34. التكييف الفقهي لعقد التخارج أنه لا يخرج من أحد الاحتمالات الأربعة الآتية: أنه عقد بيع، أو أنه عقد صلح، أو أنه قسمة للمال الشائع، أو أنه عقد بذاته.

ثانيا: التوصية:

يبعدما عُرض في هذا البحث من آراء فقهية، ونتائج ملموسة، أوصي الباحثين بالآتي:

1. الدراسة والبحث لمعالجة ما يشكل على الشركاء في أموالهم وتبيين أحكامها.
2. الحرص والنظر على ما يستجد من نوازل، وتبيينأحكامها للمجتمعات.
3. تبيين المسائل التي يتسع فيها الخلاف مما يعمله التجار مع شركائهم بشكل يومي.
4. الحرص والمعرفة لما يستجد من نوازل معاصرة تلحق بنظائرها مما سبق من مسائل مشابهة.

الفهارس:

وتحتوي على فهارس الكتب والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

1. الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، (ط1، مؤسسة الرسالة).
2. المستشار أحمد نصر الجندي، د. جابر عبد الهادي. "المواريث في الشرع والقانون"، (مصر: دار الكتب القانونية).
3. الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم. "المهمات في شرح الروضة والرافعي"، (ط1، بيروت، لبنان: دار ابن حزم).
4. الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، زين الدين أبو يحيى السنيكي. "أسنى المطالب في شرح روض الطالب"، (دار الكتاب الإسلامي).
5. البابرتي، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي. "العناية شرح الهداية"، (بدون طبعة، دار الفكر، بدون تاريخ).
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله الجعفي. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، (ط1، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) دار طوق النجاة).
7. بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي. "البناية شرح الهداية"، (ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).
8. برهان الدين المرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، أبو الحسن. "الهداية في شرح بداية المبتدي"، (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي).
9. البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي. "كشاف القناع عن متن الإقناع"، (دار الكتب العلمية).
10. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. "الفتاوى الكبرى"، (ط1، دار الكتب العلمية).
11. د. جاسم علي سالم الشامسي. "عقد البيع في ضوء قانون المعاملات المدنية لدولة الإمارات: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي"، (العين، الإمارات العربية المتحدة، جامعة الإمارات العربية المتحدة).

12. الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين. "كتاب التعريفات"، (ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).

13. الحطاب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، الرُّعيني المالكي. "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، (ط3، دار الفكر).

14. الخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، أبو عبد الله. "شرح مختصر خليل للخرشي"، (بيروت: دار الفكر للطباعة).

15. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. "سنن أبي داود"، (بيروت، صيدا: المكتبة العصرية).

16. الرافعي القزويني، عبد الكريم بن محمد. "فتح العزيز بشرح الوجيز = الشرح الكبير"، [وهو شرح لكتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي]، (دار الفكر).

17. ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، (ط، بدون طبعة، القاهرة: دار الحديث).

18. زهير بن سليمان الحربش. "الوجيز في شرح نظام الشركات السعودي"، (ط2).

19. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، شمس الأئمة. "المبسوط"، (بدون طبعة، بيروت: دار المعرفة).

20. للدكتور سعيد يحي "الوجيز في النظام التجاري السعودي"، ، الناشر: المكتب العربي الحديث.

21. شهاب الدين المالكي، عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد أو أبو محمد. "إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك"، (ط3، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده).

22. الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المالكي. "بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك". المعروف "بحاشية الصاوي على الشرح الصغير" (الشرح الصغير: هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك). صححه: لجنة برئاسة الشيخ أحمد سعد علي، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي).

23. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. "الكافي في فقه أهل المدينة"، (ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة الرياض الحديثة).

24. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري. "المستدرك على الصحيحين"، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية).

25. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "البحر المحيط في أصول الفقه"، (ط1، دار الكتبي للنشر والتوزيع، 1414هـ).

26. أد. عبد الله بن محمد الطيّار، أد. عبد الله بن محمّد المطلق، د. محمَّد بن إبراهيم الموسَى. "الفقه الميسر"، (ط1، جـ 7 و11 - 13، الرياض، المملكة العربية السعودية: مدار الوطن للنَّشر).

27. علاء الدين السمرقندي، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر. "تحفة الفقهاء"، (ط2، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).

28. الشيخ عليش، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي. "منح الجليل شرح مختصر خليل"، (بيروت: دار الفكر).

29. الغمراوي، العلامة محمد الزهري. "السراج الوهاج على متن المنهاج"، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر).

30. "القانون المدني العراقي"، (مكتبة جامعة المثنى).

31. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. "المغني"، (بدون طبعة، القاهرة: مكتبة القاهرة).

32. القدوري، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين. "مختصر القدوري في الفقه الحنفي"، (ط1، دار الكتب العلمية).

33. الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي. "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، (ط2، دار الكتب العلمية).

34. طه مصطفى كمال. "الوجيز في القانون التجاري"، (القاهرة: المكتب المصري الحديث).

35. د. كمال حمدي. "المواريث والهبة والوصية"، (منشأة المعارف الإسكندرية).

36. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد. "سنن ابن ماجه"، (دار إحياء الكتب العربية).

37. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. "الموطأ"، (ط1، أبو ظبي، الإمارات: طبعة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية).

38. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. "الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي"، وهو شرح مختصر المزني، (ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).

39. مجد الدين أبو الفضل الحنفي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي. "الاختيار لتعليل المختار"، (القاهرة: مطبعة الحلبي، (وصورتها، دار الكتب العلمية، بيروت، وغيرها)).

40. مجد الدين، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات. "المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" (ط2، الرياض: مكتبة المعارف).

41. المجلسي الشنقيطي، محمد بن محمد سالم. "لوامع الدرر في هتك أستار المختصر" [شرح "مختصر خليل"، للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي]، (ط1، نواكشوط، موريتانيا: دار الرضوان).

42. د. محمد جبر الألفي ود. محمد عبد المنعم حبشي. "فقه المواريث"، (ط2، مطبوعات جامعة الإمارات).

43. محمد زهدي المجني. "محاسبة شركات الأشخاص"، (ط3، حلب، سوريا).

44. محمد كامل أمين ملش. "الشركات"، (مصر: مطابع دار الكتاب العربي).

45. الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشَّرْبجي. "الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي" رحمه الله تعالى، (ط4، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع).

46. مرتضى ناصر نصر الله. "الشركات التجارية"، (بغداد: مطبعة الإرشاد).

47. ملا أو منلا أو المولى خسرو، محمد بن فرامرز بن علي. "درر الحكام شرح غرر الأحكام "، (بدون طبعة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ).

48. ابن المنذر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري. "الإجماع"، (ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع).

49. ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. "لسان العرب"، (ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ).

50. الميداني، عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الحنفي. "اللباب في شرح الكتاب"، (بيروت، لبنان: المكتبة العلمية).

51. نصر الله، مرتضى ناصر. "الشركات التجارية"، (بغداد: مطبعة الإرشاد).

52. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. "الموسوعة الفقهية الكويتية"، (ط من 1404 - 1427ه، الكويت).

شهادات الشعراء السعوديين الذاتية
دراسة في المضامين

إعداد

د . أمل بنت محيسن القثامي

أستاذ مساعد بجامعة الطائف

المستخلص:

يسعى هذا البحث والذي جاء بعنوان (شهادات الشعراء السعوديين الذاتية دراسة في المضامين) إلى تأصيل معنى الشهادة في المدونة التراثية بدأ بالمعاجم العربية ومرورًا بأبرز آراء النقاد القدماء، والكشف عما يرتبط بمعانيها من دلالات متنوعة وحمولات معرفية.

كما يسعى البحث في الجانب النظري منه أيضًا إلى الوقوف على أبعاد حضور الشهادة الأدبية في المدونة النقدية الحديثة، محاولًا تتبع الإشارات النقدية الأولى والدراسات التي تناولتها. وختامًا للجانب النظري سيناقش البحث علاقة الشهادة الأدبية بالسرد ولاسيما السيرذاتي.

أما ما يخص الجانب الإجرائي فإن البحث سيتناول أهم المضامين والحمولات المعرفية التي حضرت في شهادات الشعراء والتي تجسدت بعد الاستقراء في ثلاثة مضامين مهمة هي: الموقف من الشعر والتجربة الشعرية والشعر توثيق المرحلة.

الكلمات المفتاحية: شهادات، شعر، تأصيل المفاهيم، مضامين، تجربة شعرية.

Abstract:

This research، which is entitled (Self-Testimonials of Saudi Poets: A Study in Contents)، seeks to establish the meaning of testimonials in the heritage record، starting with Arabic dictionaries through the most prominent opinions of ancient critics، and revealing what is related to its meanings of various connotations and epistemological loads.

The research also seeks، in its theoretical side، to determine the dimensions of the presence of the literary testimonials in the modern review record، trying to follow the first critical references and studies that have been addressed. In conclusion to the theoretical aspect، the research discusses the relationship of literary testimonials to the narrative، especially the self-narrative.

As for the procedural aspect، the research addresses the most important content and cognitive loads that were present in poets' testimonials، which were embodied after extrapolation in three important contents: the concept of poetry، poetic experience، and poetry and documentation.

Keywords: key words: Self-Testimonies، poetry، contents

المقدمة:

شهد العصر الحديث ظهور تحولات كبيرة في الأجناس الأدبية، حيث نلحظ تمازج الشعر بالسرد، والرواية بالسيرة الذاتية، والشعر بالدراما، علاوة على توالد الجنس الأدبي ذاته وتفاعله مع ذاته كما حدث مع القصة وتناسل القصة القصيرة جدًا عنها أو بما عرف بالقصة الومضة.

ومن هذه التحولات الأجناسية ظهور الشهادات الأدبية التي تعالقت مع السيرة الذاتية، فهي جنس أدبي حديث الظهور في السياق الأدبي الثقافي تضمن فنيات سردية، ولغة محكية نثرية خصصت للحديث عن عن الذات المبدعة.

ولأنه لا يمكن فهم النص الأدبي وتحليله دون وصفه في سياقه الأجناسي ومقاربته مقاربة أجناسية، فقد سعى البحث إلى مقاربة مفهوم الشهادة وتأصيلها من جهتين، الجهة الأولى اختصت بالحفر في المدونة التراثية عن هذا الجنس الحديث لمعرفة وظائفه اللغوية، وعلاقتها بما هو عليه مفهوم الشهادة الأدبية اليوم.

أما الجانب الآخر من التأصيل فقد أرتأ البحث رصد الدراسات النقدية الحديثة التي ناقشت هذا الجنس والتعريف بأفعالها النقدية وعرض وجهات النظر في تلقيها.

ولعل أهمية هذا البحث تتضح من خلال هذه المقاربة التأصيلية والتي تهدف إلى تمييز هذا الفن وتثبيت جذوره والتدليل على وجوده في الشواهد التراثية. ومن ثم تسعى للكشف عن جماليات مضامين الشهادات وما تحمله من خطابات ذاتية ذات علائق اجتماعية ونفسية وتاريخية متنوعة.

وقد التزم البحث بالمنهج الوصفي لتحليل النماذج المختارة من الشهادات الأدبية، كما أنه خصص وحدد أطر الدراسة في الشهادات الشعرية دون التطرق لشهادات الساردين والقاصين.

فيما يخص الدراسات السابقة في هذا الموضوع فقد حرص بعض النقاد على دراسة هذا الجنس الفني الجديد أمثال الناقد محمد صابر عبيد في كتابه (السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية) والدكتورمحمد الصفراني والذي كتب بحوثًا علمية أهمها: (الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع) والآخر عنوانه (الشهادة الأدبية في السعودية مقاربة سوسيو أدبية). كما أسهم الدكتور أيمن تعيلب في دراسة الشهادات الأدبية وقدم كتابًا في هذا السياق بعنوان (بلاغة الشهادة الإبداعية: نحو تأسيس لجنس أدبي جديد).

وعليه فقد نهض البحث في سياق خطته على مطلبين: سياق تأصيلي تضمن مقاربة مفهوم الشهادة مناقشًا للدراسات الحديثة التي تناولت هذا الجنس، وسياق آخر تطبيقي قارب الشهادات الشعرية من ثلاثة جوانب هي: مفهوم الشعر، والتجربة الشعرية، والشعر والتوثيق.

مفهوم الشهادة الأدبية:

1. مقاربة تأصيلية:

الشهادة في المدونة التراثية

يكشف البحث في مادة (ش هـ د) بالمدونة التراثية عن مادة ثرية من حيث تنوع سياقاتها المعرفية، وما تفضي إليه من معانٍ متعددة؛ إذ تأتي في سياقات خاصة تشير إلى الجانب المتصل بالقضاء، فيما تشير في سياقات أخرى إلى معانٍ أكثر شمولية واتساعًا في دلالات وظائفها اللغوية.

ولعل من أبرز الدلالات المرتبطة بجذر (ش هـ د) الإقرار والاعتراف. جاء في معجم العين «قد شهد عليّ فلان بكذا شهادة وهو شاهد وشهيد»(1) ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (2).

وقال الحطيئة مستخدمًا الشهادة في الاعتراف والإقرار(3):

شهِدَ الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

وحين تكون الشهادة قائمة على طلب من طرف آخر فإنها تحمل معنى الاعتراف أحيانًا ، يقول محمد الأزهري: «واستشهدت فلانًا : إذ سألته إقامة شهادة احتملها... وقال غيره: أشهدت الرجلَ على إقرار الغريم، واستشهدته بمعنى واحد» (4).

وفي سياق آخر يتعلق معنى الشهادة في اللغة بالعلم والمعرفة والتبيّن، قال أبو بكر الأنباري معنى قوله أشهد في «أشهد أن لا إله إلا الله» أعلم وأبين (5).

وثمة مواطن ارتبطت فيها معاني العلم والمعرفة والإظهار في الشهادة بالقول أو القضاء كما جاء في تهذيب اللغة: «أخبرني المنذري أنه سأل أحمد بن يحيى عن قول الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقال: كلَّ ما كان شهدا الله فهو بمعنى علم الله، قال: وقال ابن الأعرابي: معناه: قال الله. قال. ويكون شهد الله: كتب الله»(6).

ففي هذا النص يتضح أن الشهادة لها علاقة وطيدة بما أشرنا له، كما لها علاقة بالبينة، جاء في المعجم

(1) معجم العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: إبراهيم السامرائي، د.ط، بيروت، دار الهلال، الجزء8، ص 110

(2) سورة الأنعام، آية 130

(3) الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص110

(4) تهذيب اللغة، الأزهري، محمد، تحقيق: محمد عوض، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001، ص 48.

(5) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، أبو بكر محمد، ط1، تحقيق حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2/28، 1992، وانظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد جبر الألفي، ط1، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1399 هـ، ص 92.

(6)تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، ص 47.

الوسيط، البينة في اللغة البرهان والدليل أو كل ما يثبت الحق ويفصل به بين الخصوم (1). وسمي الشاهد شاهدًا ؛ لأنه يبين عند الحاكم الحق من الباطل.

وقال ابن العباس أحمد بن يحي شهد الشاهد عند الحاكم: أي بين ما يعلمه وأظهره (2).

والإظهار مرتبط بالصدق حيث لا يقبل من الشاهد شهادة باطلة مضللة، ولذا كان من معاني الشهادة الحلف أو اليمين، جاء في لسان العرب ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ (3) الشهادة معناها اليمين ههنا (4).

ومن معاني الشهادة في المعاجم العربية ما يتصل بالإخبار فأصلها في لسان العرب « الإخبار بما شاهده» (5) والإخبار بالشيء يستلزم الحضور؛ لذا كان ارتباط جذر الشهادة في سياق الأخبار غالبًا ما يستوجب الحديث عن الحضور، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد﴾ (6) أي أحضر سمعه وقلبه مشاهد لذلك غير غائب عنه.

وارتباط الحضور في الشهادة بالسمع والقلب يؤكد ما جاء في سياقات معجمية تشير إلى أن المشاهدة هي الإدراك بإحدى الحواس فهي مجموع ما يدرك بالحس وعليه فإن الإدراك يقع ضمن دلالات الشهادة ومعانيها المعجمية.

ومن معاني الشهادة في اللغة أنها تعني اللسان والكلام أو التعبير. قال أبو بكر في قولهم: ما لفلان رُواء ولا شاهد: معناه ما له منظر ولا لسان. وقال: الشاهد: اللسان، من قولهم: لفلان شاهد حسن: أي عبارة جميلة(7).

وكما أن الشعراء استعملوا المعنى الدلالي المعجمي للشهادة في أشعارهم كقول بن المعذل (8):

وكيف تخشى شهادات يقوم بها ثلاثة شـــاهدا زور ومجنـــون

كما استعمل أيضًا النقاد لفظ الشهادة في سياق الإقرار والاعتراف، يقول ابن رشيق: « الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ، شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق، وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضًا » (9).

(1) انظر: انيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، المعجم الوسيط، القاهرة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ط، 2011 م، ص 250.

(2) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، أبو بكر، 1 / 32.

(3) سورة النور، آية 6.

(4) لسان العرب، ابن منظور، ط1، بيروت، دار صادر، ج3 /243.

(5) المصدر السابق، ج3 /243

(6) سورة ق، آية 37.

(7) تهذيب اللغة، ص 49.

(8) ديوان عبد الصمد بن المعذل، تحقيق: زهير زاهد، ط1، دار صادر، بيروت، 1998 م، ص 156.

(9) العمدة في محاسن الشعر ونقده، القيرواني، ابن رشيق، د.ط، شرحه صلاح الهواري، دار الهلال، بيروت، 2002، 2/441

وقال ابن الأثير:«أما أبو تمام فإنه رب معان وصقيل ألباب وأذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر» (1).

وفي ديوان الحماسة قال الخطيب التبريزي عن قيس بن الحطيم: «شاعر جاهلي أنصاري أوسي جيد الشعر حسنه شهد له شعراء عصره بالإجادة» (2).

وعليه فإن أبرز المعاني التي كشفت عنها معاجم اللغة لجذور (شهد) تتمثل في الإقرار والاعتراف، والعلم والبينة، والإخبار والحضور والإدراك، والحلف والقول والعبارة الجميلة، وتلك المعاني حاضرة في حقل القانون كما أشار لذلك الدكتور محمد الصفراني في بحثه (الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع) (3) كما أن بعضًا منها حاضر في نظام التعبير في نص الشهادة الأدبية كما سيأتي عليه البحث لاحقًا (4).

2. الشهادة الأدبية في المدونة النقدية الحديثة:

أولت الدراسات النقدية خلال السنوات الماضية الأخيرة السرد العربي اهتمامًا كبيرًا ، رافق هذا الاهتمام انفتاح في طرائق التعبير السردي، حيث استطاع المبدعون تجاوز الكتابة في الرواية للكتابة عن الذات، واستيلاد أشكال سردية جديدة تتماشى مع مكانة السرد المتنامية، ومن تلك الأشكال (الشهادات الأدبية) فحضورها في مناسبات ثقافية ومجلات وكتب أصبح واضحًا وجليًا . إلا أن الدراسات النقدية الكثيرة التي اهتمت بالسرد لم تهتم بدراستها، ومع هذا تجد هناك بعضًا من الدراسات التي أصّلت لها أو حللتها، وسأعرض لها في هذا المبحث.

ربما تكون أول إشارة من ناقد -بحسب استقصائي في هذا السياق - ما أثبته الدكتور محمد صابر عبيد في كتابه (السيرة الذاتية الشعرية : قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية) الصادر عام 2008 م ؛ إذ عرَّف الشهادة الذاتية الأدبية بأنها « سرد نثري سير ذاتي يتناول كيفية معينة في التجربة الأدبية للأديب تناسب المرحلة والمقام والمناسبة ، إذ إنَّ الشهادة هنا تكتب أساسًا للإسهام في (مؤتمر ، ندوة ، حلقة نقاشية) يتقدم بها الأديب المعني في محاولة للكشف عن آليات عمله الإبداعي في مرحلة أدبية من مراحل تجربته ، على النحو الذي يتلاءم مع موضوع المؤتمر أو الندوة أو الحلقة النقاشية فيسعى إلى ضبط سرده في هذا المجال في حدود رؤية ومنهج وأسلوب عرض والتقاط بؤر مهمة لافتة يمكن أن تعطي صورة تمثل إبداع الأديب وجهده في تطوير تجربته من جهة ، والنوع الأدبي الذي يمارسه من جهة أخرى »(5) .

وفي موطن آخر من الكتاب بين عبيد أن هذا النوع من السير ذاتي يتميز بمقدار الحرية الكبيرة التي يمنحها للأديب للتعبير عن ذاته ومشروعه الكتابي.

(1) المثل السائر، تحقيق: محمد عبد الحميد، ط1، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1995، 2/348

(2) ديوان الحماسة، د. ط، كتب حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، م1، ص 53.

(3) انظر، الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد 30، 2014 م، ص 2156.

(4) استفاض الصفراني في توضيح العلاقة بين معنى الشهادة في الحقل الأدبي ومعناها في حقل القانون انظر البحث السابق.

(5) السيرة الذاتية الشعرية قراءة في تجارب السيرية لشعراء الحداثة العربية، عبيد، محمد صابر، د.ط، الأردن، دار عالم الكتب، 2008، ص 119.

وعـرَّف عبيـد الشـهادة الغيريـة الأدبيـة بأنهـا «سـرد نثـري سـير غيـري ينهـض بـه كاتـب معيـن تطوعًـا أو تكليفًـا لتقديـم وجهـة نظـره فـي تجربـة أديـب منتخـب (مؤبـن أو مكـرَّم، أو محتفـى بـه ... إلـخ) يسـعى فيـه إلـى حشد ما تيسر من المعلومات عن أحد جوانب الإبداع الأدبية التي عُرف بها» (1).

ولا يكتفـي الدكتـور محمـد عبيـد بتلـك الإشـارات والتعريفـات فـي كتابـه السـابق بـل أصـدر كتابًـا فـي عـام 2011 م بعنـوان (المغامـرة الجماليـة للنـص السـير ذاتـي) عمّـق فيـه دراسـته للشـهادة الأدبيـة؛ حيـث أفـرد الفصـل الخامـس مـن الكتـاب لمدارسـة جـدل الشـهادة الذاتيـة والغيريـة فـي صـوغ السـيرة الذاتيـة، مبينًـا أنـواع الشـهادة الأدبية، متخذًا من شهادة رجاء النقاش أنموذجًا تطبيقيًا على هذا النوع السردي الجديد.

كمـا جـاءت هـذه الدراسـة لتبلـور رأيـه النقـدي حـول جنـس الشـهادة إذ يؤكـد أنهـا نـوع مـن أنـواع السـير الذاتية (2).

ومـن البحـوث الرصينـة التـي درسـت الشـهادة الأدبيـة بحثـان للدكتـور محمـد الصفرانـي أحدهمـا عنوانـه (الشـهادة الأدبيـة: المفهـوم والأركان والأنـواع) والآخـر عنوانـه (الشـهادة الأدبيـة فـي السـعودية مقاربة سوسـيو أدبية).

ويظهـر مـن عنـوان البحـث الأول أن الصفرانـي سـعى لتقعيـد هـذا الفـن وتأصيلـه، وهو بحـث واضـح المنهجية، ويعـد مـن البحـوث المؤسسـة، إن لـم يكـن هـو الأول مـن نوعـه الـذي تعمـق فـي شـرح مفاهيـم الشـهادة الأدبيـة وأركانها وأنواعها.

ويعتمـد الصفرانـي فـي منهجيتـه علـى التنـاص الحقلـي، فهـو يتقصـى منبـت الشـهادة فـي الحقـول المعرفيـة، ووصـل إلـى أن مصدرهـا عائـد إلـى العلـوم القانونيـة ولهـذا حـاول كمـا يشـير فـي بحثـه إلـى تنزيـل الشـهادة الأدبيـة فـي الهيـاكل العامـة للجهـاز المفاهيمـي للشـهادة القانونيـة بدعـوى أن الشـهادة الأدبيـة تتنـاص شـكلي مـع الشهادة القانونية (3).

ووصـل الصفرانـي بعـد مطارحـات تناصيـة إلـى أن الشـهادة الأدبيـة تعنـي أنهـا: « سـرد نثـري تذكـري قصيـر صـادق مُـدْرك بطريقـة مباشـرة أو غيـر مباشـرة يشـهد بـه شـخص واقعـي لإثبـات حقائـق أو رد دعـاوى تتعلـق بالمسـار الأدبـي (لشـخص أديـب ، أو موضـوع أدبـي ، أو قضيـة أدبيـة) منتقيًـا مـن مراحـل الحيـاة الماضيـة أبـرز الوقائـع والمعلومـات ، والتجـارب والذكريـات ، التـي شـكلت التجربـة الأدبيـة وسـلكتها فـي مسـارها ومسـتواها الأدبـي الراهـن مسـتدلًا بهـا علـى مـا يريـد أن يشـهد بـه فـي زمـن الشـهادة ، مسـتدعيًا مـا أمكـن مـن البيانـات والوثائـق والأسـانيد مـا يؤكـد صـدق شـهادته ، وموظفًـا مـن فنيـات السـرد مـا ينقـل النـص الشـهادي مـن حيـز التقريرية إلى آفاق الأدبية »(4).

(1)المرجع السابق ، ص119

(2) انظر: المغامرة الجمالية للنص السير ذاتي، ط1، عبيد، محمد صابر، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011 م، ص 105.

(3) الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع، ص 2165.

(4) المصدر السابق، ص 2172

وحـدد الصفرانـي أركان الشـهادة الأدبيـة الذاتيـة فـي: الشـاهد، وهـو كاتـب الشـهادة، والمشـهودية: وهـي مجمـوع الوقائـع التـي تضمنهـا النـص الشـهادي، والمشـهود لـه: القـارئ، والمشـهود عليـه: ذات الشـاهد. كمـا بيـن الصفراني أن ليس للشهادة الأدبية صيغة محددة.

وقسم الصفراني أنواع الشهادة إلى:

1. شهادة مباشرة وتتضمن: الشهادة الأدبية الذاتية المباشرة، والشهادة الأدبية الغيرية المباشرة.
2. الشهادة السماعية وتتضمن: الشهادة الأدبية الذاتية السماعية والشهادة الغيرية السماعية.
3. الشهادة بالتسامع ومنها: الشهادة الأدبية الغيرية التسامعية.
4. الشهادة بالشهرة العامة ذاتية وغيرية (1).

والبحـث فـي مجملـه تأصيلـي وتأسيسـي ولا غنـى لمـن يتصـدى للكتابـة فـي الشـهادات الأدبيـة مـن الرجـوع إليه ولاسيما في ظل ندرة الدراسات في هذا الجانب.

وخصـص الصفرانـي فـي بحثـه الآخـر المعنـون بـ(الشـهادات الأدبيـة فـي السـعودية مقاربـة سوسـيو أدبيـة) لدراسـة محـولات الشـهادات الأدبيـة بنوعيهـا الذاتيـة والغيريـة ومقاربتهـا مقاربـة تنظـر لـلأدب بوصفـه ظاهـرة اجتماعيـة، حيـث يؤكـد مـن خـلال هـذه المقاربـة بـأن الشـهادات مصـدر مهـم لوقائـع أدبيـة واجتماعيـة علـى صعيد الذات المبدعة الشاهدة والمشهود عليها (2).

ومـن الدراسـات التـي أسـهمت فـي التأسـيس لهـذا الجنـس كتـاب للدكتـور أيمـن تعيلـب بعنـوان (بلاغـة الشـهادة الإبداعيـة: نحـو تأسـيس لجنـس أدبـي جديـد) والـذي خصصـه للإجابـة عـن عـدة أسـئلة تأصيليـة كان منها: هل من الممكن اكتشاف بلاغات أسلوبية ونقدية وثقافية خاصة بالشهادات الإبداعية للمبدعين؟

ويصـل فـي دراسـته إلـى أن بلاغـة الشـهادة الإبداعيـة لا تنحصـر «فـي حكـي سـيري ذاتـي وثقافـي فقـط كمـا تصورنـا دومًـا ، كمـا أنهـا ليسـت نقـدًا علـى نقـد فقـط، وليسـت المسـار الاجتماعـي والثقافـي لأسـرار الإبـداع فقـط، أو حديثًـا عـن أسـبابه وأحوالـه ومسـتوياته...، بـل هـي كل ذلـك وأكثـر مـن ذلـك فـي ذات الوقـت بلغتهـا الجماليـة السـردية الخاصـة بهـا، فالنـص الشـهادي هـو تشـكيل سـردي جامـع بامتيـاز يتصف بالإشـكال والتشـعيب والترامي» (3).

والدكتـور أيمـن لا يبحـث فـي شـهادات الأدبـاء والشـعراء فقـط، بـل جمـع وناقـش فـي الجـزء الأخيـر مـن كتابه شهادات مخرجين ورسامين وفنانين.

---

(1) الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع، ص 2181.

(2) مجلة علامات، نادي جدة الأدبي، العدد 86، جماد الأولى 1437 هـ، مارس 2016 م، 2/687.

(3) بلاغة الشهادة الإبداعية: نحو تأسيس لجنس أدبي جديد، ط1، القاهرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2015 م، ص 108.

ومن الجهود في هذا السياق بحث للدكتور حسين المناصرة اعتمد على متن شهادات القاصين للكشف عن هواجس البدايات لديهم، وقارب المناصرة الشهادات كاشفًا عن أهم مكوّنات بنية الخطاب في بدايات سيرة المبدعين (1).

كما أن للباحث محمد الراشدي إسهامًا في هذا السياق حيث كتب بحثا بعنوان (شاهد ومشهود مراجعات في الشهادات الإبداعية لكتاب القصة القصيرة في السعودية) ركز فيها على استقراء مضامين شهادات القاصين وما تحمله من قضايا وإشكالات من مثل حديثه عن هاجس السيرة والوعي الفني لدى القاصين (2).

3. الشهادة الأدبية وتمظهرات السرد:

عدّ دارسو الشهادات الأدبية أنها فن أدبي يدخل ضمن السيرة الذاتية. فهل الشهادة سيرة ذاتية للمبدع؟

قبل الإجابة عن هذا التساؤل فإن البحث - يؤكد بعد قراءة جذور مفردة شهادة وتتبعها واستعراض جهود النقاد حولها- أن الشهادة ارتكزت على أسس مهمة منها: الذاتية/ الغيرية، و النثرية، و الصدق النسبي.

وهذه الأسس لا تختلف عن الأسس الميثاقية التي حددها فيليب لوجون في تعريفه للسيرة الذاتية يقول في تعريفه: «حكي استعاري نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة» (3).

واختلف النقاد حول تعريف هذا الجنس وكثرت المحاولات لوضع حد جامع له إلا أن المتتبع لكتب النقاد يجد شبه إجماع على أن أدب السيرة لابد أن يتضمن:

- اللغة المحكية أو النثرية، أي لا عبرة للشعر في ذلك.
- أن تكون حياة الفرد وتاريخه أو تاريخ شخصية معينة هي الموضوع المطروق.
- تطابق بين ذات الكاتب والسارد والبطل في ذهنية العمل على وجه الحقيقة سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.
- توخي الحق، الصدق النسبي (4).

( ) هواجس البدايات في كتابة القصة القصيرة مقاربة في شهادات لقاصين وقاصات سعوديين، ضمن بحوث ملتقى النقد الأدبي (القصة القصيرة في المملكة مقاربة في المنجز النقدي) ط1، مطبوعات نادي الرياض الأدبي، 2017 م، ص 134.

( ) نشر ضمن بحوث ملتقى النقد الأدبي (القصة القصيرة في المملكة مقاربة في المنجز النقدي)، ص 161.

( ) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، لوجون، فيليب، ط1، ترجمة عمر حلي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص 22

( ) انظر: السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، آل مريع، أحمد بن علي، ط3، تونس، دار صامد، 2010 م، ص 96.

وحدد محمد الصفراني في بحثه التأسيسي عن الشهادات الأدبية أوجه التلاقي والاختلاف بين مفهوم السيرة الذاتية ومفهومه للشهادات الأدبية ووجد أن نقاط التلاقي تكمن في شكل اللغة ووضعية المؤلف والسارد وفي تفرعها إلى ذاتية وغيرية إضافة إلى تلاقيهم في عنصر الصدق والإدراك.

أما أوجه التباين كما حددها فتكمن في أن الشهادة الأدبية تهدف إلى نفي أو إثبات الوقائع الدالة في حين تهدف السيرة الذاتية إلى عرض الوقائع أكثر من الاتكاء على فكرة النفي أو الإثبات. كما أن الموضوع المطروق في الشهادة هو جزء محدد من حياة فردية وجزء من تاريخ شخصية معينة وبالتحديد الجانب الأدبي بهدف إبراز صورتها وقيمتها الأدبية.

أما السيرة الذاتية فتتناول حياة فردية كاملة وتاريخها من مختلف الجوانب، والفرق الأخير يتمثل في أن الشهادة الأدبية قصيرة قد لا تتجاوز عشرين صفحة، في حين تمتد كتب السيرة فتبلغ مئات الصفحات (1).

مضامين شهادات الشعراء الذاتية:

تنوعت المضامين والحمولات في شهادات الشعراء والشاعرات فمنهم من تطرق إلى بداياته الشعرية، ومنهم من تجاوز ذلك إلى مرحلة تأسيس وعيه القرائي، وآخرون فضلوا استعراض تجربتهم الشعرية من خلال الحديث عن دواوينهم وقصائدهم والمواقف التي دفعتهم لنسجها، كما نجد أن من الشعراء من ركز في شهادته على توضيح مفهومه للشعر، وآرائه حوله.

ولتشعب سردهم في هذا السياق ارتأ البحث مقاربة أبرز المضامين التي تلاقى فيها الشعراء والشاعرات. ولعل أبرزها في شهادات الشعراء الذاتية تمثل في:

1. الموقف من الشعر.
2. التجربة الشعرية.
3. الشعر وتوثيق المرحلة.

3. الموقف من الشعر:

ظل مفهوم الشعر مستعصيًا على التحديد، فلم يجد أحد تعريفًا كافيًا له (2)، ومع التحولات التي طرأت على القصيدة العربية حاول بعض النقاد معالجة ماهية الشعر من خلال الرجوع للتراث، ولاسيما وأن التراث النقدي العربي حاول أن يؤسس معيارًا للشعر يرتبط بتصورات محددة عن المهمة والماهية والأداة،

(1) الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع، ص 2175.

(2) انظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، إسماعيل، عز الدين، د.ط، القاهرة، دار الفكر، 1992م ، ص 344.

كما حاول مساعدة الشاعر المحدث على تجاوز محنته ومساعدة المتذوق على إدراك الأصول النظرية بمفهوم الشعر (1).

ومع كل الجهود التي تبذل في تأطير مفهوم الشعر فإنه «في إبداعه وتلقيه موقف جمالي، والجمال إبداعًا وتلقيًا أمر نسبي، يَختلف الناس حوله باختلاف مشاعرهم وأذواقهم وتربيتهم وثقافتهم» (2).

وهذا ما أكده استقراء مفهوم الشعر لدى الشعراء السعوديين في شهاداتهم الشعرية، فكل شاعر كانت له رؤية خاصة في الماهية والوظيفة للشعر.

فالشاعر علي الدميني يؤكد في شهادته (الشعر صديقي وغريمي) أن الشعر كالنهر الخالد الذي يرتشف منه الشعراء غواياتهم، ولكن يصعب معرفة جوهره وصفاته أو تحديد ماهيته، يقول: «كل واحد منهم ارتشف حصته من غوايات مياه ذلك النهر الأدبي، بيد أنه لا أحد منهم استطاع أن يدلنا على اسم نطلقه على جوهره وصفاته، ولا على مكانه وزمانه ولحظة هبوط وحيه، أو طيرانه إلى السماء... فارًا من شاعره! وأنا كأحدهم، وكواحدٍ من ملايين الشعراء الذين نهلوا من ذلك النهر الخالد، لا أجرؤ على تحديد ماهية الشعر الجوهرية، ولا صفاته العرضية» (3).

ونستشف من النص السابق أن الدميني يميل بثقة إلى ان الوصول لجوهر الشعر وصفاته صعب، مؤكدا ثقته باستخدام جملة (لا أحد) الموحية بالقطعية، لفيس هناك شاعر -على حد تعبيره- يجرؤ على تحديد ماهية الشعر مهما حاول الشعراء الذين ارتشفوا من نهره إلا أن الوصول لمعيار حقيقي لماهية الشعر سيظل مستحيلا.

ولصعوبة الوصول إلى ماهية الشعر وصفه الدميني بأنه كائن خرافي يقول : « أنا وهذا الكائن الخرافي (الشعر) نبتدئ على الوجه الأول من الورقة كصديقين يجتمعان على افتتانهما بالمرأة »(4) وبأنه كائن يخرج عن كل القيود « الشعر يتجلى دائمًا خارج كل قيد » ولكن الكائن الخرافي هذا هو وسيلته للتعبير والكشف عن هويته وإنسانيته « في الشعر أقبض على حصتي من بناء الكون ، وحريتي في هجاء القبح ، وشجاعتي في إعلان هويتي وحسي الإنساني الراني إلى أضواء الغد الأجمل والأعدل والأكمل ، وفيه تتجلى لي فتنة الجمال ومباهجه الحسيّة الراعشة، فأرتوي من ينابيعها حتى ثمالة اكتمال النص »(5) .

ففي الوصف السابق لماهية الشعر يظهر لنا مدى تركيز الدميني على جعل الشعر كائنا فيعامله وفقا لذلك، ولهذا استخدم مفردة (صديق) للكشف عن أبعاد هذا الكائن الذي يسكنه، فهو متفلت لا يقبل

(1) انظر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، عصفور، جابر، د.ط، القاهرة، دار الثقافة، 1978، ص 28.

(2)مفهوم الشعر عند غازي القصيبي، المالكي، علي، ط1، بيروت، دار الانتشار، 1435 هـ، ص 32.

(3) المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435هـ، ط1، نادي الباحة الأدبي، جدة، دار الرواد، 2017، ص 328

(4)المرجع السابق، ص 327

(5) شهادة مخطوطة لعلي الدميني لم تنشر، ألقاها في مهرجان سوق عكاظ بالطائف عام 2017، بعنوان: الشعر وشباك الفقد والنسيان.

القيود، كما أنه وسيلة من وسائله للشعور بالهوية، ولأن الهوية هي مصدر استقلالية الإنسان فإن الشعر يعززها ومن ثم يحوّل كل ذلك إلى جمال ومباهج تروي عطش الشاعر.

ويكشف الدميني خلال حديثه في شهادته عن أهمية المعنى في الشعر؛ فالبحث عن المعاني أمر مهم في العملية الشعرية، يقول: «في الشعر لا تكون المعاني ملقاة على جانبي الطريق كما قال بذلك جدنا الجاحظ، وإنما يغدو كل شيء جديد في هذا الفضاء تعبيرًا عن معنى آخر متجددٍ، ومتعددٍ أيضًا ، للشعر والشعرية» (1).

وإن كان للمعنى أهمية في بناء الشعر لدى الدميني، فإن من مقومات الشعر الحديث في رأيه خلق الأساطير وتوظيفها في الشعر؛ ولذا اشتغل على توليد أساطيره الخاصة، يقول: «إذا كانت الأسطورة إحدى مقومات الشعرية العربية الحديثة، فإن غيابها من تراثنا الثقافي المحلي هيأني كغيري لاستبدالها بالرموز التاريخية والمكانية، أو بالاشتغال على توليد أساطيري الخاصة» (2).

ومن المؤكد بأن محاولة الدميني لتوليد أساطيره الخاصة في الشعر واستخدام الرموز التاريخية والمكانية في الشعر ماهي إلا جانب يعمق ما قاله عن أهمية المعنى، وإيمانه بان المعاني ليست ملقاه على الطريق، بل هي صناعة وتوليد وعصف شعوري عقلي.

وفي مفهومه للشعر يرى الدميني أن الموسيقى عنصر إضافي وخارجي، ويتحول إلى عنصر داخلي إذا كان الشاعر متمكنًا من أدواته الشعرية «أن الموسيقى عنصر إضافي وخارجي إذا ما قاربنا آنية شعرية القصيدة، ولكن حين يكون الشاعر متمكنًا من أدواته، فإن الموسيقى ستغدو عنصرًا داخليًا يُغني النص جماليًا ، ويشعل حالات الاستقبال الجمعي والتفاعل الوجداني معه» (3).

وإذا كان الدميني يرى أن الشعر كائن خرافي يخرج عن كل الحدود فإن الشاعر سعد الحميدين يراه أيضًا كائنًا يحتاج إلى التدليل، فمنذ عنوان شهادته (الفن المدلل) تتضح رؤيته لمفهوم الشعر يقول: « الشعر فن مدلل يحتاج إلى تعامل خاص من قبل الشاعر، ويقصد بالشاعر هنا من تكاملت أدواته الفنية المكتسبة مع كينونة الشعر الأصيلة، التي أوعزت إليه أن يتجه غير مختار إلى أن يقول باسمها ويرسم ما تشاء عند احتدام أوراها في ذاته »(4) وليعزز هذه الرؤية يؤكد أن الشعر « فن يتعامل مع الإنسان القادر على مستواه ليقدم الجميل الذي يميز الشعر عمَّا سواه »(5).

---

(1) المصدر السابق.

(2) السابق.

(3) المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435، ص 336

(4) أنطولوجيا الأدب السعودي، مجلي، عبد الناصر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 481

(5) المصدر السابق.

ويحرص الحميدين على كشف ماهية الشعر وأبعاده من خلال الحديث عن الشاعر ذاته حيث يرى " أن الشعر يحيا بابتكار الشاعر وتطوير مفاهيمه الشعرية بواسطة القراءات المتعددة والمتابعة، والاطلاع قدر الإمكان على الأعمال الشعرية ... وخدمة الشعر تكمن في الإصرار على عملية التطوير والتطوير» (1).

والكائن الشعري يحتاج إلى رعاية بكل الوسائل حتى لا يتكلس ويموت وهذه الوصية من أهم وصايا الحميدين في توضيح معنى (الفن المدلل) فإن لم يكن يداخل الشاعر هاجس شعري متوقد فلن يستمر في الإبداع.

وعن كيفية خدمة هذا الهاجس يقول الحميدين: «باستطاعة الشاعر أن يجعل كل شيء يخدم هاجسه الشعري، عن طريق التوظيف.. لإنضاج تجربته.. وتنمية موهبته.. فالانصراف إلى دلق ما في الماعون من معارف.. وما في المخزون من مكتسبات دون محاولة المنح من معين الحياة اللا ناضب يؤدي حتمًا إلى الموت ولو في حالة الوقوف.. يشاهد ويرى، ويسمع، ويكتب، ويظن أنه يقدم شيئًا جديدًا بينما هو يجتر ويلفظ إلى أن نصل إلى حالة التكلس والمماراة بالماضي.. وكنا.. وكنا» (2).

ولعل أبرز ما قاله الحميدين حول ماهية الشعر تجسد في أن الشاعر هو مصدر بقاء الشعر وأهميته، لذا طالب في شهادته بان يطور الشاعر نفسه عن طريق شحذ الهواجس بداخله، بحيث يوظف معارفه ومكتسباته بطريقة تختلف عن اجترار ما قاله الآخرون.

ومن أوضح الشهادات التي ناقشت مفهوم الشعر شهادة الشاعر الدكتور صالح الزهراني والتي اختار لها عنوان (في حضرة القصيدة) وهو عنوان موحي بأن القصيدة في الشهادة هي الأكثر حضورا من حضور الشاعر، وهذا بالفعل ما تجسد في أغلب سياقاتها فبعد أن تحدث الزهراني عن بداياته في كتابة القصيدة خصص الجزء الأكبر في الشهادة لتوضيح مفهومه للشعر يقول : « الشعر عندي معرفة ، وفكرة ، فالشاعر كما هو صانع أشكال فهو صانع أفكاره ولذلك بالرغم من إيماني العميق بأن حضور الشعر وخلوده في طريقة تعبيره عن الأفكار ، فإنني أعتقد أن مقولة الجاحظ : المعاني ملقاة على قارعة الطريق قد فتحت لعشاق قصائد الملابس الجاهزة بوابة واسعة لتسويق هذه القصائد، تحت حماية وكالات أجنبية لمقولات نقدية أفسدت الشعر » (3).

ونلحظ أن الزهراني يشترك مع الدميني في أن المعاني ليست ملقاة على قارعة الطريق، رافضا مقولة الجاحظ الشهيرة في أن المعاني مشتركة وعامة ومتواجدة على طريق الأدباء المبدعين، مؤكدا بأن هذه المقولات ومن مثلها فتحت الباب للجمل الجاهزة والتعابير الشعرية المعلبة والتي أفسدت على أثرِ ذلك الشعر.

(1) أنطولوجيا الأدب السعودي الجديد، ص 481

(2) المصدر السابق، ص 482.

(3) المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435، ص 341

ويؤكد الزهراني أن الشعر فكرة، فالقصيدة كما قال: «التي لا تنطوي على فكرة عميقة تفقد قدرتها على البقاء، لأنها ستكون قائمة على جماليات الشكل القابلة للتقادم ... الشعر العظيم ليس شعرًا لميكانيكا اللغوية، إنه شعر الرؤية الخلاقة، والفكرة النادرة» (1).

وفي موطن آخر يربط الزهراني ماهية الشعر بالسلوك البشري والإحساس بالأشياء، يقول: «الشعر عندي سلوك قبل أن يكون كلمات ولهذا تربطني بالشعراء على اختلاف أطيافهم الشعرية علاقة ود وتقدير. إن الشعر شعور خاص بالأشياء والأفكار» (2).

والأفكار التي هي ركيزة الشعر في نظرة الزهراني لا تكون من دون رؤية، كما أن الرؤية لا تنفصل عن التراث، يقول: «الفكرة الشعرية رؤية جديدة للعالم لا يمكن استيرادها من الخارج، إنها انبثاق من ثقافة تمتد خمسة عشر قرنًا ، أو أكثر من ذلك، وحين تصبح القصيدة عقلًا مستعارًا بأنها تفتقد الأصالة» (3).

ويرى الدكتور صالح الزهراني أن النغم الموسيقي هو عصب الشعر، ولا غنى عنه، ومتى ما فقده فقد جزءًا من دراماه السرية، فالنغم عنده أشبه ما يكون بمولد الطاقة الذي يشعل في داخله آفاق الشعر، إنه قوة تسكنه وتجعله يرقص داخل القيد ويسير على الجبال دون أن يخشى السقوط (4).

وفي سياق مفهومه للشعر يؤكد الزهراني أن ليس هناك مفردات شعرية، وأخرى غير ذلك: «لا يوجد في قاموسي مفردة شعرية، وأخرى غير شعرية، كل مفردات اللغة صالحة بامتياز؛ لأن تكون لبنات في بيت الشعر، الشرط الوحيد هو الشاعر المبدع الذي يستطيع أن يشحن هذه المفردة بطاقة شعرية تستحيل معها إلى جمرة متوهجة» (5).

ويرفض الزهراني أن يكون الشعر وسيلة للتكسب والنفاق، كما يؤكد على أن للشعر دورًا مهمًا في استشراف المستقبل واستشعار الخطر، لا أن يكون صدى للواقع فحسب، يقول: «الشعر الحقيقي يجب أن يكون صوت للمستقبل، وليس صدى للواقع، مهمة الشاعر أن يكون أداة استشعار للخطر القادم.. ولا أجد مقتًا للشعر كما أجده في ثقافة الوجاهة التي جعلت من القصيدة موظف تشريفات في مراسم الوداع والاستقبال» (6).

واستخلاصًا لرؤية الزهراني نلحظ أنه يركز على المعاني داخل العملية الشعرية، مؤمنا بأن دور المفردة لا يكمن فيها، بل تكتسب الشعرية من خلال طريقة شحنها وتصويرها. ويربط الزهراني الشعر الأصيل

(1) المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435، ص342

(2) المرجع السابق، ص343

(3) السابق نفسه، 342

(4)نفسه، ص344

(5)نفسه، ص344

(6)المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435، ص 345

بالتراث كما يربط جمال الشعر بالنغم الموسيقي. كما يشير إلى أن للشعر دور استشرافي ونهضوي فهو ليس صدى للواقع الاجتماعي، بل يتعين عليه قراءة الواقع للوصول إلى المستقبل واستشرافه. ويرفض الزهراني التكسب بالشعر ضمن مفهومه للشعر ولا يؤيد قصره على شعر المناسبات.

وفي رفض التكسب بالشعر نجد للشاعر عبد المحسن صليت رأيًا مماثلًا ؛ حيث أشار في شهادة له بأن صيانة الشعر من الركض خلف الغنائم من أهم اعتباراته في كتابة الشعر يقول في ذلك: «وقعت أنا وهو على عدد من الاتفاقيات فالاتفاقية الأولى تقضي بأن يكون شعري معي وردة حين أحب وأعشق.. وأن يكون حجرًا حين أرجم صنمًا .. والاتفاقية الثانية أن أصونه وأحميه من غبار الراكضين خلف الغنائم، ومن شخير النائمين على الأبواب التي تدخل منها القصائد وتخرج منها الدراهم» (1).

وحليت يؤمن في مفهومه للشعر بالإخلاص الشعري، أي أنه يرفض التنقل الكتابي بين الأجناس الأدبية؛ ولذلك كان موطن الاتفاق الثالث بينه وبين الشعر متجسدًا في أن يخلص للشعر، فلا يكتب في القصة أو الرواية.

وبالنظر إلى أن الشعر نص إبداعي، فإن الشاعرة هدى الدغفق ترى أن النص الإبداعي الشعري لا يتحرر إلَّا على يد مبدع مرن يهتم بالفكرة والتفنن في التصوير، ولهذا فهي - في مفهومها للشعر- تؤكد على أهمية المعنى، ولاسيما في قصيدة النثر، تقول: «المعنى فتى أحلام القصيدة كلما حققته أفزعتها ألفاظ كوابيسها فعذبتها سياط حرفها الوحيد. في آخر شطر متلقيها أيد تصفق لروحها المشنوقة بسموم ألفاظها ... قصيدة النثر التي لم ترقص على موسيقى اللفظ. أو تفتتن بجسدها بل حققت رصيد تلقيها وهي توازن بعطش شعورها» (2).

ولا تقف في مفهومها للشعر عند أهمية المعنى، بل ترى أن الغموض ليس مزية في قصيدة النثر يتباهى بها الشاعر، بل هو حالة يعيشها الشاعر ويعجز عن استبعادها، فهي نصه الخلاق الذي يخترع تفاصيل وألوان لوحته المناسبة لذاته (3).

وضمن هذه المفاهيم للشعر، تؤكد هدى الدغفق أن الشعر يتجلى كحالة سحرية غير معاشة بكامل تفاصيلها، وأن تلك الحالة خليط من متعة وعذاب وأرق وغليان روحي وجسدي، وتأرجح واغتراب وشرود مدروس (4).

---

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، اليوسف، خالد ط1، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر، 2014، ص 300.

(2) شهادة لهدى الدغفق بعنوان (أنا دودة القز قصائدي حرير) منشورة ضمن كتاب ملتقى النقد الأدبي، الدورة الثالثة، (الشعرالسعودي في رؤى النقاد) نادي الرياض الأدبي، الرياض، مطابع الحميضي، ط1، 2011، ص 188.

(3) انظر: المصدر السابق، ص 188.

(4) انظر: ملتقى النقد الأدبي، الشعر السعودي في رؤى النقاد، مطبوعات نادي الرياض الأدبي، ص 189

ولإبراهيم الوافي فلسفة خاصة في فهم الشعر فهو في شهادته (الشاعر بينكم) يرى أن الشعر الحقيقي هو المبتكر الذي يدهشك؛ لأنه خرج من روح منقوعة في إناء الشجن، يقول: «الشعر لم يكن إلَّا جوهرًا محترقًا ، أو فقيرًا يتسول بالحب الحياة، أو مجنونا سيردد أن (أعذب الشعر امرأة) ... الشعر بكارة الحقيقة، ولادة الدهشة ومهارات الكلام في صراع الحياة الصامتة عن اللغو... هكذا ترقع الروح في إناء الشجن.. فيخرج الكلام عناقيد ضوء مشبعة ببخور أرواحنا» (1).

فهو هاهنا يربط الشعر بالابتكار والبحث عن معاني جديدة تدهش القارئ ولكي يتحصل الشاعر على ذلك عليه أن يخرج الكلام من روحه بعد أن تتشبع بضوء أفكاره.

وضمن رؤيته للشعر يرفض الوافي التكسب بالشعر، كما يعلن أن النص الشعري الحقيقي لا يرتهن إلى الماضي؛ لأن ذلك فيه استهلاكية لا تتسق مع كونه البهي، ومراجعاته المستمرة للوجود وتفاعلاته؛ ولهذا قال أيضًا مؤكدًا الفكرة السابقة: «الشعر إرث إنساني مستمر يتجدد ويتبدل وتتميز ملامحه وتقنياته وأدواته بتجدد الحياة وأدواتها» (2).

ويربط الوافي الشعر بالحزن والحب ويرى أن بينهما علاقة قوية جدًا فهما مؤثران قويان لهما دور في انتاج الشعر ولكن يُغلب كفة الحب على غيرها من المؤثرات، يقول: «لا مفر من الاعتراف من أن هناك علاقة وثيقة جدًا بين الشعر والحزن، الشعر كمؤثر والحزن كحالة قريبة دائمًا من النفس الإنسانية... وإذا كان الحزن أدنى إلى الشعر دائمًا فإن الحب مرحه الأكبر فليس من بين شعراء الأرض من لم يعشق ليحزن» (3).

ويختصر الشاعر أحمد عسيري رؤيته في الشعر بأنه متجدد يرفض السحنة الواحدة والإيقاع الواحد والزخرفة اللفظية ، يقول في شهادته : « الشعر بطبيعته يرفض السحنة الواحدة ، والإيقاع الواحد فهو نسيج موقع وجمالي كالحلم الذي لا يتكرر ، بل يكره الزخرفة اللفظية الطافية فوق جنة الحس الشعري الميت ، ويكره قتل الآباء الشعريين والقطيعة معهم ، ويكره بيع المتبني وتعليقه على أعواد المشانق ، فليس هناك خطيئة تذكر حين يتأرجح المبدع بين أشكال مختلفة وملامح مختلفة للقصيدة، إنها حواس ومشاعر ورؤيا وذاكرة، وهذا ما حاولت فعله من خلال تجربتي ورحلتي المتواضعة مع القصيدة »(4) وهذه الرؤية لا تكشف عن رفضه للزخارف اللفظية فحسب بل حتى رفضه للقطيعة مع التراث الشعري، وهذا ما جعله ينادي بالاستفادة من تجارب الشعراء السابقين من حيث القراءة لهم وفهم مكنوناتهم، فهو حرص -كما أشار لذلك في شهادته- على قراءة أغلب شعراء العالم العربي، وأبدى إعجابه بشاعرية بدر شاكر السياب يقول في ذلك « قرأت أغلب شعراء العالم العربي وأهلني بدر شاكر السياب بنبرته الشعرية الطاغية

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 32.

(2)التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 32 – 33.

(3)المصدر السابق، ص 35.

(4) السابق نفسه، 61.

والحزينة، وحضوره الفاره في المشهد الحياتي وما في قصائده من بعد فلسفي وغنائية دافئة، وموجات إيقاعية ولفظية غير مسبوقة، وابتداع شعري أسطوري عصي على غيره، فقد كان برقا شعريا في عتمة الحياة »(1) .

من الملاحظ على شهادة عسيري أنه يشترك مع الزهراني في أهمية الاتصال بالتراث وعدم قطع العلاقة مع الشعراء والقدماء وهذا يعني بأنه يؤمن بأن الأصالة الشعرية تنبع من فهمك لتاريخك الشعري وتجارب غيرك الإبداعية، ومن ثم يلي هذا الاستيعاب الانطلاق نحو التجديد الواعي، فالجذور التي مدها داخل التراث وتجارب إبداع الغير كفيلة بأن تحميه من التأرجح.

ويدرك الشاعر أحمد قرَّان الزهراني أن الشعر ليس إلا لغة تقود إلى تحسس الجمال ، وما هو إلَّا كائن لا يعرف السكون ؛ حيث أشار في شهادته التي قدمها في مهرجان سوق عكاظ لعام 2017 م إلى ذلك ، مؤكدًا في شهاداته التي جاءت بعنوان (الترحال ورغيف القصيدة) إلى أن الشعر كائن حيوي لا يعرف السكون ولا يستسلم للظروف أداة لتغيير مناخ الأزمنة وتضاريس الأمكنة يحيلها من الجمود إلى الحركة ومن البرودة إلى الدفء، والشعر هو أيضًا في مفهوم قرَّان « أغنية وصورة ولحن وحديقة ونهر وامرأة وطفل وعجوز وجرح وحزن وفرح وانكسار وتفاؤل وحب وحياة »(2). وهذه الرؤية يستشفها المتلقي من عنوان الشهادة والذي أرتكز على قطبين مهمين الترحال بما يحمله من تجدد والتغيير والقطب الآخر القصيدة التي تحولت لرغيف وذلك موحي بأنها تحولت من مجرد نص إلى ضرورة حياتية تقود للبقاء، وكل هذه الدلالات حاضرة في نصوص شهادته السابقة.

ومن خلال محاولة الشاعر جاسم الصحيح لتعريف القصيدة يظهر للمتلقي كيف يرى الشعر إذ يقول: «القصيدة تجربة إنسانية تقدم إلينا في لغة موسيقية إيقاعية، محملة بالرؤية، ومحكومة بالنزعة التصويرية، اللغة الإيقاعية هنا تعني أن لدينا موسيقا تتكئ على الوزن الذي يحرس القصيدة من السقوط في النثرية، أما النزعة التصويرية فإنها تعني أن لدينا صورة شعرية تنثال داخلها العواطف وليست مجرَّد صورة فارغة. وهذا يعني أن القصيدة محمولة في هودجها على محملين: الإيقاع الموسيقي والصورة الشعرية. أما القصيدة فتتوهج بمقدار حضور المجازات وكثافة الرموز فيها» (3).

ومن هذا النص نفهم أن من مقومات الشعر لدى الصحيح وجود الموسيقى والصورة الشعرية ويعضدها بأهمية توظيف المجازات والرموز.

ولئن تحدث أغلب الشعراء عن مفهوم الشعر وماهيته بطريقة مباشرة ، فإن مفهوم الشاعر حسن الزهراني والشاعرة مريم البغدادي للشعر يستنطقه القارئ من خلال ما عرضاه من مواقف شعرية وحوادث

(1)نفسه، ص 61.

(2) ألقيت ضمن برنامج سوق عكاظ الثقافي لعام 2017.

(3) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 129.

حياتيـة مـرا بهـا ؛ إذ يؤمنـان بـأن الشـعر وسـيلة للتعبيـر عـن المناسـبات الاجتماعيـة ، ووسـيلة للحصـول علـى مطالـب شـخصية ربمـا يصعـب الحصـول عليهـا بسـبب بيروقراطيّـة المجتمـع ؛ لـذا نجـد الزهرانـي يتحـدث فـي شـهادته عـن بعـض النصـوص التـي وظفهـا لخدمـة غـرض شـخصي أو مجتمعـي، ففـي نصـه الـذي ألقـاه فـي حفـل اسـتقبال الأميـر سـلطان بـن عبـد العزيـز تحـدث عـن مطالـب أهـل منطقتـه فـكان النـص أقـرب لبـث شـكوى منـه للترحيـب . ولـه أيضًـا قصيـدة أخـرى بعنـوان (شـبابيب البهتـان) كتبهـا مـن أجـل الدفـاع عـن السـجين السـعودي شبابيب البهتان في فرنسا.

واسـتطاع الزهرانـي مـن خـلال نص شـعري أن يسـتخرج حجـة اسـتحكام منزل كانـت معلقـة ومتعثـرة وأن يحصل أيضا على خط هاتف وآلة كاتبة لمدرسته عن طريق كتابة نص شعر لإدارة التعليم بدلا من الخطاب الرسمي.

وبهـذا فـإن الشـاعر حسـن الزهرانـي يـرى أن مـن مهـام الشـعر خدمـة المجتمـع أو الـذات. وأن قيمـة الشـعر الاجتماعـي والمناسـباتي لا تقـل مكانـة عـن الشـعر الذاتـي أو الغنائـي (1)، وهـذا عينـه مـا نـادت بـه الدكتـورة مريـم البغـدادي حيـث سـردت فـي شـهادتها مجموعـة نصـوص سـيرية تؤكـد مـن خلالهـا أن علـى الشـاعر أن يتفاعـل مـع المواقـف والمناسـبات التـي تمـر بـه، وهـذا الإيمـان دفعهـا أن تكتـب عـن «محنـة الأسـهم فـي البنـوك.. ومـا أصاب المساهمين من خيبة أمل» (2). أو تكتب نصًا شعريًا تحذر فيه من (عيد الحب).

وفـي ضـوء مـا سـبق اسـتعراضه عـن مفاهيـم الشـعراء فـي شـهاداتهم السـردية نلحـظ أن الشـعراء ركـزوا فـي مفاهيمهـم للشـعر علـى أهميـة وجـود المعنـى والموسـيقى الداخليـة للنـص. كمـا رفـض أغلبهـم أن يكـون الشـعر وسـيلة تكسـب، معلنيـن أهميـة اسـتقلالية الشـاعر فـي نضـوج تجربتـه، وفـي حيـن ربـط بعـض الشـعراء الشـعر بالحب والجمال والحياة والمرأة، نجد غيرهم نظر إليه كوسيلة للحصول على احتياجاتهم وخدمة لمجتمعهم.

2. التجربة الشعرية:

اختلـف بعـض النقـاد حـول وضـع حـد جامـع لتعريـف التجربـة الشـعرية (3) «فبعضهـم يحصـره فـي مجـال الحديـث عـن الجانـب الشـعوري عنـد كتابـة القصيـدة، وهنـاك مـن يجعلـه فـي جانـب الحصيلـة الشـعرية التـي رافقت الشاعر من بداية كتابته للشعر، وهناك من يجعله شاملًا لهذا، وذاك» (4).

والتجربـة الشـعرية التـي يقـارب بهـا البحـث مدونـة شـهادات الشـعراء هـي مجمـوع المشـاعر والأفـكار التـي تتراكـم فـي نفـس الأديـب، وتكـون مُحَصِّـلًا لاحتكاكـه بمجتمعـه وطـرق اتصالـه بـه، والتفاعـل بينهمـا. وهـذه التجربة تكون عنصرًا أساسيًا في شخصيته الفنية التي تبرز في آثاره (5).

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 145.

(2) المصدر السابق، ص 387.

(3) انظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مطلوب، أحمد، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2001ص 137، وأنظر، هلال، محمود غنيمي، د. ط، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة مصر، القاهرة، ص 363.

(4)سير الشعر الذاتية في الأدب العربي الحديث، الجنوبي، ط1، أسماء، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014 م، ص 133.

(5)المعجم الأدبي، عبد النور، جبور، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 58.

وبذلك فإن التجربة الشعرية كما نقاربها هي «البحث عمَّا يميز تجربة الشاعر كما رآها هو في سيرة شعره» (1) وكيف وصفها، وكيف اختار طريقه في مجال الشعر، وأساس تكوين تجربته.

ومن الجدير بالإشارة في هذا التقديم أن أؤكد بأن الإحاطة بكل تجارب الشعراء الشعرية في شهاداتهم أمر من الصعوبة بمكان، إلا أن البحث سيحاول تقنين ما سيعرضه من تجارب في ضوء ما طرح في التعريف السابق، لاسيما وأن الشعراء اختلفوا في عرض تجاربهم بطريقة سردية يصعب حصرها إلا أن هناك مشتركات بينهم، آثرت جمعها في سياق واحد له علاقة بالتكوين الشعري في تجربة الشاعر.

وفي شهادات الشعراء لجأ بعضهم إلى استعراض بداياته مع الشعر وعلاقته به وأبرز المحطات التي مرَّ بها وصولًا إلى ما يميز هذه التجربة؛ فالشاعر إبراهيم مفتاح يشير في شهادته إلى أن حديثه عن تجربته الشعرية يستدعي منه الرجوع إلى بداياته الأولى؛ لذا تطرق إلى نشأته التعليمية، ومحاولات النشر الأولى في الصحف المحلية، ووصل بحديثه إلى أنه – بوصفه شاعرًا - مؤمن بأن تجربته كانت حصيلة الكتب التي قرأها، وحصيلة توصيات معلميه، ومكونة على سماع البرامج الثقافية عبر إذاعته المفضلة لندن(2).

وعلى عكس مفتاح هناك من الشعراء من مال للحديث عن تجربته الشعرية برؤية أكثر وضوحًا ، فها هو إبراهيم طالع الألمعي يؤكد أن أهم تجربة جربها في المجال الشعري هي «تجربة وضع مقاطع من شعر الحياة الشعبي في المكان ضمن القصيدة وفي نهايتها، بشرط أن تكون المقطوعة الشعبية من نفس بحر القصيدة الفصحى» (3). ثم يلخص هذه التجربة في قوله: «أن حديثي عن تجربتي الشعرية لا يخرج عن دائرة شعوري بانطباق حياتي الحقيقية على حياتي الشعرية، بمعنى أنني أعيش الحياة كما في القصيدة، وقد أشعر بأن القصيدة باللغة الكتابية بهذا الجزء القليل جدًا من لغتنا العربية والذي أسموه الفصحى بأنها لا تكفي للغناء الحقيقي، فألجأ إلى ممارسته بموروثه الشعبي...كما أن تجربتي بين العمودي الخليلي والتفعيلة منحتني ثقة كاملة بأن الخليل ومن تبعه في مجال عروض الشعر العربي وقافيته عظماء في ما وصلوا إليه ونعجز بكل إمكانات عصرنا عن الوصول إليه، غير أنهم لم يخرجوا عن اللغة النخبوية المدينة المسيسة»(4).

ونستشف من اختصار تجربة الألمعي الشعرية أنها ترتكز على ضرورة أن تكون القصيدة انعكاسًا للواقع، وأن اللغة الفصحى وحدها لا تلبي رغبته في غنائية النص، وأن شعبوية القصيدة هي الأكثر بقاء وقربًا من الجماهير.

وتصف الشاعرة بديعة كشغري تجربتها الشعرية من خلال محاولاتها لكسر رتابة القافية، تقول:

(1) انظر: سير الشعر الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 135.

(2) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 25.

(3)التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 17.

(4) المصدر السابق، ص 21.

«اجتاحت مدارات كوني الشعري فيما بعد ومنذ أواخر السبعينات جذوة التمرد الروحي ضد عمود الشعر وجمود قوالبه، ما جعلني ألج عوالم" اليوت" وأرضه الخراب و" إزرا بوند" وانطلاقاته لتنويع المضامين والشكل، وملارميه الفرنسي وتحرر شعره من رتابة القافية والإيقاع»(1).

وتكشف كشغري عن طريقتها الشعرية واختياراتها المقصورة، لاسيما حينما تكون مرتبطة بكيانها الأنثوي، فهي على حد تعبيرها لا تتنكر لمعجمها اللغوي؛ إذ انثالت مفرداته من زخم كيانها الأنثوي، وترحب بعفوية اللغة: «أجدني مرحبة بعفويتها التي قد تضيف بعدًا آخر للنص لما يمتلك من أبعاد رمزية مصبوغة بالخصوصي المشبع بفعل التجربة... ولعل ثنائية المرأة والرجل كانت تيمة لا زمتني، بل هي مشقة أنهكتني فكان لابد من حمل عبئها عبر شهقة نصوصي ونسيج مساءلاتها: ماذا سأكتب، إني تحددت من خلف منفى الجسد ومن عهد تيه... صنع أسمائي المعلنة» (2).

أما جاسم الصحيح فمن خلال شهادته (محطات في سيرة ناقصة) ربط تنامي تجربته الشعرية بمنعطفات مهمة أثرت وغيرت في مسيرته الشعرية: «خلال تجربتي الكتابية على مدى خمسة وعشرين عامًا مررت بعدَّة منعطفات على صعيد الإعلام كانت تمثل بالنسبة لي ولادات جديدة دفعتني لمواصلة الإبداع وحملتني بمسؤولية أكبر تجاه ما أكتب»(3).

وأولى تلك الولادات كانت حصوله عام 1998 م على جائزة (البابطين للإبداع) حيث يرى أنها كانت نافذته على المشهد الثقافي العربي ، والولادة الثانية كانت عبر مشاركته في برنامج (أمير الشعراء) وحصوله على المركز الثالث فبهذه المشاركة حفر بصمة خاصة له في أذهان متابعيه : « كأن هذا الظهور أصبح بالنسبة لي هوية أو بصمة راسخة في أذهان كل الذين تابعوني من جميع أنحاء الوطن العربي ، باختصار حضوري في هذه المسابقة أهداني معراجًا جديدًا في أفق جديد من آفاق الإعلام والجماهيرية ، ولكنه في الوقت ذاته ألقى على كاهلي بمسئولية الشعر والإبداع »(4).

وتمثل مشاركته باسم شاعر الوطن في مهرجان الجنادرية عام 2010 الولادة الثالثة، وختم أهم منعطفات في تجربته الشعرية بفوزه بجائزة البابطين عام 2013 م وإكمالًا لتجربته الشعرية يعدد الصحيح دواوينه ثم يقيمها في مقطع مكثف يقرب للقراءة النقدية أكثر من كونه عرضًا للتجربة الشعرية: «لقد أصدرت تسعة دواوين شعرية حتى الآن، وثمة ديوان عاشر في الطريق وربّما هناك من يسأل عن مضامين هذه الدواوين، وهل كان بالإمكان اختزالها في كتابةٍ أقل؟

جوابي هو: نعم، إذ أعتقد أنّ دواويني الأربعة الأولى كان يمكن اختزالها في ديوان واحد لأنها تحمل

(1) السابق نفسه، ص 101.

(2) نفسه، ص 108، 109.

(3) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص ، ص 124.

(4) المصدر السابق، ص 127.

(5) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 129.

قصائـد رومانسـية متشـابهة فـي مشـاعرها وشـعائرها أيضًـا . أمّـا الديوانـان التاليـان (رقصـة عرفانيـة، نحيـب الأبجديـة) فتلتقـي قصائدهمـا فـي مجـرى شـعوري واحـد، وتحمـلان ذات المضاميـن الإنسـانية، هنـاك أيضًـا ديوانـان يحتويـان قصائـدي الدينيـة (أعشـاش الملائكـة، وألنّـا لـه القصيد) ويحمـلان ذات الوجـدان الجمالـي، وكان يمكن مزجهما في خليط إبداعي واحد» (1).

ويظهـر مـن حديـث الصحيـح عـن تجربتـه الشـعرية مـدى إحساسـه بالمتلقـي مـن جانـب، ومـن جانـب آخـر أحساسـه بالمسـؤولية تجـاه الجوائـز والتكريـم، فهـو لا ينظـر لهـا كمجـرد جائـزة اسـتحقها بـل هـي مسـؤولية تدفعه إلى الاستمرار مع التجديد والحرص على الوفاء لتجربته بفتح آفاق جديدة لها.

كمـا يُقيـم الصحيـح تجربتـه الشـعرية ويعطـي لقارئـه تصـورا عـن مضامينـه ومختصـرا عـن شـعريته فهـو يـرى أن هنـاك دواويـن لـه قريبـة مـن الرومانسـية، فيمـا هنـاك دواويـن أخـرى تحمـل مضاميـن إنسـانية، وغيرهـا ذات بعد ديني.

ويقـرن الشـاعر حسـن السـبع (رحمـه الله) رؤيتـه لتجربتـه الشـعرية برؤيـة النقـاد، مؤكـدًا هـذه الرؤيـة أحيانًـا ، أو مصححًـا لهـا؛ فهـو يشـير إلـى أن النقـاد يلاحظـون علـى تجربتـه احتفاءهـا بالغنائيـة، ويوافقهـم الـرأي، لكنـه يوضـح أمـرًا مهمًـا فـي سـياق الغنائيـة، هـو أنهـا تأتـي بعفويـة تلقائيـة دون إكـراه يقـول: «يلاحـظ بعضهـم علـى تجربتـي احتفاءهـا بالغنائيـة.. وهـذا صحيـح غيـر أنـي لـم أشـعر يومًـا أننـي أسـير الـوزن والقافيـة، فالمفـردات كمـا يبـدو لـي تأتـي بتلقائيـة ودون إكـراه لتأخـذ مكانهـا المناسـب فـي النـص، لـم أحـاول يومًـا أن ألـوي عنـق مفـردة ما، وقد تناثرت تلك الغنائية في نصوص كثيرة عندما وجدت أنها تضيق بالمعنى أو تجني عليه» (2).

ويكمـل السـبع ملخصًـا تجربتـه الشـعرية فـي نقـاط واضحـة تمثلـت فـي أنـه يميـل للتجريـب، ولكـن التجريـب الواعـي الـذي يبعـده عـن كتابـة نـص شـعري مبهـم، كمـا أنـه يشـير إلـى أهميـة المتلقـي أثنـاء كتابـة النـص حيـث يرفـض التعالـي عليـه، لذلـك فـإن نصوصـه يمكـن تصنيفهـا علـى أنهـا نـص سـهل ممتنـع، مبينًـا أنـه يميل لكتابة نص متعدد الدلالات.

كمـا أشـار إلـى أن حكـم النقـاد عليـه بـأن (قلـق الزمـن) سـمة ظاهـرة علـى نصوصـه حكـم حقيقـي، فهـو كمـا يوضـح فـي شـهادته أصبـح هاجسًـا لـه، وصـار بطـلًا مـن أبطـال النـص، ومـرد هـذا كمـا قـال إلـى أن الفـن مـا هـو إلَّا محاولة لمقاومة الفناء أو الرغبة في القبض على اللحظة واحتوائها.

وإذا كان السـبع يضـع اعتبـارًا لآراء النقـاد فـي تجربتـه الشـعرية ويعرضهـا ويناقشـها، فـإن الشـاعر صالـح الزهرانـي يصـرّح بأنـه خـلال ثلاثيـن عامًـا مـن تجربتـه الشـعرية لـم يكـن معنيًـا بمـا سـيقوله النقـاد عنـه، فهـو مشـغول بمسـؤولية الكلمـة أمـام الله، ثـم أمـام الجمهـور الـذي أحبـه وعـاش أحزانـه وآمالـه. ولا يقـف الزهرانـي عنـد هـذه النقطـة التـي أفـرد لهـا حيـزًا مهمًـا فـي شـهادته السـيرية، بـل وقـف علـى تجربتـه مـع حضـور القصيدة،

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 129.

(2)المصدر السابق، ص 153.

فهي ذات طقس خاص تداهمه بلا استئذان، فتظهر في طقوس جسدية، كأن يبدأ بالكتابة بأصابعه على الأريكة أو المكتب ويدخل في حالة سرحان وذهول. ثم يحاول أن يقيدها؛ كي لا تموت أثناء عملية الولادة، كما يعترف بوجود قوة توجهه أثناء الكتابة؛ حيث يبدأ الكتابة بفكرة حاضرة في ذهنه، ولكنه بسبب هذه القوة يخرج بتصور آخر مختلف عنها؛ لذا هو مؤمن بحضور اللاوعي أثناء كتابة النص (1).

وفي حديث الشاعر عبد الله الوشمي عن تجربته الشعرية يركز على ما يراه مميزًا فيها، فيعترف بأنه مغرم بالقصيدة القصيرة أو الومضة: «لا أود أن أخوض سجالًا نقديًا يتصل بالتعريف الدقيق لما أكتبه أو بالتأويل لمعانيه ... ولا أن أفلسف الاسم هل هو قصيدة قصيرة أو قصيرة جدًا أو ومضة أو توقيع أو الـ(هايكو) العربية، ولكني مؤمن بأنني مأخوذ إلى هذا الفن دون أن أعي تفاصيل الوجد به، أو أسباب الصيرورة إليه، وإن تنبهت لعدد من المؤثرات في خضم هذه الحمأة الشعرية» (2).

ولأن الشاعر الوشمي ناقد مهتم بالتراث، تجده يشير إلى أن هذه التجربة في كتابته الشعرية لها صلة باهتمامه بالبيت الشارد أو بيت القصيد، ومع تلك الجذور التراثية، فهو غير مأخوذ بفكرة التطور الأجناسي أو النظر لهذه التجربة المميزة في نصوصه بوصفها مرحلة تاريخية وصل إليها بعد اكتمال الوعي بإنتاج القصيدة، إنما يفهمها بأنها قصيدة تتطلب منه الخبرة والممارسة والوعي بمفهوم الشعرية (3).

أما علي الدميني فإنه يقيّم تجربته الشعرية، ويراها منفتحة على الحداثة والبحث عن تمثلات العدالة الاجتماعية، يقول: «أما تجربتي الشعرية فقد كانت بابًا مشرعًا على استلهام عناصر وأسس النهضة، ومكونات الحداثة، وأفقًا لتغيير ميزان النظر إلى الأصل والنهاية والتركيبة والمسار نحو الغاية الحلمية التي تنشد إرساء مثالات العدالة الاجتماعية، والمساواة، وحرية الإنسان» (4).

3. الشعر وتوثيق المرحلة:

شغل الحديث عن الذات ومكوناتها وتجاربها الشعرية المساحة العظمى من شهادات الشعراء إلّا أن البعض نظر للشهادة على أنها وثيقة تاريخية تؤرخ للأحداث البارزة والمهمة في الثقافة أو ينظر لتجربته الشعرية على أنها جزء لا يتجزأ من تجربة جيل مرَّ بتحديات وصعوبات كما أشارت لذلك الشاعرة فوزية أبو خالد في شهادتها فهي تؤكد أن حديثها عن تجربتها الشعرية لا يكاد ينفصل عن تجربة جيلها في السبعينات والثمانينات فتجاربهم الشعرية مكملة لبعضها (4).

---

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية، شهادات ونصوص، ص 184.

(2) المصدر السابق، ص 264.

(3) انظر: التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 264.

(4) من شهادته (لست وصيًا على أحد)، ضمن كتاب أفق التحولات في الشعر العربي شهادات ونصوص، ط1، مطبوعات بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 2001، ص 95.

وباستقراء شهادات الشعراء والشاعرات رصدنا أن أهم ما أرّخوا له في شهاداتهم هي تجربتهم مع (صراع الحداثة) وهذا يعود ربما لأنها كانت بالفعل أبرز وأهم حدث تاريخي ثقافي صادف ذلك الجيل وامتدت آثاره للجيل الذي يليه.

كما رصد البحث أن حديث الشعراء عن الحداثة جاء على مستويات مختلفة؛ فهناك من ارتأى أن يفرد لها كامل الشهادة، وهناك من خصص جزءًا من شهادته للحديث عنها. فيما جاء الحديث عن الحداثة وآثارها في بعض الشهادات عرضًا مجردًا . وسيعرض البحث لنماذج من ذلك.

التوثيق الكامل:

من عنوان شهادة الشاعر علي الدميني (الحداثة الشعرية في المملكة العربية السعودية تجربة شخصية) التي ألقاها في ملتقى رابطة أدباء وكتاب البحرين عام 2003، يظهر جليًا أن الشاعر خصصها للحديث عن الحداثة الشعرية في السعودية من خلال تجربته الخاصة أو منظوره الشخصي؛ لذا أكد من البدء أن شهادته في الحداثة المحلية تأتي حسب تجربته ومعاصرته لتلك المرحلة(1).

يقسم الدميني شهادته إلى عدة أقسام بدأها بـ(عتبات الاستجابة: محمد حسن عواد) موثقًا إصلاحات العواد، وكاشفًا عن خطابه التحديثي ومواجهاته مع التيار المحافظ، متطرقًا لتوضيح أهم المعوقات التي واجهت مشروعه التنويري. كما عرض لتجارب شعراء سعوديين مع قصيدة التفعيلة ودور فوزية أبو خالد في انحيازها لقصيدة النثر.

وخصص الدميني القسم الثاني من شهادته التوثيقية للحديث عن مخاض السبعينات، مفردًا الجزء الأكبر لتجربة محمد العلي، ومتطرقًا إلى إسهامات الدكتور غازي القصيبي في هذا المخاض.

وفي سياق آخر التفت الدميني للشعر الشعبي مؤكدًا أن ظهور (اللغة المحلية) في مطلع السبعينات اخترق ثبات الذائقة، وأغوتها بتقبل الجديد والتفتح على تجربة الشعر الحر بشكل عام. وإضافة إلى ذلك استعرض الدميني دور الملحقات الأدبية في كسر عادية الذائقة وإغناء حركة الحداثة المحلية.

وتحت عنوان (الحداثة: صخب التسمية وسعودتها) وثق الدميني دور النقاد أمثال عبد الله الغذامي وسعيد السريحي وسعد البازعي في حركة الحداثة ومتغيراتها، وتوسع في ختام هذه الشهادة حول ما سماه (مجزرة الحداثة) حيث رصد أبرز الحوادث التي حدثت للمثقفين والأدباء والشعراء بسبب التيار المعارض، ومن ذلك حادثة حرمان سعيد السريحي من درجة الدكتوراه، ومغادرة الغذامي جامعة الملك عبد العزيز، وتحويل فوزية أبو خالد من عملها بوصفها محاضرة إلى موظفة إدارية.

( ) انظر: (الحداثة الشعرية في المملكة العربية السعودية تجربة شخصية) نشرت في جريدة الجزيرة، الاثنين 1424، ص 13.

ويختتم علي الدميني الشهادة بتوثيق مرحلة التحول إلى قصيدة النثر وسطوة الرواية على حركة التحديث.

ومن الملاحظ على شهادة الدميني التوثيقية لهذه المرحلة المهمة في تأريخ حركة الثقافة المحلية أنها اتكأت على وجهة النظر الخاصة إلا أنه يؤمن أن وجهة نظره، كما قال «لا تعني إطلاق حكم القيمة بقدر ما تفيا تحديد مفاهيمي الشخصية للمصطلح، وتوثيق حراك مرحلة ثقافية مهمة من مراحل تطورها في بلادنا»(1).

هذا من جانب، ومن جانب آخر ترى أن الذاتية والحديث عن الذات وتجاربها تظهر جلية في مواطن متعددة من الشهادة، ولعل هذا راجع إلى أنه يرى أن تجربته الفردية هي جزء من التجربة الكلية في المجتمع الثقافي، يقول: «إذ أوصف تجربتي الفردية فإنني أزعم أن تعميمها لن يجانب الصواب في شيء، وأن مفاعيل ذلك المناخ السائد هو الذي أعاق تبلور الحداثة الشعرية في تلك الفترة» (2).

والشهادة التوثيقية للدميني وإن استندت على وجهة النظر الخاصة وصرحت بذلك إلا أننا نلحظ بشكل جليّ استنادها لوجهات نظر أخرى تؤكد ما يطرحه من آراء، فهو غالبًا ما يشير إلى رأي عبد الله الغذامي أو رأي للدكتور حسن الهويمل أو حمد الجاسر أو سعد البازعي أو تركي الحمد. وهذه الإشارات تدل على أن الدميني حريص على مصداقية التوثيق أمام القارئ حيث لجأ إلى التدليل وتقوية رأيه بآراء النقاد الآخرين.

ومن الأمور الأخرى التي سجلها البحث على الشهادة أن الدميني انحاز في حديثه عن تجربة محمد العلي حيث أفرد لها مساحات كبيرة للحديث عن تجربته الريادية، فيما نجده يمر مرورًا عابرًا على تجربة غازي القصيبي، وأيضًا ينحاز بصفته شاعرًا إلى الحديث عن شعر التفعيلة وقصيدة النثر، فيما كان حديثه عن الحداثة السردية مقصورًا على لمحات وجيزة.

التوثيق الجزئي:

تمثل هذا النوع شهادة الشاعر عبد الله الزيد إذ خصص جزءًا منها لتوثيق ما حصل لجيل السبعينات والثمانينات من مضايقات وانتكاسات ثقافية. ويبدو من عنوان الشهادة المرتكزة على العطف (مقاطع من السيرة الشعرية والشهادة على المرحلة) أن الزيد أزمع حين شرع في كتابتها أن يخصص جزءًا منها للحديث عن مرحلة مهمة عاصرها، وكان لها تأثير على تجربته وتجربة جيله.

يبدأ الزيد تقسيم شهادته إلى (التكوينات الأولى ومناخ البدايات) ثم تكوينات الشباب وبروز

(1) شهادة الدميني، جريدة الجزيرة، ص 13.

(2)شهادة الدميني، جريدة الجزيرة. ص 13

الموهبة متطرقًا للمرحلة الجامعية (التماه مع الشعر العربي الحديث) ويختمها بالتوثيق من خلال حديثه عن (الحداثة وما بعد الحداثة).

وفي جزء التوثيق يعلن الشاعر عبد الله الزيد أن هذه المرحلة على أهميتها إلَّا أنه لا يرغب في إطالة الحديث عنها لسببين:

الأول بحسب قوله: «أن هذه الفترة ماثلة للعيان ولا تحتاج إلى إعادة كلام قيل كثيرًا " والأمر الآخر: أن الحديث عمَّا حصل يعين لي تحديدًا إحياء للكارثة ، وإيقاظًا حادًا للجروح والأحزان »(1).

ولكن ما الذي وثقه الزيد في هذا الجزء المخصص لمرحلة الحداثة؟

قرّر الشاعر عبد الله الزيد أن يجمل من وجهة نظره ما حدث في مرحلة الحداثة دون تفصيل متحدثًا عما أسماه (مجزرة الحداثة) وهذا المسمى تكرر لدى الدميني ويبدو أنه شاع لدى الشعراء بسبب ما واجهوه من ألم وخيبة وحزن في تلك الفترة.

وعلى الرغم من أن الزيد قرر إفراد جزء من شهادته للحديث عن الحداثة وما بعدها كما عنون ذلك الجزء إلَّا أن سرده لا يدل على تجربة شاعر عاصر هذه المرحلة، فما يصادف القارئ في تلك الشهادة هو سرد عام يمكن لأي شخص أن يخبر به؛ فهو مثلًا يشير إشارات سريعة إلى أن الحداثة وئدت في منتصف عام 1409 هـ قبل أن تبدأ ثم يذكر أن توقف الأمسيات الثقافية والمناسبات جاء بسبب الحرب على الحداثة، وهذا الكلام عام والجميع يعرفه إذا لا جديد، ولكنه يعرض رأيه في فقدان الساحة الثقافية للحياة الأدبية والمعرفية، ويدلل على ذلك بأمرين : أن الساحة الثقافية أصبح زمامها بيد أناس لا علاقة لهم بالثقافة ، والأمر الآخر هو طغيان العامية والشعر الشعبي . مما ترتب عليه كما يقول: « أتروى مبدعون كانوا ملء السمع والبصر مثل عبد الكريم العودة، وجار الله الحميد، وجملة شعراء الحداثة والمعاصرة.. وتبعًا لذلك لم يوجد لدينا، ولم يخلق عهد جديد يستحق مصطلح ما بعد الحداثة، فقد سيطرت الظلامية وصرنا نعيش عهدًا اسمه فقدان الحداثة والمعاصرة» (2).

ومن اللافت هنا أن الزيد يرفض الشعر الشعبي ويحمله جزءًا من ضياع الحياة الأدبية والثقافية، وهو رأي مخالف تمامًا لرأي على الدميني الذي يمجد ويعلي من أهمية الشعر الشعبي ومساندته لحركة الحداثة.

التوثيق العابر:

وثق بعض الشعراء في شهاداتهم الشعرية مواقف خاصة بالحداثة ولكنه توثيق جاء عابرًا ساق الحديث وأملاه الموقف، فحسب كما في شهادة الشاعر إبراهيم زولي الذي تحدث عن موقف التيار

(1) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية، ص 243.

(2) التجربة الشعرية في المملكة العربية السعودية شهادات ونصوص، ص 245.

المحافظ القوي من الحداثيين والشعر الحداثي في خضم عرضه لتجربته الشعرية وبداياته ، يقول : « هناك موقف لا أنساه حدث لي وأنا طالب في جامعة أم القرى عام 1988 م ، في مقر لجنة التوعية الإسلامية، عندما شتموا الحداثة وكفروا أصحابها ، لم أؤمّن على ما قالوه ، وقفت وقلت شيئًا مختلفًا عمَّا يريدون ، يومها كلُّ مسّد لحيته ، ورمقني بنظرة سوء ، عقب هذه الحادثة بأسبوع التقيت محمد الثبيتي ... قال لي : (وش سويت في الجامعة) لم أعرف للآن كيف وصل إليه الخبر ، ثم أردف (قل لهم نعل أبو الحداثة) وخذ شهادتك يا إبراهيم أهلك ينتظرونك هناك »[1].

ويظهر من حديث زولي أن الحداثة الشعرية هوجمت على المنابر وأن الشباب المؤمن بالحداثة أمثال زولي كانوا يدافعون عنها حتى ولو سيلحق ذلك ضررا بهم، إلا أن موقف محمد الثبيتي بان أكثر حكمة، ربما لأنه عانى من الصراع مع التيار المعارض للحداثة فبات أكثر معرفة بمخارج الخلاص منه، لذا جاءت نصيحته مقتضبة تشير إلى ضرورة مسايرتهم وادعاء السير في طريقهم.

وفي حديث للشاعرة هدى الدغفق في شهادتها (أنا دودة القز قصائدي حرير) إشارات عابرة عن ما تعرضت له من تشويه لسمعتها في كتاب (الحداثة في ميزان الإسلام)[2]، تقول: "كانت بعض التلميذات يوجهنني بأسئلة عن شعري الذي لم يكن يفهمنه كما يقلن -وأدركت فيما بعد أنهن لا يفهمن ما يسألنني عنه، ولكن أسئلتهن كانت تبحث عن ما يرشدها إلى سلامة نيتها في معلمتها التي ورد اسمها في كتاب صدر تلك الأيام عام 86 م للشيخ عوض القرني وهو (الحداثة في ميزان الإسلام) وكان كتابه آنذاك قد وجد له صيتا لدى العامة الذين كانوا على قدر من التبعية وراء الرأي المطروح وبعض مافيه من أحكام متطرفة على الفكر وأهل الإبداع دون تمحيصه وقراءته واختيار مدى صوابه أو خطئه، وربما اضطررت معه أن أقف مدافعه ولست مضطرة لذلك لكني أحببت إشراك التلميذات لإيماني بضرورة الحوار"[3]

كما أشارت الدغفق في سياقها التوثيقي إلى أن الحداثة الشعرية عانت من ردود أفعال المجتمع ولاسيما رفضه لقصيدة النثر مما أدى إلى تعطيل حركة الثقافة والفكر مدة طويلة.

وباستقراء شهادات الشعراء عن هذه المرحلة صراع الحداثة وجدنا أن هناك شعراء عاصروا هذه الفترة وشهدوا حروبها إلَّا أنهم لم يتطرقوا للحديث عنها في شهاداتهم

ولا حتى في إشارات عابرة مثل عبد الله الصيحان الذي فضل أن تكون شهادته ذاتية خالصة لروحه كشاعر وعن بداياته الشعرية وعلاقته بالأدب والقراءة والفن.

وكذلك الشاعر علي بافقيه الذي جايل تلك المرحلة إلَّا أنه نظر إليها من جانب مشرق فتحدث عن

( )المصدر السابق، ص 6.

( ) انظر: ملتقى النقد الأدبي: (الشعر السعودي في رؤى النقاد)، ص 190.

( ) انظر: المرجع السابق، ص 190.

علاقته بالشعراء والأدباء التي أثرت في تجربته الشعرية كصداقته بعبد العزيز مشري أو محمد الدميني أو محمد جبر الحربي.

ولا يلتفت محمد جبر الحربي أيضًا لتلك المرحلة رغم ما عاناه فيها فهو لا يشير إليها، إنما خصص شهادته للحديث عن حياته وبداياته، مركزًا على تنقلاته في العمل حتى وجد نفسه في العمل الصحفي.

الخاتمة:

السيرة الذاتية جنس سردي إشكالي فحضورها في سياق الأدب ظل محل خلاف، وهذا الخلاف انعكس على تلقي النقاد لها حيث تلقاها النقد في بادئ الأمر بشكل جزئي، ثم تنامت الدراسات حولها، ورغم بروز بعض الدراسات إلا أنها لم تولي اهتمامًا كافيًا بالأنواع المتوالدة من السيرة الذاتية كالشهادات الأدبية.

وقد حاول هذا البحث أن يكشف عن مفهوم الشهادة في المدونة التراثية وأفضت به هذه المقاربة التأصيلية إلى أن مادة (ش هـ د) مادة ثرية لها معان وظيفية متعددة في سياقات معرفية مختلفة بعضها متصل بالقضاء والآخر بالإقرار، كما أن لها صلة عميقة بالعلم والتبيين والإظهار المرتبطة بالصدق، وأظهرت المعاجم العربية علاقة هذا الجذر بالإخبار واستلزام الحضور. والإدراك والحلف والكلام والتعبير الجميل تقع أيضًا ضمن دلالات الشهادة ومعانيها المعجمية.

ومفردة الشهادة استعملها النقاد في سياق الاعتراف والتوثيق وكل هذه المعاني التي كشف عنها تتبع المفردة في المدونة التراثية برهن على حضورها في نظام التعبير في نص الشهادة الأدبية الحديثة للشعراء.

ولأهمية تأصيل الدراسات النقدية الحديثة حول الشهادة الأدبية رصد البحث حضورها في المدونة النقدية الحديثة مستقصيًا أولى الإشارات لها وماهيات تناولها وطرائق تأصيل أنواعها وتعريفاتها عبر عدد من الكتب أو البحوث العلمية التي تناولتها بالدراسة النقدية.

ويتجلى من خلال هذا الرصد أن أغلب النقاد أجمعوا على أنها سرد نثري يدخل ضمن السيرة الذاتية كفن أدبي، فيما تباينت مناهج تأصيلهم لهذا الفن وطرائق معالجتهم فكل ناقد نظر من زاوية مختلفة كشف عنها البحث.

وتوصل البحث بعد قراءة جذور مفردة الشهادة واستعراض جهود النقاد حول تأصيلها أنها ارتكزت على أسس مهمة منها:

- الذاتية / الغيرية.
- النثرية.
- الصدق النسبي.

وهـذه الأسـس لا تختلـف عـن الأسـس الميثاقيـة التـي حددهـا الناقـد فيليـب لوجـون فـي تعريفـه للسـيرة الذاتيـة، وعليـه فـإن هنـاك أوجـه تلاقـي بيـن السـيرة الذاتيـة والشـهادة تكمـن فـي شـكل اللغـة، ووضعيـة المؤلـف والسارد، وفي تعريفها إلى ذاتية وغيرية إضافة إلى تلاقيهم في عنصر الصدق والإدراك.

وحـرص البحـث فـي جزئـه التطبيقـي علـى الكشـف عـن المضاميـن والحمـولات فـي شـهادات الشـعراء والشـاعرات ولتشـعب سـردهم فـي هـذا السـياق أرتـا البحـث مقاربـة أبـرز الخطابـات التـي تلاقـى فيهـا السـاردون وتمثل في:

- الموقف من الشعر.
- التجربة الشعرية.
- الشعر وتوثيق المرحلة.

ومـن نتائـج هـذه المضاميـن أن لـكل شـاعر رؤيتـه الخاصـة فـي الماهيـة والوظيفـة للشـعر، وأن أغلـب الشـعراء ركـزوا فـي مفاهيمهـم للشـعر علـى أهميـة وجـود المعنـى والموسـيقى الداخليـة للنـص. كمـا دفعـت أغلبهـم أن يكـون الشـعر وسـيلة تكسـب، معلنيـن أهميـة اسـتقلالية الشـاعر فـي نضـوج تجربتـه، وفـي حيـن ربـط بعـض الشـعراء الشـعر بالحـب والجمـال والحيـاة والمـرأة، نجـد غيرهـم نظـر إليـه كوسـيلة للحصـول علـى احتياجاتهـم وخدمة لمجتمعهم.

أمـا التجربـة الشـعرية فـإن مـن البديهـي أن يكـون لـكل شـاعر تجربـة مختلفـة ولكـن طريقـة عـرض هـذه التجربـة هـي الفاصـل فـي فهمهـم لمعنـى التجربـة فـكل منهـم منطلقاتـه لهـذا المفهـوم ففـي حيـن يـرى الشـاعر إبراهيـم مفتـاح أن حديثـه عـن التجربـة الشـعرية لابـد أن يرتبـط ببداياتـه الأولـى ونشـأته التعليميـة، نجـد الشـاعر جاسـم الصحيـح لا يتهـم بذلـك؛ بـل يربـط تجربتـه الشـعرية بمنعطفـات مـرَّت معـه وغيّـرت مسـيرته الشـعرية لحصوله على جائزة البابطين ومشاركته في الجنادرية.

ومـن نتائـج البحـث فـي خطـاب الشـعر والتوثيـق نلحـظ أن أبـرز مـا شـغل الشـعراء والشـاعرات فـي شـهاداتهم السـردية (صراعهـم مـع الحداثـة) وجـاء هـذا الحديـث علـى مسـتويات مختلفـة فهنـاك مـن فضـل أن يفـرد لهـا كامـل الشـهادة، وهنـاك مـن خصـص جـزءًا مـن شـهادته للحديـث عنهـا، فيمـا جـاء الحديـث عـن الحداثـة وآثارهـا في بعض الشهادات عرضًا يخلو من المعلومات أو الأحداث المهمة.

وعليـه فـإن البحـث يوصـي بمزيـد مـن البحـث حـول هـذا الجنـس الأدبـي الجديـد فـي إطـار الدراسـة الأجناسـية، وأن يتجـه نظـر الباحثيـن إلـى أنـواع تلـك الشـهادات ومـدى حضورهـا فـي الإبـداع المحلـي. ومـن التوصيـات أيضـا البحـث فـي مجـال عقـد المقارنـات بيـن السـيرة الذاتيـة وبيـن الشـهادات. كمـا يوصـي البحـث بدراسـة الشـهادات الخاصـة بالسـاردين ولاسـيما القاصيـن لمـا امتـازت بـه مـن فنيـات سـردية لهـا خصائـص محكية تتماهى مع خصائص الحكي ذاته داخل وجدان القاص.

مسرد المراجع والمصادر

المصادر:

1. أفق التحولات في الشعر العربي شهادات ونصوص، مطبوعات المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2001
2. انطولوجيا الأدب السعودي الجديد، مجلي، عبد الناصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005 م
3. التجربة الشعرية في السعودية، اليوسف، خالد، كرسي الأدب السعودي، ط1، جامعة الملك سعود للنشر، 2014 م

المراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، تحقيق: محمد عبد الحميد، ط1، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1995 م.
2. الأسس الجمالية في النقد العربي، إسماعيل، عز الدين، د. ط، القاهرة، دار الفكر، 1992م
3. انيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، المعجم الوسيط، د.ط، القاهرة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 2011 م.
4. بلاغة الشهادة الإبداعية: نحو تأسيس لجنس أدبي جديد، تعليب، ايمن، القاهرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2015 م.
5. التبريزي، الخطيب، ديوان الحماسة، د. ط، كتب حواشيه فريد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلمية.
6. تهذيب اللغة، الهروي، محمد أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001 م.
7. الحداثة الشعرية في المملكة العربية السعودية، تجربة شخصية، الدميني، علي، صحيفة الجزيرة، الاثنين، 1424 هـ.
8. الحطيئة، برواية ابن السكيت، ط1، تحقيق: مفيد قمحة، بيروت، دار الكتب العلمية.
9. ديوان الحماسة، د. ط، كتب حواشيه غريد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلمية.
10. الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، أبو بكر، تحقيق: حاتم الضامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992 م.

11. سير الشعر الذاتية في الأدب العربي الحديث، الجنوبي، أسماء، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2014 م

12. السيرة الذاتية الشعرية قراءة في تجارب السيرية لشعراء الحداثة العربية، عبيد، محمد صابر، ط1، الأردن، دار عالم الكتب، 2008 م

13. السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، لوجون، فيليب، ترجمة وتقديم عمر حلمي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م

14. السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، آل مريع، أحمد، ط1، تونس، دار صادر، 2010 م

15. الشهادات الأدبية في السعودية مقاربة سوسيو أدبية، الصفراني، محمد، مجلة علامات نادي جدة الأدبي، العدد 86، 2016 م.

16. الشهادة الأدبية: المفهوم والأركان والأنواع، الصفراني، محمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد 30.

17. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، ابن رشيق، شرحه صلاح الهواري وهدى العودة، د.ط، بيروت، دار الهلال، 2002

18. غريب ألفاظ، الشافعي، محمد بن أحمد الأزهري، ط1، تحقيق: محمد جبر الألفي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1399 هـ

19. لسان العرب، ابن منظور، ط1، بيروت، دار صادر

20. المعجم الأدبي، عبد النور، جبور، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1984 م.

21. معجم العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بيروت، دار الهلال.

22. معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مطلوب، أحمد، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2001.

23. المعزل، عبد الصمد، تحقيق: زهير زاهد، ط1، بيروت، دار صادر، 1998 م.

24. المغامرة الجمالية للنص السير ذاتي، عبيد، محمد صابر، ط1، الأردن، عالم الكتب، 2011 م.

25. مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، عصفور، جابر، د.ط، القاهرة، دار الثقافة، 1978م.

26. مفهوم الشعر عند غازي القصيبي، المالكي، علي، ط1، بيروت، دار الانتشار، 1435.

27. ملتقى النقد الأدبي، (الشعر السعودي في رؤى النقاد)، ط1، مطبوعات نادي الرياض الأدبي الرياض، مطابع الحميضي، 2011 م.

28. ملتقى النقد الأدبي (القصة القصيرة في المملكة مقاربة في المنجز النقدي) ط1، مطبوعات نادي الرياض الأدبي، 2017 م.

29. المهرجان الثاني للشعر العربي بنادي الباحة الأدبي الثقافي1435هـ، ط1، نادي الباحة الأدبي، جدة، دار الرواد، 2017 م

30. النقد الأدبي الحديث، هلال، محمود غنيمي، د. ط، القاهرة، دار النهضة.

ثنائية القيم والألم في يتيمة ابن زريق البغدادي

إعداد

د/ صفية بنت ناشي العتيبي

أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية-جامعة الجوف

المستخلص:

1. عنوان البحث: (ثنائية القيم والألم في يتيمة ابن زريق البغدادي)
2. أهدافه:
   - مرافقة أحد النصوص التي لاتزال بكرًا، والنفاد إلى سراديبها؛ استنطاقا لثرائها الجمالي بناءً ودلالة.
   - استقراء العلاقة بين القيم والألم، وكيف يتولد الجمال والحب من تضاعيف الآلام؟
   - الكشف عن كيفية انبثاق القيم من ثقب الصراع النفسي الذي يؤججه الشعور المشتعل ما بين الأمل ، والألم.
3. منهجه: انطلق البحث متوشحًا بالمنهج الاستقرائي التحليلي للنص الفني.
4. أهم النتائج:
   - أفصحت القصيدة عن مدى تأثير الظروف والألم على النسق القيمي لدى الشاعر ، ومدى حضور هذه القيم في محيط الألم والتجربة القاسية.
   - يشكل الألم مظهرا من مظاهر الاغتراب والشكوى في القصيدة.
   - يحمل الشعر رسالة القيم الجمالية، فإذا ما فاضت تراكيبه بالقيم الأخلاقية ازداد وهجًا ، وسما وارتقى وحمل رسالة السماء والبناء.
5. أبرز التوصيات:
   - دراسة القيم من خلال الأعمال الفنية والأدبية، وكشف الملامح الجمالية التي تتولد عنها.
   - أن تتضمن النماذج الأدبية المقررة على طلاب التعليم، مجموعة من القيم ؛ لتعليمها وترسيخها ضمن ثقافة الأجيال ومعتقداتها.
   - يحمل الشعر رسالة القيم الجمالية، فإذا ما فاضت تراكيبه بالقيم الأخلاقية ازداد وهجًا ، وسما وارتقى وحمل رسالة السماء والبناء.

الكلمات المفتاحية: القيم الجمالية، القيم الأخلاقية ، الغربة.

Abstract:

1. Study titled : (Dual values and pain in the orphan Ibn Zuraik Al-Baghdadi)
2. Its objectives:
   - Accompanying one of the texts that are still virgin، and accessing its vaults، in order to gain aesthetic and constructive wealth.

- An extrapolation of the relationship between values and pain، and how can beauty and love be born from the multiplication of pain?
- Exposing how values emerge from the hole in psychological conflict، fueled by the burning feeling between hope and pain.

3. Its methodology: The research was launched، explaining the analytical inductive approach to the technical text.

4. The most important results:

- The poem disclosed the extent of the conditions and pain on the poet's value pattern، and the extent to which these values are present in the context of pain and harsh experience.
- The pain is a manifestation of alienation and complaint in the poem.
- Poetry carries the message of aesthetic values، and if its compositions overflow with moral values، it increased in glow، rose، rose، and carried the message of heaven and building.

5. The most prominent recommendations:

- Study the values through artistic and literary works، and reveal the aesthetic features that result from them.
- That the literary forms prescribed for education students include a set of values; To teach and embed it within the generational culture and beliefs.

Key words: Aesthetic values، moral values، alienation.

المقدمة:

اللهم بك أستعين وأستنير وأكتفي.. والحمد لك يارب عدد ما علمتني وهديتني ورزقتني، والصلاة والسلام على حبيبنا وقدوتنا وشفيعنا القائل: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، وآله وصحبه ومن اقتفى واهتدى . أما بعد:

فإن دراسة الشعر أو الفن عموماً من خلال تلمس المنظومة القيمية، داخل كيانه الفني ، يصنع مسارًا مختلفًا يصلنا بالآخر ، ويحقق ضربًا من المشاركة الفعالة عن طريق التأثر الوجداني ، والتذوق الأدبي. و" العمل الفني الواحد ينقل إلينا قيمًا اجتماعية هي تلك التي تتصل بالاعتبارات الفنية من وجهة نظر المجتمع، كما ينقل إلينا قيمًا فردية خاصة بوجهة نظر الفنان ذاته"(1).

(1) الأسس الجمالية في النقد العربي ،عز الدين إسماعيل ، ص306.

والشعر عالم مترع بالألم، ناضح بالجمال، مستعذب للجروح، يعلمنا –كما الحياة-بأن الأشياء تأتي على هيئة ثنائيات، وأن هذه الثنائيات هي سر توازن الكون، وسنة الحياة، فالأفراح والأحزان، والنور والظلام، والموت والحياة، والاختلاف والائتلاف، والألم والجمال والحب، كلها مركز الكون ومداد طاقته وبقائه. وقد انصبت هذه القصيدة على تجربة عاطفية فريدة، وانكفأت حروفها على الخذلان والألم والحسرات.

وعندما يكون الحب الملهم والوقود، والدم الجاري في العروق، حينها يصبح لكل شيء في الحياة معنىً وهدف. حبّ البغدادي لزوجته، هو الوقود الذي دفعه ؛ لأن ينشد التغيير في حياته، ويفارقها سعيًا إلى الأندلس، هذا الحب الحاضر في أصعب المواقف وآلمها! بل هو الصانع والمضيء لها، لا يشبهه سوى حب صاحب عبلة، حين ألهب وجدانه حب عبلة ، وأصبح وقود البطولات:

ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهِلٌ منّي وبيْض الهنْد تقطر من دَمِي (1)

فوددت تقبيْل السّيوفِ لأنها لَمَعت كبارِقِ ثغرِكِ المتبسّمِ

لم يقبس في داخله حب عبلة في لحظة التأزم المعركي فحسب! وإنما يتوجد لتقبيل السيوف اللامعة التي تذكّر بها بريق ثغرها ! في قلب المكابدة النفسية القاتلة، وفي جوف الجهاد العنيف يتفجر في دواخله حب عبلة ووفاؤه لها، فيتغيّر مسار كل شيء، وتتدفق ينابيع القوة والعزيمة ومطالب النصر في كيانه.

وقد ارتأيت أن أرسم آلية لملامسة المنظومة القيمية الجمالية، والظاهرة الألمية ، والانشطار الذاتي البوحي بينهما، فانطلق هذا البحث من كُم المنهج الاستقرائي التحليلي للنص الفني، الذي يستلزم قراءة عميقة تنفذ نحو سراديبه بحثًا عن لآلئ الجمال، وخيوط النور، مع تحرّي الدقة في إيضاح تصوّر جليّ عن فكرة البحث ، وكشف اللثام عن جوانب ثنائيته العميقة.

لقد كانت اليتيمة متفردة ، وحيدة أبيها الذي عاش يصارع الفناء والفقر ، ويمتد بنظره سامقا نحو سقف الأحلام البعيد، ينشد الحياة الفارهة عند الخلفاء والقادة، حتى أرداه حلمه صريعا، متشبثا بأطناب الحب الذي دفع حياته ثمنًا له. فترعرعت هذه اليتيمة ونمت في ردهات السنين وهي تحفظ عن أبيها وله، أجمل قيم الأخلاق والجمال، نزفت بها الجروح مسكًا وألقًا على صفحات الخلود.

ويمضي البحث محاولًا استنطاقها: ما القيم الأخلاقية والجمالية التي تضمنتها اليتيمة؟ وما العلاقة بين القيم والألم؟ وكيف يتولد الجمال والحب من تضاعيف الآلام ؟ وكيف انبثقت هذه القيم من ثقب الصراع النفسي الذي يؤججه الشعور المشتعل ما بين أمل يرجوه، وألم غربة يصارع شراستها؟

عاشت هذه اليتيمة في خدر الحياء متمنعة متخفية؛ لم تكشف أسرارها و ستورها لأي أحد! انشغل عنها الباحثون ، ولم ينشغل بها سوى القليل، الذين عرضوا لها عرضًا يشبه تناول كثير من القصائد، من

(1) ديوان عنترة ، ص208.

حيث البنية التركيبية والأسلوبية والصوتية ، ثم هي في إحدى التناولات ، تشكل وجبة غذائية دسمة لرواية جديدة ألقى عليها العشق العربي ظلاله حروفًا وفكرة وديناميةً مشربة بالألم والأمل . والحب هو كنز هذه الرواية ، حاول من خلالها راويها أن يعيد خلق هذا التراث ، وابتداعه من جديد ، في ثوب من الحب والسياسة والتاريخ معا. ولم تحاول هذه الدراسات التعريج على القيم الأخلاقية –في اليتيمة- وعلاقتها بالألم والقيم الجمالية.

والتي هي اهتمام دراستنا ونقطة انطلاقها ، فقد قامت على المقدمة التي عرضت لمشكلة الموضوع وأهميته، ومدى إضافته للدراسات السابقة ، أعقبها التمهيد الذي عرّج على مفهوم القيمة والقيم، وعلاقتها بالألم، تبعه ثلاثة مباحث انصبت في معالجة الدراسة وتلمّس أبعادها، وهي كالآتي:

1. القيم الأخلاقية: وفيه رصد البحث منظومة القيم الأخلاقية التي حوتها القصيدة ، وتلمس معاني الجمال المشبعة بها، ثم تفصيل ذلك من خلال جدولة الأبيات والقيم.
2. القيم الجمالية: وقد عالج هذا المبحث أ- جماليات المطلع والختام ب- جماليات الصور الشعرية (صورة الزمن، وصورة المرأة، وصورة الغربة والاغتراب).
3. جماليات الإيقاع والبناء: وانصبت معالجة هذا المبحث، على دراسة التقنية الصوتية التي صبغت القصيدة وصدحت بنغمها وإيقاعها ، تلك هي ما أسماه البلاغيون بالتصدير، أو رد الأعجاز على الصدور، وما يتولد عنها من التكرار ، مع تلمّس صوره في اليتيمة وإيضاح قيمته الفنية .

ثم ينتهي البحث إلى الخاتمة، وما توصّلت له من نتائج وتوصيات، متبوعة بفهرس المصادر والمراجع، وفي خاتمته ومطلعه ومتنه ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه.

التمهيد:

أ. ماهية القيم:

وتعني القِيَم: المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، وقد جاء في التنزيل: "فيها كتب قيّمة" أي ذات قيمة عالية (1).

أما القيمة فـ "هي ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرًا أو قليلًا ، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته ، كالحق والخير والجمال ، كانت قيمته مطلقة" (2).

والأخلاق، منها الكريم ومنها السيء ، أما كلمة القيم فتختص بالحسن والجميل فقط، قال تعالى: "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا" (3).

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، حرف (القاف)، ج12، ص506،498.

(2) الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، رمضان الصباغ ، ص37-36.

(3) سورة الأنعام/161

والقيم في رأيي : هي مجموعة من الأسس والضوابط السلوكية ، التي ترتكز على نظام المعتقدات؛ للتمييز بين الخير والشر، والحسن والسيئ، في كافة مناحي الحياة.

وتُشكّل هذه القيم حقيقة كونية ، لا غنى للبشرية عنها، إذ هي المتوائمة ، والحاجات الإنسانية الفطرية في كل زمان ومكان وثقافة ، ولا غنى لأي مجتمع عن تأكيدها والدعوة إليها، والتعاون لترسيخها ، ومتابعة بقائها ، كالإنصاف والنظام والصبر والقناعة والاحترام والتسامح والصدق والاعتذار...إلخ.

والخلق جميعهم متساوون في الخلقة ، والطبيعة والمنشأ والغاية ، وكلهم لله حنفاء، نزّاعون للخير ، ميّالون عن الشر .

أما الجمال: فحسي ومعنوي، فالأول في الصور، والثاني في المعاني، والجمال الأخلاقي هو أحد هذين النوعين (المعاني) .

وقد رسم الشعراء هذا الجمال وجسدوه من خلال النوعين ، الحسي في الصور، والمعنوي في القيم الأخلاقية . والإنسان بطبعه مفطور على حب الجمال، واتخاذ جميع الأسباب الموصلة إليه، والدافعة نحوه من ملبس ومسكن ومأكل وطبيعة وحياة ....وصانع الجمال جميل يحب الجمال جلّ وتقدّس.

ب. القيم والألم:

وهنا يتجلّى الاستفهام: ما علاقة القيم بالألم؟ وما علاقة الجمال بالألم؟ والقيم بالجمال؟ مع بيان أن القيم يُقصد بها الأخلاقية والجمالية.

هذا المكوّن الهرمي قد لا يبدو متآلفًا للمرة الأولى! لكنّ المتأمل في حقيقته يوقن بأن الإنسان منذ نشأته على هذه الأرض يلازمه الكَبَد، ويجاوره الشقاء والألم، فهو منذ اللحظة الأولى من ولادته يتألم ويصرخ ، ومن رحم هذا الألم تولد الحياة ويولد الجمال الإبداعي، والجمال التأملي، والجمال القيمي ، إذ التألم الصادق دليل حياة الفرد ، واحتفاله بالقيم ، يقول موسيه " لا شيء يجعلنا كبارًا كالألم"

ومن الألم تنبثق قيم الأشياء، وتسمو صور الجمال، وهو الطاقة التطهيرية للحب؛ فالأم التي تقاسي أصعب درجات الألم، وأعتى لوعات الحياة وقت الولادة، تشرق نفسها وتحيا من جديد، في اللحظات الأولى من خروج طفلها إلى النور، وكأنها تمتلك الدنيا حينها، فلا قيمة عندها تساوي قيمة هذه الروح التي انشطرت من روحها، ألمًا وحبًا، ولم تكن هذه القيمة العظيمة لهذا الطفل لو لم تعاني هذه الأم وتتجلد لتحمل هذه الآلام العاصفة بها زمنا!

ومن الألم يتجلى يقين الشاعر بالقيم ، وتشرق روحه للتأمل في المنظومة القيمية الأخلاقية ، فتسمو نحو عوالم الحق والخير؛ لترسم الجمال قيما وهاجة خلاقة . والشعر عالم يستعذب الألم ، حين تمثّل التجربة الشعرية انصهارا للحدود النفسية.

ومستقرئ قصيدتنا - محل الدراسة – يجدها دستورًا أخلاقيًا ، ولوحة جمالية، وجسد أنهكه الألم ، وقد اتخذ الشاعر من سرد هذه القيم سلوة ودواء لمعاناته ، ومرارة بأسه، فأخذت القصيدة تنضح بها رواء وسلامًا لآلام غربته وجراحها، وتمنحه القوة السماوية لمواجهة عناصر الشر، وتخفيف وطأة اليأس والخذلان ، وجعلها وقودا للانطلاق نحو الحياة والأمل .

هذه الغربة تجلو الشاعر من عنفوانه وجبروته، وتنقي داخله وتصفّيه ؛ فتتجلى له حقائق الأشياء ، وتتبدى له معادن الأخلاق.

و تلهم الغربة الشاعر صفاء ذهنيًا ، وتحليقًا روحيًا، فيشرق في داخله التأمل في كل شيء ، ويقوى الإحساس بدواخل النفس ، عندها ينطلق لسانه بالحكمة، وقلمه بالجمال، إذ تشكل غربة القيم الأخلاقية جزءًا من غربته ، حين انكسر وانكفأ على خيبة أمله ، وأطبق عليه اليأس والحرمان، فلم يبرّه الأمير المنشود، ولم يقدر معاناته وفقره، ومشقة سفره، فتلاشى أمله، وتمزقت سبله، فدفع حياته وعمره ثمنا لهذه الغربة ، ورهنا لهذه اليتيمة.

قال البغدادي(1) - في غربته- شاكيًا معاتبًا باكيًا (2):

لا تَعذَليه فَإنَّ العَذلَ يُولِعُهُ ... قَد قَلتِ حَقًّا وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ

جاوَزتِ فِي لومه حَدًّا أَضَرَّبِهِ ... مِن حَيثُ قَدرتِ أَنَّ اللوم يَنفَعُهُ

فَاستَعمِلِي الرِفق فِي تَأنِيبِهِ بَدَلًا ... مِن عَذلِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ

(1) البغدادي هو: "أبو علي الحسن بن زريق ، الكاتب الكوفي ، شاعر، عُرف بقصيدته العينية ، التي صدح بها في أرض الأندلس، حين أحب ابنة عمه وهام بها، فأراد الزواج منها؛ لكن فقره حال دون ذلك، فقصد ملك الأندلس، ولا سبيل إلى معرفة اسمه (بقصيدة لم تصل إلينا) ، فأعطاه نزرا يسيرا ، لا يسد حاجته، ولم يكن هذا العطاء على قدر أمله ، ومشقة سفره، فانكسرت نفسه، واعتلّ ومات في الأندلس ، فوجد عند رأسه رقعة كتبت فيها هذه القصيدة ، التي اشتُهر بها ".

يُنظر ترجمته في :تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ، ج92-3/90، وكذلك شذرات الذهب، لابن العماد الدمشقي، مج7/118، وفيات الأعيان، لابن خلكان مج3/336، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، 2/376.

(2) نص القصيدة كما أورده العلامة د. محمود محمد الطناحي في كتابه (صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب)، ص123-118، وقد ذكر أن هناك اختلاف في رواية الأبيات ، وأشار إلى بعض المصادر التي اعتمد عليها:

1. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الملحق 1/133.
2. معجم المؤلفين، للأستاذ عمر رضا كحالة ، 7/95.
3. الوافي بالوفيات، للصفدي، 67-12/65.
4. وفيات الأعيان، لابن خلكان، 4/223.
5. النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، 5/26.
6. الإمتاع والمؤانسة، 2/166.
7. يتيمة الدهر، للثعالبي، 1/293.
8. مصارع العشاق، للسراج، 1/23.

وقد اطلعت على اختلاف الرواية في جلّ هذه المصادر، فلم تبعد كثيرا في معناها ومبناها عن النص الذي قدمناه هنا للدراسة.

قَـد كانَ مُضطَلَعًـا بِالبيـنِ يَحمِلُـهُ ... فَضُلِّعَـتْ بِخُطُـوبِ البيـنِ أَضلُعُـهُ
يَكفِيـهِ مِـن لَوعَـةِ التَفنِيْـد أَنَّ لَـهُ ... مِـنَ النَـوى كُلَّ يَـومٍ مـا يُروعُـهُ
مـا آبَ مِـن سَـفَرٍ إِلّا وَأَزعَجَـهُ ... رَأيُ إِلـى سَـفَرٍ بِالعَـزمِ يُجمِعُـهُ
كَأَنَّمـا هُـوَ مـن حِـلٍّ وَمُرتحـلٍ ... مُـوَكَّلٍ بِفَضـاءِ اللَهِ يَذرَعُـهُ
إِذا الزَمـاعُ أَراهُ فـي الرَحِيـلِ غِنـىً ... وَلَـو إِلـى السّـنَدِ أَضحـى وَهُـوَ يُزمِعُـهُ
تأبـى المطامـعُ إلا أن تُجَشّـمه ... للـرزق كـدًا وكـم ممـن يودعُـهُ
وَمـا مُجاهَـدَةُ الإِنسـانِ واصِلَـةً ... رزقًـا وَلا دَعَـةُ الإِنسـانِ تَقطَعُـهُ
و اللَهُ قسّـم بَيـنَ الخَلـقِ رزقَهُـمُ ... لـم يَخلُـق اللَهُ مخلوقًـا يُضَيِّعُـهُ
لَكِنَّهُـم مُلِئـوا حِرصًـا فلَسـتَ تَـرى ... مُسـتَرزِقًا وَسِـوى الغايـاتِ تُقنِعُـهُ
وَالحِرصُ فـي الـرِزقِ وَالأَرزاقِ قَد قُسِـمَت ... بَغِـيُ أَلّا إِنَّ بَغـيَ المَـرءِ يَصرَعُـهُ
وَالدهـرُ يُعطِـي الفَتـى ماليـسَ يطلبُـهُ ... يومًـا وَيُطمِعـهُ مِـن حَيـثِ يمنعُـهُ
أسـتَودِعُ اللَهَ فِـي بَغـدادَ لِـي قَمَـرًا ... بِالكَـرخِ مِـن فَلَـكِ الأَزرارَ مَطلَعُـهُ
وَدَّعتُـهُ وَبـوُدّي لَـو يُوَدِّعُنِـي ... صَفـوَ الحَيـاةِ وَأَنّـي لا أَودعُـهُ
وكـم تشـفَّع بـي أن لا أفارقـه ... وللضـرورات حـالٌ لا تُشَـفِّعُه
وَكَـم تَشـبَّثَ بـي يَـومَ الرَحيـلِ ضُحَـىً ... وَأَدمُعِـي مُسـتَهِلّاتٍ وَأَدمُعُـهُ
لا أَكُـذبُ اللَهَ ثـوبُ العُـذرِ مُنخَـرِقٌ ... عَنّـي بِفُرقَتِـهِ لَكِـن أَرَقِّعُـهُ
إِنّـي أَوَسِّـعُ عُـذري فِـي جَنايَتِـهِ ... بِالبيـنِ عنـهُ وَقلبـي لا يُوَسِّـعُهُ
أُعطيْـتُ مُلـكًا فَلَـم أَحسِـن سِياسَـتَهُ ... وَكُلُّ مَـن لا يُسُـوسُ المُلـكَ يَخلَعُـهُ
وَمَـن غَـدا لابِسًـا ثَـوبَ النَعِيـمِ بِـلا ... شُـكرٍ عَلَيـهِ فَعنـهُ اللَهَ يَنزَعُـهُ
اِعتَضتُ مِـن وَجـهِ خِلّـي بَعـدَ فُرقَتِـهِ ... كَأسًـا تجَـرَّعُ مِنهـا مـا أَجَرَّعُـهُ
كَـم قائِـلٍ لِـي ذُقـتُ البَيـنَ قُلـتُ لَـهُ ... الذَنـبُ وَاللَهِ ذَنبـي لَسـتُ أَدفَعُـهُ
أَلا أَقمـتَ فَـكانَ الرُشـدُ أَجمَعُـهُ ... لـو أَنَّنِـي يَـومَ بـانَ الرُشـدُ اتبَعُـهُ
إِنّـي أُقَطِّـعُ أَيّامِـي وَأَنفذُهـا ... بِحَسـرَةٍ مِنـهُ فِـي قَلبِـي تُقَطِّعُـهُ
بِمَـن إِذا هَجَـعَ النُـوّامُ بِـتُّ لَـهُ ... بِلَوعَـةٍ مِنـهُ لَيلـي لَسـتُ أَهجَعُـهُ
لا يَطمَئِـنُّ بِجنبـي مَضجَـعُ وَكَـذا ... لا يَطمَئِـنُّ لَـهُ مُـذ بِنـتُ مَضجَعُـهُ
مـا كُنـتُ أَحسَـبُ ريـبَ الدهـرِ يَفجَعُنِي ... بِـهِ وَلا أَنَّ بِـي الأَيّـامَ تَفجعُـهُ

حَتّـى جَـرى البَيـنُ فِيمـا بَينَنـا بِيَـدٍ ... عَسـراءَ تَمنَعُنِـي حَظّـي وَتَمنَعُـهُ
و كُنـتُ مِـن رَيـبِ دهـرِي جازِعًـا فَرِقًـا ... فَلَـم أَوقَّ الَّـذي قَـد كُنـتُ أَجزَعُـهُ
بِـاللهِ يـا مَنـزِلَ الأنـسَ الَّـذي دَرَسـت ... آثـارُهُ وَعَفَـت مُـذ بِنـتُ أَربُعُـهُ
هَـل الزَمـانُ مُعِيـدُ فِيـكَ لَذَّتُنـا ... أَم اللَيالِـي الَّتـي أَمضَتـهُ تُرجِعُـهُ
فِـي ذِمَّـةِ اللهِ مِـن أَصبَحَـت مَنزلَـهُ ... وَجـادَ غَيـثٌ عَلـى مَغنـاكَ يُسـرِعُهُ
مَـن عِنـدَهُ لِـي عَهـدُ لا يُضيّعُـهُ ... كمـا لَـهُ عَهـدُ صِـدقٍ لا أُضَيِّعُـهُ
وَمَـن يُصَـدِّعُ قَلبـي ذِكـرَهُ وَإِذا ... جَـرى عَلـى قَلبِـهِ ذِكـري يُصَدِّعُـهُ
لَأَصبِـرَنَّ لدهـرٍ لا يُمَتِّعُنِـي ... بِـهِ وَلا بِـيَ فِـي حـالٍ يُمَتِّعُـهُ
عِلمًـا بِـأَنَّ اِصطِبـاري مُعقِـبُ فَرَجًـا ... فَأَضيَـقُ الأَمـرُ إِن فَكَّـرتَ أَوسَـعُهُ
عَسـى اللَيالـي الَّتـي أَضنَـت بِفُرقَتِنـا ... جِسـمي سَـتَجمَعُنِي يَومًـا وَتَجمَعُـهُ
وَإِن تَغُـلُّ أَحَـدًا مِنّـا مَنِيَّتُـهُ ... فَمـا الَّـذي بِقَضـاءِ اللهِ يَصنَعُـهُ

ثنائية القيم في اليتيمة:

1. القيم الأخلاقية:

احتضـن الشـعر العربـي فـي أغراضـه المتعـددة أبـرز القيـم الأخلاقيـة التـي جـاء الإسـلام فأقرّهـا وهذّبهـا وأعلـى درجاتهـا، وأتمهـا ؛ إذ هـي أسـاس تكـوّن المجتمعـات ، ونهضتهـا، ورقيّهـا، وتوحيـد صفّهـا ، وسـيادتها وبقائها .

وشـعر القيـم الأخلاقيـة ، شـعر فلسـفي يتكـئ علـى أطـرٍ دقيقـة ، وخصائـص خاصـة، وعليـه أن يصوّرهـا ويجسـدها فـي أصـدق صـورة، وأبهـى حلّـة؛ كـي لا تخـرج عـن مسـارها الـذي أقـرّه العُـرف الاجتماعـي المعتـدل، والمنظومة الأخلاقية الدينية ، التي خلع عليها الشرع لباس القداسة.

وضيفة بحثنا اليتيمة ، ليست يتيمة! إنما هي روح مرويّة بالقيم، زاخرة بالألم، طافحة بالجمال.

يفـوح نحـوك معجمهـا الزاكـي، المطعّـم بالأخـلاق الجميلـة، الفائـض بالـدلالات الدينيـة ، والركائـز الأخلاقية ، لعلّ الرجل وجدها الملاذ الآمن، والسلوى الشافية، من صدمة خذلانه، ولوعة حظه، وقسوة مصيره!

اسمعه في البيت الثالث:

فاسـتَعملي الرِفْـقَ فـي تأنِيْبِـهِ بَـدَلًا ... مـن عَذْلِـهِ فهُـو مُضْنـى القَلْـبَ مُوجَعـهُ

إذ يتداعـى فـي داخلـه سـيل مـن الآلام، التـي يجهـده معرفـة منافذهـا إلـى قلبـه المتوجـع المتهالـك، فيلتفـت لركنـه الشـديد وحضنـه الدافـئ ، لحبيبتـه التـي تقطـع قلبـه لوداعهـا، ومـا فتئـت تجلجـل فـي دواخلـه أصـوات

عذلها ورفضها لسفره، يلتفت متلطفا في لومها، حين لم تترفق في ملامها له ، وهو في حال لا تحتمل لومًا أو تأنيبًا!

مع ما يحمله الفعل الإنشائي الطلبي من انكفاءات نفسية ، يحاول معها أن يزحزح عن كاهله المثقل وطأة الألم المتراكم خلف ذبذبات الندم الذي يتجرعه بفعل قراره الخطأ، وسفره الذي غص به فمات!

(استعملي الرفق) ،هو يقبل تأنيبها، ولا يرفضه ، لكنه يطلبها الرفق فيه فالرفق بلسم المواقف، ودواء الأوجاع، و "ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، وما نُزِع منه إلاّ شانه" (1)

والرفق خُلق الأنبياء والعظماء، وهو أرقى القيم وأعظمها وأنقاها، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان هيّنًا ليّنًا، رفيقًا في أقواله وأفعاله وسائر أحواله بأبي هو وأمي.

ثم يُؤنب الشاعر- المعنّى- نفسه على الطموح المتجاوز حدّه إلى مهاوي الطمع:

تأبى المطامعَ إلاّ أن تجشِّمه ... للرزق كدًّا وكم ممّن يودِّعه

وما مُجاهدةُ الإنسانِ واصِلة ... رزْقًا ولا دعة الإنسانِ تقطَعه

وكثير من الأغنياء والفقراء لا يملكون القناعة بما قسم الله وقدّر، إذ القناعة عين الغنى، ودستور الرضا ، والإنسان إذا آمن واعتقد بأن الله تعالى قد كتب المقادير ، ووزع الأرزاق بين عباده بالعدل والحكمة- اطمأنت نفسه، وسكن فؤاده ورضي بما قُسم له، وأيقن بأن ما كان له سيأتيه أيا كان، وما لم يُكتب له فلن يأتهِ مهما عمل وناضل وتَعِب.

فالله تعالى "كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" (2)

وقسّم بينهم أرزاقهم وأخلاقهم وأقدارهم، دبّرهم سبحانه فأحسن تدبيرهم ، ولم يظلم منهم أحدا :

و الله قسّمَ بين الخلْقِ رزقهم ... لمْ يخلُق الله من خلقٍ يضيّعه

هنا تتناغم أصوات القيم مع صوت الحكمة، وتتوهّج مع وقود العقل، الحكمة التي ترتدي ثوب الإقناع واليقين، توّجتها اللآلئ القيمية التي طرزت النسيج الشعري البغدادي أمامنا، فالرزق مقسوم، والأجل معلوم "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ"(3).

---

(1) الراوي : عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، انظر، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، محمد جمال الدين القاسمي المحقق ،ط3 ،أخرجه مسلم (2594) باختلاف يسير ؛ انظر أحمد (13531) باختلاف يسير، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (466) مختصرًا ، والبزار (7002) أوله في أثناء حديث ؛ انظر أبو داود (2478) واللفظ له، وأحمد (24307).

(2) الراوي : عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، أخرجه مسلم (2653) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري، صاحب " الصحيح ". الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق، (ت: 261) . قال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وقال أبو العباس بن سعيد: أما مسلم فقل ما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل. وقال الخطيب: أحد الأئمة من حفاظ الحديث ؛ انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن أبي العز الحنفي ،ط8 ؛ انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ،ط1.

(3) سورة هود/6

والحِرصُ في الرزق والأرزاق قد قُسِمَت بَغْيٌ ألا إنّ بغيَ المرءِ يصرعُهُ

فإذا كان الإنسان مأمورًا بالعمل والكدح للحصول على رزقه، مع التوكل على الله، فيجدر به أن يوقن بأن شده حرصه وطمعه، لن تجلب له رزقًا لم يقدّر له. وقد كتب - الخلود- هذه الحكمة على جبين الحياة منذ الأزل.

قال صلى الله عليه وسلم: "ما ذئبان جَائعانِ أُرسِلا في غَنمٍ بأفسَدَ لها من حِرصِ المَرءِ على المَالِ والشّرفِ لِدِيْنِهِ " (1)

وإذا تيقّن الإنسان قدرة الله وحكمته وحفظه، صدّق قلبه واعتقد ، وأذعنت جوارحه وامتثلت لأمر حافظها، وسلّم جميع أموره وأودعها لمن لا تضيع عنده الودائع .

وأحبّ شيء إلى قلب الشاعر وأغلى ما لديه حبيبته التي كاد الأسى أن يقتله ويقتلها لحظة وداعه ، فلا يملك حينها الشاعر الممتلئ ألمًا وشجنًا وهمًّا ، إلا أن يستودع هذا الحب النفيس لخالقه حافظ الوديعة:

أستودِعُ الله في بغدادَ لي قَمَرًا بالكَرْخ من فَلَكِ الأزْرارِ مطلَعُهُ

ودّعتُهُ وبِودّي لو يُودّعُني صَفْوَ الحياةِ وأنّي لا أُوَدّعُهُ

لقد أمّن البغدادي مخاوفه وارتمى في حمى الحماية الإلهية، والحفظ الرباني، فأودع هذه الخبيئة الثمينة في كنف السماء، وسار في سبيل غايته مطمئن القلب؛ لأن الله إذا استُودِع شيئًا حفظه، والهدي النبوي ينير للمسافرين درب اليقين فـ" من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف استودعتكم الله الذي لا تضيع ودائعه" (2)

ويسير بعد وداعها متزرًا بثوب من الصبر منخرق ، لا يملك معه إلا أن يرقّعه ؛ ليتزوّد بالبقية الباقية منه في سفره الطويل الشاق :

لا أكذبُ الله ثوبَ العُذْرِ مُنخَرِقٌ عنّي بفُرقَتِهِ لكن أُرقّعه

هنا استبطان الشعور، واستنطاق الأعماق، بوعي وصدق وحرقة، هنا البوح الحقيقي الصادق الموجع، والصدق رأس القيم الأخلاقية، وهو طريق البر كما أخبر بذلك نبي الأمة صلى الله عليه وسلم، ونقيضه الكذب الذي هو طريق الفجور والضلال " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ " (3)

---

(1) الراوي : كعب بن مالك رضي الله عنه، انظر الجامع الصحيح – سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ؛ انظر ، شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي ،ط1، التخريج : أخرجه الترمذي (2376)، وأحمد (15794).

(2) الراوي : أبو هريرة ،أنظر: الكلم الطيب ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ط1؛ انظر : الكامل في ضعفاء الرجال ، عبدالله بن أحمد بن عدي، ط1؛ ؛أنظر: ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ – الذخيرة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة –، محمد بن طاهر المقدسي القيسراني ،ط1؛ التخريج : أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (2/153) .

(3) سورة غافر/28

وفي المنظومة الأخلاقية ، قيمة راقية تسمى العفو والتماس العذر، وهي من شيم الكرام "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ " (1) إذ تفيض هذه القيمة راحة نفسية في صدر صاحبها ، وسرورًا دائمًا، وأخذ المواقف على محمل الخير، مهما بدت خلاف ذلك فـ "فإذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا" (2) :

إنّي أُوَسِّعُ عُذري في جِنايتِهِ بالبَيْن عنهُ وقلبي لا يُوسِّعُهُ

وينكبّ البغدادي على نفسه لومًا وتأنيباً، إذ لم يُحسن سياسة النعيم الذي وهبه الله، حين اختار القرار الخاطئ، ولم تثنه عن سفره توسلات زوجته ، ورؤيته لنفسها المتقطعة ألَمًا عند وداعه، يقول وقد تفطّر قلبه:

أُعطيْتُ مُلكًا فلم أُحسِن سياسته وكلّ من لا يسوسُ المُلك يخلعُهُ

ومن غدا لابِسًا ثوبَ النّعيْمِ بلا شُكرٍ عليهِ فعنْه الله ينزَعُهُ

وفي البيتين معاني قيّمة سقاها حبر القيم، ونسجتها القوافي المستنيرة بضياء الحكمة، فقد جرت الحكمة الإلهية الكونية على الزيادة لمن شكر، وزوال النعمة عمّن جحد وكفر.

" لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"(3)

ولم تزل القصيدة اليتيمة تغرف وتنهل من بحر القيم، منذ قافيتها الأولى، حتى تصل لمسك الختام:

في ذمّة الله من أصبحت منزله وجادَ غيْثٌ على مغناكَ يُسرِعُهُ

من عِندهُ ليَ عهدٌ لا يُضيّعُهُ كما لهُ عهدُ صِدقٍ لا أُضيّعهُ

فهو يُوقّع في ختام هذه المناجاة الحارقة ، ببقائه على العهد ووفائه به، معاهدًا ببقاء الثقة، ودوام الحب، واستمرار الوفاء وحفظ المواثيق ،على أيّ حال كان ! فكما يكون العهد بين العبد وربه، يكون بين الناس بعضهم بعضا، " وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا"(4)، وقبل توقيعه وختمه يدعو لهذا العهد وأهله بالحفظ والرعاية والصون (في ذمة الله) أي: في أمانه وعهده وحفظه.

هذه المنظومة القيمية الأخلاقية شكّلت جزءا كبيرا من بنية النص الجمالية واللغوية والدلالية، وحفرت في ذاكرته أبعادا شتى تختزل تجربة بالغة التأثير ستبقى حيّة نابضة ، ينفث فيها الشعر روحًا لا تهرم ولا تموت.

هذه المنظومة الأخلاقية – كما تجلّت لنا- وردت في الأبيات تواليًا:

---

(1) سورة آل عمران/134

(2) انظر التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ صـ 53 ؛ والشعب للبيهقي (6/ 323)(323/6). وقال أبوقلابة: التمس لأخيك العذر بجهدك، فإن لم تجد له عذرا فقل لعل لأخي عذرا لا أعلمه. ذكره ابن أبي الدنيا في مداراة الناس صـ 49.

(3) سورة إبراهيم/7

(4) سورة الإسراء/34

	الشطر الشعري	القيمة الأخلاقية فيه
1	قد قلتِ حقا ولكن ليس يسمعه	الاعتراف بالخطأ ، ولوم النفس.
2	فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلًا	استعمال الرفق في جميع أمور الحياة.
3	و الله قسّم بين الخلق رزقهم	الإيمان بكتابة المقادير وتوزيع الأرزاق.
4	لم يخلق الله مخلوقا يضيّعه	الإيمان بأن كلا ميسّر لما خُلق له.
5	والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغي ألا إنّ بغي المرء يصرعه	الرضا والقناعة.
6	أستودع الله في بغداد لي قمرا	وضع ما يهمنا في ودائع الله.
7	لا أكذب الله ثوب العذر مُنخرِقٌ	الصدق.
8	إني أوسّع عذري في جنايته	التماس العذر للمذنب والتسامح.
9	ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا شُكر عليه فإنّ الله ينزعه	شكر النعمة، والبعد عن كفرها وجحودها.
10	في ذمة الله من أصبحت منزله	اليقين بأن الله يحفظ ما استحفظ.
11	من عنده لي عهدٌ لا يضيّعه	الوفاء بالعهد.
12	لأصبِرنّ لدهرٍ لايُمتّعُني	الصبر عند الشدة.
13	فأضيق الأمر إن فكرت أوسعه	الإيمان باليُسر مع العسر.
14	فما الذي بقضاء الله يصنعه؟	الإيمان بالقدر خيره وشره.

2. القيم الأخلاقية:

ومسألة الجمال أمر نسبي، فقد اختلفت ودقّت معايير ومفاهيم تحديده ، والحسن كما يقول الجاحظ" أمره أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره، وهذا يعني أنّ إدراك الجمال لا يتم بوساطة حاسة البصر فقط، وإنما يحتاج إلى إعمال العقل والثقافة والرياضة" (1) ويضع ابن طباطبا معيارين لمفهوم القيمة الجمالية وهما" النشوة والطرب ثم الصدق المؤدي إلى اللذّة" (2) وأنا-أرى- الصدق هنا معيارًا ثالثا وليس معطوفا على النشوة والطرب.

وترتبط القيم بالجمال، مثلما يرتبط الجمال بالقيم. والشعر فن، والفن جمال ، وفي القصيدة اللذة الممزوجة بالانكسار، والألم المتفجر حبا وشوقا، والصور الجارية في أرض القصيدة جمالا وجلالا.

(1) الجاحظ رائد الجمالية العربية ، علي أبو ملحم ، عدد 46، ص100

(2) عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ص22.

و" تتناول فلسفة الأخلاق إحدى القيم الثلاث التي تتناولها نظرية القيم (الحق، والخير، و الجمال)" (1) ومما قال سانتيانا عنه:" الجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء، خلعنا عليها وجودًا موضوعيًّا ، الجمال هو لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته" (2) ولا يخلو الكائن الشعري من القيم الجمالية ، وهي تزيد أو تنقص ؛ فالقصيدة قيمة جمالية بحدّ ذاتها ، والجمال قيمة ،ويرتبط الجمال بوجدان الشاعر ومشاعره وأحاسيسه ، كما ترتبط صور الشاعر ارتباطًا واعيًا أو غير واع بطبيعة تجربته النفسية . والحس الجمالي هو لبّ العمل الإبداعي، وأقصى ما يرومه المبدع في لوحته الإبداعية.

وتلوّن الصور الجمالية أشطر القصيدة كافة ، بمختلف الأساليب والألوان الجمالية، نرصد منها مثالا لا حصرا:

أ. جماليات المطلع والختام:

والمطلع أو الاستهلال ، هو البيت الأول في القصيد وهو مفتاح العبور والشعور ، ويعبّر عن واجهة القصيدة الفكرية، والملامح النفسية لشاعرها ، وبه "تفتتح القصيدة بناءها . وهو مقدم على غيره من الأبيات ، فهو طقس الشروع في بنية فضائها" (3) و فيه يتنافس الشعراء، ويتسابق أولوا النظم. وجماله وحسنه يدل على براعة الشاعر وقوة طبعه، وقد سماه النقاد، براعة الاستهلال وبراعة المطلع، وحسن الابتداء، قال فيه صاحب الخزانة: "اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهِلّة المعاني واضحة في استهلالها ، وألاّ يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة" (4)، وتستمد القصيدة قيمتها وقوتها من مطلعها، فمنه تتغذى ومنه تستقي عذوبتها ورواؤها ، في حين يرى بعض بأن البراعة هي "أن يبدأ الشاعر قصيدته بما يوضح غرضه" (5).

ومنه (أي المطلع) تبدو دهشة الإبداع ، ومفاجأة التأثير في وعي الشاعر بمستوى الحس والعمق الجمالي ، وهندسة التشكيل، وترجمة الرؤى.

ويتفجر مطلع اليتيمة بالأسلوب الإنشائي التجريدي ، القائم على الحوار، أو المنولوج الداخلي، فالشاعر ينزع من ذاته ذاتا يخاطبها ويبثّها لواعجه وشكواه ؛ ويعكس هذا الأسلوب ، حالة الصراع النفسي الذي يكابده في غربته. ولم يكن هذا المنولوج مفتاح القصيدة ، ونقطة انطلاقها الفضائي الرحب وكفى؛ وإنما كان مسارها المتشعب لبثّ المواجع الداخلية، والعتاب الحار، والأسى الحارق، والبوح الملتهب، مجسّدا في الندم على القرار الخاطئ بالرحيل:

(1) القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي، انتصار مهدي عبدالله، ، ص17.

(2) الإحساس بالجمال ، جورج سانتيانا ، ص92.

(3) الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها ، محمد بنيس ، ص130.

(4) خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين ابن حجة الحموي مج1، ص307.

(5) معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، ص77

لا تعذُلِيْـهِ فـإنّ العـذْل يُولِعُـهُ قـدْ قُلـتِ حقًّـا ولكـن ليْـسَ يسْـمَعُهُ

لا تعذليه: نفث فيها تحوّل صورة الصراع النفسي الداخلي إلى صراع خارجي بينه وبين حبيبته.

أنـت محقـة فـي عذلـك ومحاولـة عدولـي عـن السـفر؛ لكنـي مولـع بـه؛ كـي أحقـق حلمـي فـي الحصـول على المال الذي تنعمين به، وترغدين.

والشـاعر بهـذا المطلـع الإنشـائي يثيـر فضولنـا وشـغفنا لمعرفـة المنهـي عنـه، ومـن المخاطـب؟ والأمـر الجلـل وراء هـذا الأسـلوب الـذي كان مـن الأهميـة بمـكان؛ حتـى جعلـه فاتحـة القصيـد، ولـم يحتمـل التأخيـرا والإنشـاء الطلبـي يتميـز بـ "دلالتـه الثريـة بالمعاني وقدرتـه علـى التعامـل مـع تضاريـس النصـوص " [1] وتمثّـل هـذه الأسـاليب أبـرز المظاهـر الدالـة علـى حيويـة اللغـة وثرائهـا. لقـد تفجـر المطلـع بأسـلوب نهـي أعقبـه نتيجـه تنشـأ منـه (لا تعذليـه ! فالعـذل يزيـده تعلّقـا وشـوقا لهـذا الأمـر) ، وخبـر - فـي الشـطر الثانـي- تلازمـه نتيجـة اسـتدراكيه (كان قولـك حقـا فـي نهيـه عـن السـفر؛ لكنـه لـم يصـغ لـه ويأبـه بـه!) يعصـف بـه منعطـف قـاس يرتـد بـه نحـو الماضـي ووطـأة المـكان والحـدث والزمـان البعيـد، بغـداد وحبيبتـه ومجامـع قلبـه وحبـه هنـاك. لقـد انكفـأ الشـاعر فـي مطلـع قصيدتـه علـى ذاتـه الماضيـة قبـل السـفر وارتـدّ معـاودا أدراجـه نحـو مطلـع الحـدث الأول ، وشـرارة انطلاقـه حيـن أراد المغـادرة، وهبّـت عواصـف الإقـدام والإحجـام بيـن ذاتـه العازمـة علـى الرحيـل، ومحبوبتـه العاذلـة اللائمـة إصـرارا علـى البقـاء وإلحاحًـا علـى الإحجـام عـن السـفر. وقـد انسـكب هـذا الانكفـاء والاجترار الماضوي ، على كافة القصيدة مواجع وألمًا وذكريات أسى وشجون.

بعيـدًا عـن الإمسـاك باللحظـة الراهنـة، ومناجـاة الحـدث الجديـد والموقـف الحاضـر فـي بـلاد الأندلـس! لـم يكن البغدادي هو المتنبي حين خذله كافور وأحرق شجرة أحلامه؛ فهجاه قائلًا :

إنّـي نزلـتُ بِكذّابيـن ضيفُهُـمُ عـن القِـرى وعـن التّرحـالِ محـدودُ [2]
جُـودُ الرِجـالِ مـن الأيـدِي وجودهُـمُ مـن اللّسـانِ فـلا كانُـوا ولا الجُـودُ

إنمـا عـاد البغـدادي ذلـك الرجـل العاشـق الفقيـر فـي أرض بغـداد- الـذي يقتـات علـى أحـلام الترف وآمـال الغنـى- متعايشًـا مـع صدمتـه الحاليـة ، متغنيًـا بوجعـه وحرمانـه، فـي منظومـة قيميـة أليمـة وجميلـة أمهلـه بهـا انكساره قبل أن يسلمه لمخالب الموت القاهر.

وإذا كان المطلـع هـو بوابـة القصيـدة ، وأيقونـة مددهـا، فـإن الختـام لا يقـل أهميـة عنـه، إذ هـو قفلهـا ومسـك ختامها ، والأعمال بخواتيمها.

وبـه يتكـئ الشـاعر علـى الآمـال ، ويرتمـي بهمومـه وخيباتـه فـي مرفـأ (عسـى) وهـو ينسـج خيـوط حلـم يـراه مستحيلًا :

(1) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، عبد القادر عبد الجليل ، ص267.

(2) ديوان المتنبي، ص217.

عسى اللّيالي التي أضنَت بِفُرقَتِنا جِسمي ستجمعُنِي يومًا وتَجمَعُهُ

وكأن حدسه قد أملى عليه شيئًا آخر، وأن الليالي قد حالت بينه وبين قمره للأبد ، فاستدرك عجِلًا بعد (عسى) التي تأمل بها اللقيا ، وقال:

وإنْ تُغَل أحدٌ مِنّا منِيّتُهُ فما الذي بِقضاء اللهِ يَصنَعُهُ

وانقاد مُسلّمًا ، مستسلمًا لقضاء الله، وهو يسمع صوت المنية وداعي الفناء! بعد أن أودع الله أحب الأشياء إلى قلبه، وأيامه الجميلة الوادعة في أحضان بغداد بين يدي قمرها الذي سلبه عقله ولبه (حبيبته) .

وهكذا يأتي الختام منقادًا للرضا ، مستشرفا للغد المؤلم ، معتقدًا لطف الله في قضائه، حين عجز عن استيعاب قهر الأيام وقَدَر الزوال، فاقتصرت المواجهة على الاستسلام المطلق للقدر المطلق (الموت) .

وهنا يحط البغدادي رحاله ، ويلفظ أنفاسه ويعلن في خاتمة القصيدة خاتمة عمره، لم يكن الختام مسكا كما اتفقنا! لقد انتهت هذه الملحمة بموت البطل! إلا أن المسك يتضوّع من التاريخ الذي حفل بهذه القصيدة وخبأها عن عواصف النسيان والضياع، لقد مات البغدادي الإنسان، وبقي الشاعر الذي بداخله صادحا حيا ، يواجه الزوال بفأس صموده وعنفوانه وخلوده، وبما حملته هذه القصيدة من قيم قيمة، وحكم خالدة.

ب. جماليات الصور الشعرية:

وتكمن خصوبة الصور الشعرية في مستوى درجتها التخييلية وقدرتها على تلوين دلالاتها ، من خلال توهّج شعوري، يؤججه الألم فيفيض بالدهشة والإثارة. والإشراقات المشهدية ترفع وتيرة النمط الشعري ، وترتقي بمستوى الحس الجمالي، واليتيمة بين أيدينا تغص بالصور الجمالية باختلاف ألوانها وتشكيلاتها، ويقع اختيارنا على بعض منها، التزاما بمنهج المثال دون الاستقصاء والحصر:

1. صورة الزمن:

والزمن هو الفاعل القاسي على الإنسان عامة ، والشاعر خاصة ؛ فهو يقف حائلًا بينه وبين طموحاته ومقاصده وأحبابه، وما اشتكى شاعر من القهر والويل بمثل شكواه من الزمن والدهر، وكيف يؤثر في حالته النفسية ، ويحول دون خلجات قلبه ، وهوى فؤاده. ويمثل الزمن مشكلة ذاتية مزمنة، هي مشكلة الموت الذي يهرب منه الانسان ، ويتشبث بالحياة ، بقدر ما ترتبط هذه المشكلة بالعجز والشقاء والحرمان من تحقيق الآمال.

والحضور الزماني يجسّد – بتداعياته المختلفة الدالة- جزءًا كبيرًا من الوجع الشعوري الذي تضخه القصيدة ، فقد اتخذ –الشاعر- الدهر ذريعة لكشف الستار عما يعانيه ويكابده من مشقة وعجز وغربة، وهو

حين يتوسل بالتعابير الدالة على الزمن إنما يُجلّي أبعاد هذه المعاناة وعجزه عن تحملها أو مواجهتها ، فقد تكرر ذكر الزمن بدلالاته المختلفة أكثر من ثماني عشرة مرة في القصيدة ، توزعت بين ألفاظ (الدهر، و دهري، و الليل، و الليالي، و الزمان، و الأيام، وأيامي، و يوم، ويوما، وضحى، وليل) .

والشاعر يعيش الزمن ويتأثر به، ويتكون في نسيجه الماضي والحاضر والمستقبل ، يقول:

يكفيه من لوعة التفنيدِ أنّ له منَ النَّوى كُلّ يومٍ مايُروّعُهُ

وتأخذ النكرة مساحة ممتدة من البعد والكمد والشقاء الذي يكابده الشاعر حتى لا يجد له نهاية (كل يوم) ، وعودة الشاعر إلى الماضي هو تشبّث به وبالحنين الذي يأسر مجامع فؤاده ، يقول:

وكمْ تشبّث بي يوم الرّحِيْلِ ضُحىً وأدمُعِي مُستهلّاتٌ وأدمُعَهُ

وحين يتكثف الحضور الزماني (يوم، ضحى) في امتلاء الصورة بوطأة الأسى ، وعمق التذكّر، فإن الشاعر لا يطيق انفكاكًا من هذا الصراع الزمني الذي يطويه في نسيجه طيّا. وتأتي كلمة (كمْ) في مطلع البيت، لتصوير هذا الزخم الكبير وتقوية الحكم بفعل الزمن وقوته في فعله، فقد فرّق بين الشاعر ومحبوبته رغم تشبّثها وشدة تمسكها به والدمع ينهلّ من عينيهماً

وما كان هذا الأمر في الحسبان أبدا:

ماكنتُ أحسبُ ريبَ الدّهرَ يفجعُنِي بهِ ولا أنّ بِي الأيام تفجعُهُ

فالزمان في فلسفة الشاعر هو تلك القوة الحقيقية الباعثة للألم والحزن بما تسوقه من أحداث ، والدهر يناقضه في مساره، ويفجعه بنهب أحبابه؛ لقد حوّل الزمن هذا السكون النفسي والاطمئنان العاطفي إلى أشباح من الفزع واللوعة ومرارة البين ، لا يملك معها إلا أن يفر من هذا الكابوس الزمني إلى مثله (الدهر يفجعنِي، الأيام تفجعه) وفي هذا الفعل الزماني تباين يبثه التركيب، يوحي بأن الزمن أكثر قسوة على الشاعر وأشدّ وطئًا، منه على محبوبته التي كانت في نعيم مقيم، بينما يظل هو في درب ممتد من الفواجع والخطوب. فهو موجوع مفجوع مدى الدهر، أما هي فقد فُجعت بفراقه أياما فقط. ثم تؤول التجربة إلى أبعد أعماقها في قوله:

(قد كُنتُ من رَيْبِ دهرِي جازِعا مزِقًا) فإضافة الدهر إلى ياء المتكلم ، جعلت التجربة أكثر عمقًا وخصوصية.

2. صورة المرأة (محبوبته):

والمرأة هي وقود الشعر، وأيقونة الحب والجمال، يقول قائلهم : "فلحظات السعادة لا يمكن تعويضها إلا بعد ارتياد عالم المرأة المشحون بالأسى وعمق الألم" (1) ، وما أسخى البغدادي وأكرمه حين أغدق على

(1) ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام ، ص71.

يتيمته من حب زوجته ، سقاها فرواها عذبا زلالا يفيض حياة وجمالا على مدى القرون فلا ينضب ، فكل الحروف والصور هنا شادية باسمها، مستأنسة بذكرها، حين يفوح برسمها عبق ماضيها، وحين يستشرفها دعاءً وأملًا في اللقاء مستقبلا. والحب من أعظم القيم الجمالية والأخلاقية التي نحن بصددها "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا"(1)

وهاك البغدادي يقول في حبه:

أستودعُ الله في بَغدادَ لي قَمَرا بالكرخ من فَلَكِ الأزرارِ مطلعُهُ.

وليس في البيت جميل صنْعة ، ولا كثير فن إذا ما رمنا التفتيش عن استعارة نادرة أو معنىً جديد؛ فالبيت يسير المعنى، بسيط الدلالة، ولعلّ سحره يكمن في نظمه، وتآلف معانيه، و(أستودع الله) بحد ذاتها طاغية بالحب والصدق والعناية، أوردها الشاعر بصيغة المضارع لا الماضي، مما يشي باستمرارية الفعل ودوامه، والإنسان إذا أهمه الشي النفيس ضنّ به، وأصبح لا يملك من القدرة والإحاطة، والخوف على فقدانه، إلا أن يضعه في ودائع الله، لئلا يضيع ويُفقد.

(في بغداد) مستلذًا بذكره ونطقه؛ إذ هو رمز الحب والبقاء والحنين، ووطن الحياة الفارهة مع ساكنة القلب، جاء بها اعتراضية في سياق الشطر ، فلا يسعه أن يذكر محبوبته (قمرا) دون أن يذكر المكان، تماديًا في التلذذ بذكرها وذكر مكانها، ولا يخفى ما تثيره الجمل الاعتراضية من دهشة المتلقي ومفاجأته وإعجابه، واحتفاء القائل بها، فهو لا يملك تأخيرها في السياق.

أما قوله: (لي قمرا) ففيها من الخصوصية والوجد ما فيها، فلم يقل شبيهة القمر، بل جعلها قمرًا، يملكه ويختص به وحده (لي) ، ولا تنفك دلالة المكان عن أصداء التجربة (بغداد) ثم (الكرخ) تحديدا ، يليه (الأزرار) التي أرجّح أن يكون اسم مكان أيضًا ، وتزداد الدلالة قربًا وخصوصية في قوله: (مطلعه) هذا القمر عزيز متمنّع ، شديد الخصوصية، لا يظهر دائمًا للرائين ، متحصّن بأكثر من حصن ، بغداد- الكرخ- الأزرار، هو صعب المنال، عسير الظهور، لا يستلذ بنوره وجماله سوى البغدادي في هذه الأماكن تحديدًا.

وتصنع المحبوبة أبعاد التجربة الشعرية بعمقها وضجيجها ، وحضورها غالبًا في الأشطر الأولى من القصيدة يوحي بحضورها الطاغي في وجدان الشاعر، وتشكيلها لتجربة الغياب المر المؤلم، وما آلت إليه من البعد الذي لا عودة للشاعر بعده. يقول:

ودّعتهُ وبِودّي لو يُودّعُني صفوَ الحياةِ وأنّي لا أُودّعهُ
وكمْ تشبّث بِي يومَ الرّحِيْلِ ضُحى وأدمُعي مُستهلّات وأدْمُعهُ
اعتضتُ من وجْهِ خِلّي بعدَ فُرقَتِهِ كأسًا تجرّع منها ما أجرّعهُ
ومن يصدّعُ قلبي ذِكرُهُ وإذا جرى على قلبِهِ ذكري يُصدّعهُ

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (1/74)، رقم (54).

لقد صنعت الحبيبة حضورها الطاغي في هذه الأشطر، فجميعها تتنفس بضمير الغائب (حبيبته) وضمير المتكلم مبالغة في التعلق بها والتملك لحبها، وهو في كل هذه المناجاة ، يخاطبها بضمير المذكر لا المؤنث (ودّعته، و تشبّث، وتشفّع، وجنايته، وذكره، ويفجعني...) إذ يخاطبها حبًّا وكلاّ، وليس مؤنثًا فردًا، هو يراها حبًّا عظيمًا مقدسًا، كبير القدر والمنزلة والسمو ، يراها الكل الجميل الذي يخاطبه بصفة المذكر؛ فهو يخاطب الحب والجمال من خلالها ، ويكرر مناجاتها؛ استجابة للموقف الشعوري البالغ التأزم، كما تضفي هذه المناجاة على الشاعر شيئًا من الارتياح النفسي واللذة العاطفية.

لقد تمزّق فؤاده بين الصراع المر الذي تقاسمه عقله وفؤاده ، فالعقل يحثه على الرحيل ؛ طلبًا للغنى، والفؤاد يُمسكه عن مفارقة وطنه وحبيبته:

ودّعته وبِودّي لو يُودّعني صفو الحياة وأنّي لا أودّعه

أما فكرة القصيدة فقد تبلورت حول هذه الحبيبة ، فهي مفتاح العمل الشعري ومستهلّه، وهي الختام والقفل أيضًا:

لا تعذُليهِ فإنّ العذل يُولِعُهُ ، امتدادًا إلى قوله في الختام :

وإنْ يَنَل أحدٌ مِنّا منِيّتُهُ فما الذي بقضاء الله يَصْنَعُهُ.

3. الغربة والاغتراب:

وقد ارتبطت الغربة بالإنسان على وجه العموم، والشاعر خصوصًا، ارتباط الحياة بالأحياء ، وما الجمال سوى "إبراز لاغتراب الإنسان وقهر للعنصر المتشيئ فيه" (1) وقد قيل: (الشاعر غريب أينما كان) وهو ما تنطق به هذه القصيدة ، الشاهدة على غربة الروح ، وغربة الشاعر، وغربة الزمان والمكان ، والأبيات مع طغيانها بالألم تحمل إحساسا قاسيا بالمرارة والحنين، والقلق المصيري.

والاغتراب هو: " الفيض من الضياع والشجن والاحساس بالقهر والانهزام ، ورفض الواقع، والاغتراب بكلّ ما يعكس من قوة ومن ضعف ومن تمرد، وخروج عن المألوف ، هذا العالم الداخلي يدور خارج النفس ، والذي تشكّله دوامات من الوعي واللا وعي، ومن الضوء الباهت والقتامة الداكنة الموغلة في أغوار الأغوار" (2)

وقد تلوّنت البغدادية وتنكّهت بالغربة ، وتشير الدراسة إلى بعض المفردات التي تركّزت فيها تجربة الغربة والرحيل والضياع:

(1) جدل الجمال والاغتراب ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ص121.

(2) الاغتراب في رواية محمود حنفي، محمود زكريا ، ص325.

يكفيهِ من لوعةِ التفنيدِ أنّ لهُ ... منَ النّوى كُلّ يومٍ ما يُروّعُهُ
ما آبَ من سَفَرٍ إلاّ وأزعَجَهُ ... رأيٌ إلى سَفَرٍ بالعَزمِ يُجمعهُ
كأنّما هو من جِلٍّ ومُرتَحَلٍ ... مُوَكّلٍ بِفضاءِ الله يذرَعُه
إذا الزمَاعُ أراه في الرّحِيْلِ غِنىً ... ولو إلى السنِدِ أضحى وهُو يزمَعُهُ

وتغص دلالات السفر والرحيل والنوى والتشتيت والاغتراب – الواردة في الأبيات أعلاه- بمشاعر الضياع واليأس والغربة التي لا ترحم ولا تؤول إلى استقرار، وكأنه موكّل بالسعي في الأرض وقياس أبعادها شرقًا وغربًا! فما إن يعود من سفرٍ إلا ويُعدّ العدة لآخر، ويعزم الرحيل وهو الذي لا يعرف الاستقرار والإقامة أبدًا.

وتأخذ الغربة بُعدا نفسيا آخر، يطفو بالألم والحسرة، حين يرتد الشاعر كسيرا يائسا لم يحصّل مقصودة عند ممدوحة:

ألا أقَمْت فكانَ الرّشدُ أجمَعُهُ ... لو أنّني يومَ بانَ الرّشْدُ اتبعُهُ

وتمتد هذه اللوعة فتطال أبيات القصيدة جلّها، فهو يذكر تارة هذه التجربة القاسية بألفاظ صريحة مثل ، السفر، و الرحيل، والحل ، وتارة بمدلولاتها وأبعادها –كالوداع، والبين، والفراق- من مثل قوله:

ودّعته وبودّي لو يُودّعُني ... صفوَ الحياةِ وأنّي لا أودّعُهُ
كم قائِلٍ لي ذُقت البَيْن قلتُ له ... الذنب والله ذنبي لستُ أدفعُهُ

ففي هذه الأشطر تكمن بؤرة الإشعاع العاطفي النفسي، وبؤرة الإشعاع الجمالي أيضًا، فحين تلفّه الغربة ، وتملؤه مرارة الأيام ، يشتعل في جنباته الشوق، ويستعر الحنين، وتغيب حينها السلوى، غربة قلب وغربة وطن وغربة شاعر!

وهنا ترتدّ الحالة الشعورية لتكوّن عمق التجربة وتفاصيلها الغائرة؛ فالسفر الذي يقصده الشاعر قد لا يكون إلا مجازيا، يمتد به نحو عوالم الغربة الذاتية ، والرحيل الممتد حتى ساعة الأجل.!

فقد "تحول مشاعر الشاعر إلى مشاعر اغتراب، قد تتسع وتضيق بحسب حظّه من المعاناة واتساع التجربة الشعرية" (1) وعندها تنطلق الصور من أعماقه المكلومة طافحة بالجمال الفني، والنغم العاطفي.

والذكرى مؤرقة متوقدة ، تعاوده فتثير لوعاته، وحسراته على تلك الأيام التي عاشها بالأمس حقيقة، واليوم هي ركام تذكاري بعيد المنال، عبثت به أيدي الزمان :

هل الزمانُ مُعِيْدٌ فيك لذّتنا ... أم الليالي التي أمضته تُرجعه؟

(1) رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني في العراق ، عبد الكريم راضي ، ص80.

إن أثـر الغيـاب والغربـة لاتقـف عنـد البغـدادي بالتقـاط صـور الماضـي، واسـتلهام عبقـه وشـجونه، بـل باستحضار أجمل تفاصيله وأعلقها بالنفس، حبيبته ومكانها ومكانتها، وبغداد الهوى الوطن :

أسـتودِعُ الله فـي بَغـداد لـي قَمَـرًا بالكـرْخ مـن فَلَـكِ الأزرارِ مطلَعُـهُ

3. جماليات الإيقاع والبناء :

مـع قناعتنـا بـأن الشـاعر حينمـا تجيـش نفسـه بالشـعر ، وتسـتدعيه خفقـات القوافـي، لا يكـون فـي حسـبانه الكتابـة علـى بحـر مـا ، أو قافيـة بعينهـا. إلا أن تلقائيـة المشـاعر، وطواعيـة الأحاسـيس تتدفـق فـي مجراهـا ، وتنساب في قالبها الذي تختاره خصوصية التجربة.

و"تكمـن فـي المـادة الصوتيـة إمكانيـات تعبيريـة هائلـة ؛ فالأصـوات وتوافقهـا ، وألعـاب النغـم والإيقـاع ، والكثافة والاستمرار والتكرار ، والفواصل الصامتة ، كل هذا يتضمن بمادته طاقة تعبيرية" (1).

ولـن أعـرّج هنـا علـى مـا اعتـادت عليـه بعـض الدراسـات التـي تتنـاول هـذا الجانـب مـن الأسـاليب البلاغيـة: كالحـذف والطبـاق والتجنيـس والتقديـم ،إضافـة إلـى نـوع البحـر والـرويّ وغيرهـا؛ فـكل قصيـدة بـلا شـك- ناهيـك عـن سـائر النصـوص الأدبيـة- لا بـد أن تحضـن هـذه الأسـاليب ، بـل تقـوم عليهـا، فعليهـا يتكـئ العمـل الأدبـي، والجمال النغمي والإيقاعي، الذي يقوم عليه النهج البنائي الفني.

واليتيمـة بألحانهـا العذبـة، وأشـجانها النديـة ، وصورهـا التـي تلامـس الحـس الإنسـاني " يجـد فيهـا قـارئ الشعر متعته، بما يسري فيها من نغمٍ وإيقاع آسر" (2).

وسـنركز فيهـا علـى إحـدى هـذه الأدوات البلاغيـة التـي شـكلت الجـزء اللامـع والكبيـر مـن إيقاعهـا وجمـال بنائهـا ونغمهـا، وهـو الجـزء الـذي يغنـي الباحـث عـن التفتيـش والتنقيـب؛ إذ يتكشّـف وينفجـر دلالـة وطربـا فـي جـلّ أبيـات القصيـدة. إضافـة إلـى مـا تنفجـر بـه مـن طاقـات تعبيريـة مفعمـة بالإيقـاع والنغـم المنسـاب مـن جرس التكرار.

هـذه التقنيـة الفنيـة ، صادحـة بالإيقـاع والطـرب ، الـذي منـح التجربـة الشـعرية ثـراء وعمقًـا، وأضفـى علـى أبياتهـا الجمـال والألـق، والبقـاء فـي الوجـدان الشـعري العربـي ، وقـد سُـمّي هـذا الأسـلوب البلاغـي : التصديـر، أو رد الأعجـاز علـى الصـدور، وهـو كمـا عرّفـه القزوينـي: " أن يكـون أحـد اللفظيـن فـي آخـر البيـت ، والآخـر فـي صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر الثاني" (3).

(1) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ،ص20.

(2) السابق، صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، للطناحي، ص19.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص543.

أمـا صاحـب العمـدة ، فيـرى أن التصديـر يتمثـل فـي " رد أعجـاز الـكلام علـى صـدوره، فيـدل بعضـه علـى بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر" (1).

ومن ذلك قول البغدادي في بغداديته:

إنّـيْ أُوَسّـع عُـذري فـي جِنايتَـهِ بالبَيْـنِ عنـهُ وقلبـي لا يُوسّـعُهُ
ألا أقمـتَ فـكانَ الرّشْـدُ أجمَعَـهُ لـو أنّنِـيْ يـومَ بـانَ الرّشـدُ اتبعُـهُ

(أوسّع- لا يوسّعه) و (كان الرشد- بان الرشد)

إذ التكـرار فـي شـطري البيتيـن ينتـج عنـه دلالات متنوعـه ، وإثـراء لحركـة المعنـى المتراسـل فـي الشـطرين، وفيـه تكثيـف الإيقـاع ، وزيـادة الآداء الصوتـي ، وهـو مـا يحـدِث للنفـس ارتياحًـا، وللمعنـى تمكينًـا وتأكيـدًا ، وتحميل إيحاءات جديدة في توالد الدلالات ، والتأكيد على عمق التجربة الاغترابية، وثرائها المدلولاتي.

واسمعه يقول أيضًا:

إنّـي لأقطـع أيامِـي وأنفذُهـا بِحسـرةٍ منـهُ فـي قلبـي تُقطّعـهُ
لا يطمئِـنُّ بجنبـي مضجـعٌ وكـذا لا يطمئـنُّ لـه مُـذْ بِنْـتُ مضجعـهُ
مـا كنـتُ أحسـبُ ريـبَ الدهـر يفجَعُني بـهِ ولا أنّ بـي الأيـام تفجعـهُ
ومـن يصـدّعُ قلبـي ذكـره وإذا جـرى علـى قلبِـهِ ذكـري يُصدّعـهُ
لأصبِـرنّ لِدَهـرٍ لا يُمتّعُنِـي بـهِ ولا بـيَ فـي حـالٍ يُمتّعُـهُ

والتصدير في الأبيات السابقة جاء على النحو الآتي:

(أقطـع، و تقطّعـه) و(مضجـع، و مضجعـه) و(يفجعنـي، و تفجعـه) و (يصـدّع قلبـي، و يصدّعـه) و (لا يمتّعنـي، و لا يمتّعه).

وتكـرار مناجـاة حبيبتـه –بشـتى الصـور- يمثّـل النقطـة المركزيـة التـي تتمحـور حولهـا فكـرة الأبيـات، كمـا تكشف عن حدة المعاناة وقسوتها ، و "سنن العرب التكرير والإعادة ؛ إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" (2).

ولـم يكـن التكـرار هنـا حشـوًا فـي الـكلام ، أو ضـرورة شـعرية ، إنـه زيـادة توجّـع وتحسّـر، مـع التلـذذ بذكـر المكـرّر، والتنويـه بشـأنه. كمـا يبـدو محمـلًا بالإيقـاع المتسلسـل نحـو سـراديب النـص ومنحنياتـه، وتبـدو موسـقة التراكيـب شـلالًا طروًبـا ، يسـكبه ثغـر القصيـدة مشـحونا بلفيـف مـن الـدلالات ، ومناجـاة الـروح، والخصوبـة الجمالية.

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني ، ج2،ص3.

(2) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسين أحمد الرازي ، ص213.

لقد تجاوز هذا الخطاب الشعري شتى البكائيات التي نعهدها في الشعر العربي ، وتوجّه نحو أبعادٍ إنسانية تتخطى الأنا؛ لتحمل للكون أبلغ الرسائل، فنراه يحوّل مصيبته الشعرية إلى فلسفة حياة ، ارتقت بالقصيدة إلى عوالم إنسانية عامة؛ لما اكتنفها من دلالات عميقة ، وأساليب حجاجية متنوعة، مفعمة بالخطاب الحكمي الذي يحاور الذات والنفس مهما كان زمانها ومكانها. (1)

وقد أدت النغمات الصوتية - المتواترة في التصدير- دورًا في تشكيل لغة القصيدة ، وبناء أحد أركانها القائمة على التأثير في وجدان المتلقي، والتناغم مع عواطفه وأحاسيسه عذوبة ورقة؛ بما تتوسل به من تقنيات وروافد يشكل التكرار جزءًا كبيرا منها:

والتكرار هو: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعدا" (2) .

والتصدير وجه من وجوه التكرار ، إذ تتكرر التراكيب فيه ، كما تتكرر الكلمات والحروف، وتعزف بأوتارها على قيثارة النغم والتكثيف الدلالي. ويبرز التكرار- في أحد وجوهه- من خلال القالب الحكمي الذي صنعته نفس مرهفة اعتملت فيها دورة الأيام ، ومرارة الظروف، ولوعة الفراق، فكأنه ينطق بكل لسان ، ويحكي عن كل حال ومآل، مما خلع على التجربة بعدًا إنسانيًا، وقبولًا نفسيًا خالدًا. ومما تبثّه القصيدة من حكم، قوله: (لم يخلُقِ الله مخلوقًا يضيّعه) ،و (ألا إنّ بغي المرء يصرعه) ، و (وكلّ من لا يسوسُ الملك يخلعه) ، (فأضيق الأمرِ إن فكّرت أوسعه) ، (فما الذي بقضاء الله يصنعه) هذا التكرار التركيبي مع ما أضاف من بُعد للمعنى وتعميق للتجربة، استطاع أن يخلق قوة داخلية تحرك النغم اللفظي والبنائي والموسيقي ، وتخلق جرسًا داخليًا يدعّم الموقف التأثيري والحجاجي والتفاعلي لدى المتلقي؛ حين يتملكه الانسجام والتأمل وقد مزج الشاعر بين النزعة العقلية في الحِكم، والروح العاطفية في بنية النص، فخضع التكرار إلى "سيطرة النسق الشفاهي في النظم الذي يضمن طول احتضان الذاكرة للنص وسهولة استرجاعه" (3)

والسؤال الذي يلحّ على السياق هنا، ما السبب وراء لجوء الشاعر للتكرار الحكمي في بؤرة هذه التجربة المميتة؟

وقد يكون السر وراء ذلك-في رأيي- محاولة الشاعر الاحتماء بالكيان الحكمي درءًا للانهيار العاطفي الذي تولدت عنه تجربة الخيبة والخذلان من الخليفة الممدوح، فجاء حديث العقل؛ لتقوية مناعة القلب والعاطفة وحمايتهما من التهشم والهلاك، فكأن إدراج هذه الحكم مسكنات يهدّئ بها روعه، وصدمته النفسية. فأشغل البناء الشعري باستلهام العبر من هذه التجربة لئلا تنكفئ بثقلها عليه، حين يعيشها بعمق عاطفته وقلبه فقط!

(1) عينية أبي ذؤيب الهذلي – قراءة حجاجية في العتبات والتخييل ، فريال هديب، ص203،204 بتصرف.

(2) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، السجلماسي أبو محمد القاسم ، ص476.

(3) أساليب الشعرية المعاصرة ، صلاح فضل، ص206.

أما وقد استجلينا فيما سبق –من خلال التصدير- بعضًا من التراكيب المكررة ووظيفتها الدلالية في بنية النص و موسيقا الخطاب الشعري. في حين يقتنص انتباهنا وتذوّقنا زخم من المدلولات المتكررة، التي تطرز النسيج بأكمله، وتنهض في كل مرة بعبء الحمولات الشعورية والنفسية التي تنوء بها التجربة المريرة. ومما يثير الانتباه في يتيمتنا تكرر مفردة السفر والوداع والرحيل ما يقارب عشرين مرة، تنوعت بين الاسم والفعل والمصدر، (البين، و سفر،و مُرتحل، ويودعني، بفرقته، وبنتُ،و أستودع.....) وفي كل شطر تضخ هذه الكلمات ، دلالات جديدة ، ومعان متدفقة ، ونغمًا مثيرًا ، يجدد انتباه المتلقي ويحمله على متابعة التدفق الانسكابي للتجربة النفسية ، وفق المسارات الدلالية والتركيبية المتكررة. فقد شكلت تجربة الغربة والوداع -لقصد امتُحن الشاعر بخيبته فيه- بؤرة الصراع النفسي الذي يحاول الانفكاك من عنق التجربة القاسية إلى فضاءات البوح ، عبر تناهيد التكرار وانثيالاته ، والشاعر" لا يكرر قضية صغرى ، بل إن القضايا الصغرى لديه تتحوّل إلى كبرى عبر علاقات الاستقصاء والارتقاء الدلالي ، والهبوط الدلالي والتضاد"(1).

وفي دلالة (الوداع والفراق والبعد...) يكتنز التكرار نواة دلالية مركزية ، تأخذ القصيدة نحو مسار فلسفي :

ودّعته وبودّي لو يودّعُني صفوَ الحياة وأنّي لا أودّعه

لقد تحوّل البعد إلى ثمن باهظ ينوء بحمله كاهل هذا الشاعر المدنف اليائس.

ومما صنع الانسجام والتناسق الداخلي ، الجمع بين كلمات عدة تنتمي لمادة واحدة:

(أستودع، و يودعني، و ودعته) ،و (الرحيل، و مرتحل، وحلّ) ، و (يخلق، و الخلق، و مخلوقا) ، (الرزق، و الأرزاق، ومسترزقا) ، (تعذليه، و العذل، وعذله) ، (هجع، و أهجعه، و مضجعه) وغيرها من المفردات التي خلقت جرسا داخليًا ونغمًا خفيًا للجمال الموسيقي ، والألق الصوتي .

و كما أسهمت الكلمات والتراكيب في صناعة النغم والإيقاع الصادر من التكرار، تكررت الحروف فولّدت نغمًا وجرسًا . ولا نغفل دور القافية في صناعة الإيقاع والانسجام داخل النص وخارجه، والتصريع في مطلع اليتيمة أحد روافد هذا النغم وأبرز أجراسه القارعة سمع المتلقي منذ الوهلة الأولى التي يقف فيها على أعتاب النص:

لا تعذليه فإنّ العذل يولعه قد قلتِ حقا ولكن ليس يسمعه

مع ما للقافية العينية المطلقة من امتداد نغمي ودلالي ، يكثف الانفعال الشعوري، والتأزم النفسي والإيقاعي ، ويتيح التغني والترنم بالأبيات التي امتدت بها المواجع والآهات ، امتدادا يستعصي على السواكن والقيود. وحرف العين مجهور يلائم الغرض الشعري ، والتجربة الشعورية ، تهتز فيه الأوتار الصوتية

(1) نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري ، حسام أحمد فرج ، ص140.

بين الشدة والرخاوة، وتكراره يعزز موسيقى الصورة ويسهم في التدفق النغمي والإيقاعي بين أبيات القصيدة، وفي بنائها الفني كاملا. ولم يكن حرف العين صانع القافية فحسب، بل كان مهيمنا على نسيج اليتيمة بأكمله، فقد تكرر أكثر من تسعين مرة، ولعل الشاعر وجد في العين عمقا يصب فيه حرارة المشاعر، وعويل الألم؛ فالعين مشحون بالزفرات الحرى، والغصص المتوقفة في وسط الحلق، وفي العين تعلق وعويل وعلل وعبرات وعبور وعبر.

الخاتمة:

الحمد لله في البدء والختام، الحمد لله الذي وفق وأعان، وأرجو منه سبحانه أن تكون هذه الرحلة الممتعة والشاقة حجة لنا، ونفعًا للقاصدين، فقد بُذل فيها من الجهد والوقت ما الله به عليم، والفضل له سبحانه أن وصلت إلى صفحة الختام لأعرض بين أيديكم نتائجها وتوصياتها:

1. لقد غاص هذا الشاعر في بحره الشعري، فكان صائغا ماهرا، حين عاد ونثر أجمل الدرر وألمعها، منغمسا في بحر التجربة المؤلمة ؛ حتى ازدادت توهجًا وجمالًا ، نسجها الألم وسطرها الجرح، فسمت وتجملت ؛ لتحفظها لنا أوراق الأدب، حتى وصلت إلينا ولم يغيّرها، أو يشوّه جمالها طول البقاء، ولا أيدي الزمان العابثة.
2. بيّنت الدراسة احتواء القصيدة على كثير من الدلالات الأخلاقية، والمرجعية القيمية .
3. يحمل الشعر رسالة القيم الجمالية، فإذا ما فاضت تراكيبه بالقيم الأخلاقية ازداد وهجًا ،وسما وارتقى وحمل رسالة السماء والبناء.
4. أفصحت القصيدة عن مدى تأثير الظروف والألم على النسق القيمي لدى الشاعر، ومدى حضور هذه القيم في محيط الألم والتجربة القاسية.
5. شكل الألم مظهرًا من مظاهر الاغتراب والشكوى في القصيدة.
6. صبت القصيدة في قالب حكمي، منح القيم عمقًا دلاليًا، وأثرًا وتأثيرًا.

ثم خلُصت الدراسة إلى بعض التوصيات تُجملها في الآتي:

1. تكثيف الدراسات المنصبّة على القيم، وأن تكون هذه الدراسات جزءًا أصيلًا في منصة حوار الحضارات.
2. دراسة القيم من خلال الأعمال الفنية والأدبية، وكشف الملامح الجمالية التي تتولد عنها.
3. أن تتضمن النماذج الأدبية المقررة على طلاب التعليم، مجموعة من القيم ؛ لتعليمها وترسيخها ضمن ثقافة الأجيال ومعتقداتها.

والله أسأل التوفيق والإخلاص والقبول، فمنه وحده الفضل والإنعام .

المراجع

1. القرآن الكريم .
2. الإحساس بالجمال ، جورج سانتيانا، ترجمة د. محمد مصطفى بدوي، مراجعة وتقديم: د. زكي نجيب محمود، مهرجان القراءة للجميع،2001 م.
3. الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق ، الصباغ، رمضان ، ط1،الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،1998م.
4. الأسس الجمالية في النقد العربي ، إسماعيل ، عز الدين ،ط3، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ،1986م.
5. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد الجليل، عبد القادر ، ط1، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع.
6. إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، القاسمي، محمد جمال الدين ،ط3، بيروت، المكتب الإسلامي ،1397هـ .
7. الاغتراب في رواية محمود حنفي ، زكريا ،محمود ، مجلة الفصول ع124، ، مصر، الهيئة العامة للكتاب 1993م.
8. أنوار الربيع في أنواع البديع ، المدني، ابن معصوم ، تحقيق: شاكر هادي، بيروت، عالم الكتب 1969م.
9. الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، الخطيب، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،1971م.
10. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1989م
11. ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام ،عطية ،ليلى نعيم ، بغداد، كلية الآداب- جامعة بغداد(،2005م.
12. الجاحظ رائد الجمالية العربية ، أبو ملحم ، علي ، بحث نشرته مجلة الفكر العربي ، عدد 46،1987م.
13. الجامع الصحيح - سنن الترمذي ، الترمذي، المحقق: أحمد بن محمد شاكر دار الكتب العلمية الطبعة ،1412هـ.
14. جدل الجمال والاغتراب ، مجاهد، عبد المنعم مجاهد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986م.
15. خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين ابن حجة الحموي، دراسة وتحقيق: د. كوكب دياب ط2، بيروت، دارصادر.
16. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر،1403هـ.

17. ديوان عنترة ، تحقيق: مولوي ، محمد سعيد ، المكتب الإسلامي 1964م.

18. ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ - الذخيرة في الأحاديث الضعيفة والموضوع، القيسراني، محمد طاهر المقدسي، المحقق / المترجم: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، ط1، دار السلف ،1416هـ.

19. رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني في العراق ، راضي، عبد الكريم ، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1995م.

20. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد شهاب الدين الدمشقي، اشرف على تحقيقه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط ،دار ابن كثير، ط1، 1412هـ

21. شرح السنة ، البغوي ، الحسين بن مسعود ، المحقق / المترجم: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط1، دار الكتب العلمية . 1412هـ.

22. شرح العقيدة الطحاوية ، الحنفي ، علي علي أبي العز ، المحقق / المترجم: الألباني و جماعة من العلماء ،ط8، بيروت، المكتب الإسلامي ، 1404 هـ.

23. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،الرازي، أبو الحسين أحمد تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت، مكتبة العارف ،1993م.

24. صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، محمود محمد الطناحي، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1422هـ

25. علم الأسلوب مبادئة وإجراءاته، فضل، صلاح ،ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م.

26. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، القيرواني، ابن رشيق، تحقيق:النبوي عبد الواحد شعلان ،ط1، مكتبة الخانجي- القاهرة،1420هـ.

27. عيار الشعر ، ابن طباطبا، محمد بن أحمد الهاشمي ، تحقيق: د.عبد العزيز بن ناصر المانع ،ط2، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1985م .

28. القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي ،عبد الله ، انتصار مهدي عبد الله ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب – قسم اللغة العربية ،2008م.

29. الكامل في ضعفاء الرجال ، عدي ، عبد الله أحمد، المحقق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط1، دار الكتب العلمية 1418هـ.

30. الكلم الطيب، ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم ، المحقق / المترجم: محمد ناصر الدين الألباني ،ط1، الرياض ، مكتبة المعارف ،1422هـ .

31. لسان العرب ،ابن منظور ، ط6، ج12، دار صادر- بيروت

32. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن تيمية، أحمد عبد الحليم ، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ،ط 1. 1398هـ.

33. مصارع العشاق ، السراج ،جعفر بن أحمد ، بيروت ، دار صادر1/23.

34. معجم المؤلفين ،كحالة، عمر رضا ، بيروت، دار إحياء التراث العربي- 7/95.

35. واحدة ابن زريق البغدادي دراسة في البناء الشكلي واللغة الشعرية ، حسين، مؤيد جاسم محمد ،أسامة عبد الغفور العبيدي ، ومحمد حسين علي حسين ، جامعة أهل البيت، مجلة أهل البيت عليهم السلام ، ع10.

36. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، مج 03 ،1970م

37. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ج2، ط1، 1403هـ

مبدأ المساواة في العقود الإدارية
دراسة على ضوء نظام المنافسات و المشتريات السعودي

إعداد

د. محمد بن علي معجب الكبيري

أستاذ الأنظمة المشارك في جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تعتبر العقود الإدارية أهم وسيلة لتحقيق رغبات الإدارة ومنه تفتح الباب أمام المؤسسات الأخرى لأجل التعاقد معها في إطار قانوني ،بحيث إن لكل طرف حقوقًا وواجبات ، ولأجل اختيار الطرف الآخر للتعاقد ؛لا بد من ضوابط و محددات صارمة لم يترك فيها النظام للإدارة مطلق الصلاحية للاختيار ،بل يكون بناء على الشفافية و تكافئ الفرص و المساواة بين كافة المتقدمين بعروضهم ، ومبدأ المساواة في العقود الإدارية هو مبدأ دستوري و تحكمه العديد من الأنظمة و بالخصوص في مجال العقود الإدارية " نظام المنافسات و المشتريات الحكومية و لائحته التنفيذية "

فانطلاقًا من مبدأ المساواة تعطى ضمانات لكافة المترشحين لأجل إيداع ترشيحاتهم و طلباتهم وتتولى الإدارة التعامل معهم بسواسية دون تمييز بينهم ،و أي تمييز قد يعرض القرار الإداري للطعن فيه أمام القضاء الإداري ، لكن مبدأ المساواة قد ترد عليه مجموعة من الاستثناءات الخاصة جدًا ،وخصوًصا لأجل تشجيع المترشحين الوطنيين دعمًا للاقتصاد الوطني ، ويتجلى مبدأ المساواة في العقود الإدارية بشكل جلي من خلال طرق إبرام الإدارة لعقودها، و كذلك من خلال حفظ حقوق المتعاقدين مع الإدارة .

الكلمات المفتاحية: المساواة ، العقود ، الفساد ،الشفافية، الإدارة ، نظام المنافسات و المشتريات السعودي.

Abstract:

Administrative contracts are considered the most important means to achieve the desires of the administration and thus open the door to other institutions in order to contract with them within a legal framework so that each party has rights and duties، and in order for the other party to choose the contract، there must be strict controls and limitations in which the system is not left to the administration with absolute power to choose، but rather constructive On transparency، equal opportunities and equality among all applicants for their bids، and the principle of equality in administrative contracts is a constitutional principle and is governed by many regulations، especially in the field of administrative contracts، "the government bidding and procurement system and its executive regulations."

Keywords: equality، contracts، corruption، transparency، management

المقدمة:

تعتبر العقود الإدارية من الأدوات التي تباشر بها الإدارة أنشطتها وتسعى لتحقيق أهدافها بعلاقة تشاركية مع المتعاقد معها ، وباعتبار ما تعقده الإدارة عقدًا، فإنه يخضع في تكوينه للقواعد العامة في العقود ، حسبما تنظمه النظرية العامة في العقود في القانون الخاص و التي تعتبر أنه من أركان قيام العقد توفر الرضا، و السبب، و المحل ،و تتميز عقود القانون الخاص أنها تقع بين أشخاص متساويين في الحقوق و الواجبات وتخضع للقانون الخاص في انعقادها و تنفيذها أما العقد الإداري فيُعقد بين الإدارة العامة و الآخر بغية تحقيق المنفعة العامة وخدمة الصالح العام

ومن هنا صارت العقود التي تبرمها الإدارة تدور بين نوعين من التعاقدات :-

الأول : ما تتمسك فيه الإدارة بامتيازاتها مما يجعل إرادتها أعلى من إرادة المتعاقد معها ،فيظهر العقد في شكل يخالف شكل عقود القانون الخاص و متضمنًا لشروط لا نظير لها في مجال التعاقدات الخاصة.

الثاني : يتمثل فيما تعقده الإدارة من عقود متخلية عن سلطتها و امتيازاتها؛ فتكون في موقع مساو لموقع المتعاقد معها و إرادتها متساوية لإرادته ،و من ثم يخضع العقد في كل منازعاته لقواعد القانون الخاص .

ولم تظهر هذه التفرقة إلا بعد ظهور القانون الإداري في فرنسا ،وبدأ مجلس الدولة الفرنسي بابتكار نظريات القانون الإداري و إرساء قواعدها ومن بينها نظرية العقود الإدارية .

وإذا كانت العقود الإدارية ذات طبيعة خاصة فرضت أن يكون لها نظام قانوني خاص ، فإنه من البدهي أن يجري تنفيذ هذه العقود بوجه معين يختلف عما جرى به العمل في تنفيذ العقود الخاصة .

كما أن للإدارة العديد من الصلاحيات التي منحها لها القانون ؛لأجل تتبع حسن سير المشاريع و المرافق الوصية عنها، بالإضافة إلى سلطة توقيع الجزاء على مخالفة أحد البنود المحددة في العقد من لدن المتعاقد معه .

والإدارة في إطار اختيار الشخص الأنسب، لأجل تحقيق أهدافها تسعى دائما للتعاقد مع الشخص المناسب لها،؛ لأجل بلوغ الغاية الأساسية و هي حسن سير المرفق العام وتحقيق المصلحة العامة ؛لذلك يستوجب على الإدارة احترام العديد من المقتضيات و المبادئ من بينها تكافئ الفرص ،و الشفافية ،و تحقيق المساواة بين كل المترشحين .

كما أن النظام لم يترك للإدارة الحرية الكاملة في اختيار المتعاقد معها، وإنما قيد هذه الحرية بقيود قانونية تسعى إلى تحقيق العدالة بين المتعاقدين، وتضمن أفضل الطرق لإبرام العقد الإداري ،ومن هذه

القيود والمبادئ مبدأ تحقيق المساواة بين المتنافسين، وذلك بغية الحصول على أفضل العروض للتعاقد وهذا يعني أن الإدارة ملزمة بأن تتيح الفرصة لكافة الراغبين ممن تنطبق عليهم الشروط للمناقصة بعروضهم دون تفريق بينهم .

وتحقيقًا لمبدأ المساواة بين المتنافسين في العقود الإدارية فقد نصت المادة الثالثة من نظام المنافسات و المشتريات الحكومية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/128) وتاريخ 13/11/1440هـ في الباب الأول لهذا النظام على ما يلي:-

" تتعامل الجهات الحكومية عند تنفيذ أعمالها وتأمين مشترياتها مع الأشخاص المرخص لهم بذلك، طبقًا للأنظمة والقواعد المتبعة. على الجهة الحكومية عند تعاملها مع أشخاص أجانب لتأمين مشتريات أو تنفيذ أعمال داخل المملكة التأكد من عدم توافر أكثر من شخص محلي مؤهل لتأمين المشتريات أو تنفيذ الأعمال المطلوبة، وتحدد اللائحة الشروط والضوابط اللازمة لتطبيق حكم هذه الفقرة. ".

كما نصت المادة الرابعة على ما يأتي:-

«يعطى جميع الأشخاص الراغبين في التعامل مع الجهة الحكومية، ممن تتوافر فيهم الشروط التي تؤهلهم لهذا التعامل؛ فرصًا متساوية ويعاملون على قدم المساواة.».

ونصت كذلك المادة السادسة على ما يأتي: -

«تخضع المنافسة العامة لمبادئ العلانية والشفافية وتكافؤ الفرص.».

والعقود الإدارية في المملكة العربية السعودية تخضع لقواعد ولوائح وإجراءات، بدءًا من عزم الجهة الإدارية على تأمين أعمالها، وانتهاء بتنفيذ العقد واستلام الأعمال، مرورًا بإجراءات المنافسة وإجراءات الترسية والتعاقد، وبالتالي أصبحت أغلب العقود الإدارية محكومة بنظام المنافسات والمشتريات الحكومية.

أهداف الدراسة:

سعيت من خلال هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية ومن بينها :-

- السعي وراء تبيان الحاجة الملحة لتحقيق مبدأ المساواة في العقود الإدارية .
- بيان أهمية المساواة في العقود الإدارية بتعزيز مبدأ الشفافية و تكافؤ الفرص .
- تحقيق النجاعة المرجوة والتي من خلالها يمكن الوصول إلى تحقيق المساواة بين جيع المتنافسين في العقود الإدارية .

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع السبب إلى اختيار موضوع المساواة في العقود الإدارية إلى مجموعة من العوامل منها:-

1. فموضوع المساواة في العقود الإدارية لم ينل حقه بشكل كبير في البحث و الدراسة سوى في بعض الأبحاث المعدودة على رؤوس الأصابع، وفي إشارات عابرة في مجموعة من الكتب والدراسات .
2. موضوع العقود الإدارية يتسم بالتعقيد، و الصعوبة خصوصًا؛ لتدخل الإدارة وصلاحياتها الواسعة وارتباط عنصر المساواة بهذه العقود ،بحيث يجعل الإدارة أمام رهان كبير وهو تحقيق المساواة بين كافة المتنافسين من جميع النواحي القانونية و الفنية و التنظيمية .
3. ندرة الأبحاث التي تتناول الموضوع بشكل مستقل، مما شجعني إلى الدخول في غمار هذه الدراسة ،لأجل إبراز دور المساواة في تحقيق الحوكمة الجيدة و حسن سير المرفق العام عن طريق اختيار المقاول الكفوء في هذا المجال .

مشكلة البحث:

تتعدد أساليب إبرام الدولة والمؤسسات العمومية لعقودها الإدارية؛ لأجل ضمان حسن سير المرافق العمومية و تطويرها و تجويد العمل فيها ومع التطورات الاقتصادية والاجتماعية ، التي تعرفها المملكة ،ولأجل تشجيع الشركات الوطنية فإن مبدأ المساواة بين المتنافسين في العقود الإدارية ترد عليه بعض الاستثناءات فيما يتعلق بإعطاء الأولوية للمؤسسات الوطنية على حساب الأجنبية ،ومن ثم يصعب تحقيق مبدأ المساواة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ،كما تثار مشكلة اختيار العرض الأنسب بين المتنافسين .

ومن جهة أخرى الى كيفية تحقيق النجاعة في مجال المنافسات و المشتريات عن طريق تحقيق مبدأ المساواة بين المتنافسين.

تساؤلات البحث

من بين أهم التساؤلات و التي يسعى الباحث من خلال هذا البحث للإجابة عنها هي : -

1. ما المقصود بمبدأ المساواة في العقود الإدارية ؟.
2. إلى أي حد يمكن القول بأن الإدارة تسعى لتحقيق المساواة في اختيار المترشحين ؟.
3. ما هي الآثار القانونية المترتبة على تحقيق مبدأ المساواة ؟.
4. ما دور القضاء في حالة عدم تحقيق مبدأ المساواة في العقود الإدارية ؟.

الدراسات السابقة:

بعد البحث و التقصي عن الأبحاث التي تتناول نفس الموضوع وجدت مجموعة من الأبحاث والتي تناولته بشكل هامشي أو في شكل مقتضب و لم توف حقه إلا بعض الأبحاث والتي أذكرها على سبيل المثال لا الحصر :-

كتاب " صيغ العقود في الفقه الإسلامي من إعداد الدكتور صالح بن عبد العزيز الخليفة لسنة 2006م. الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

كتاب " الموسوعة القانونية و الأمنية في حماية المال العام من اعداد الدكتور محمد علي قطب لسنة 2006م. الناشر: إيتراك للنشر والتوزيع

ففي البحثين أعلاه كان الأمر منصبًا على طرق اختيار الإدارة للمتعاقد معها مع تحديد نظرة الفقه و الأنظمة لذلك ، لكن دون التوسع في مبدأ المساواة .

بحث " المساواة بين المتنافسين في العقود الإدارية – دراسة مقارنة – بحث لنيل درجة الماجستير في قسم السياسية الشرعية – جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، للباحث أحمد بن عبد الله الناصر لسنة 2009م.

في هذا البحث قام الباحث بإعطاء نظرة شمولية حول مفهوم المساواة في العقود الإدارية ،لكن في المجال المتعلق بالمتنافسين أي في المرحلة التنافسية.

أما في هذا البحث المراد إعداده فسأتولى التعمق في مبدأ المساواة سواء في المرحلة (القبلية) لإبرام العقد الإداري ،و من ثم في المرحلة (البعدية) حتى بعد إبرام العقد.

منهج البحث:

سأسلك من خلال هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي مع مقارنة بعض المبادئ بالأنظمة الأخرى لمجوعة من الدول والخوض في الجزئيات التي يحتملها الموضوع .

خطة البحث:

- المقدمة

وتشمل على

- أهمية الموضوع
- أسباب اخيار الموضوع

- مشكلة البحث
- تساؤلات البحث
- الدراسات السابقة
- منهج البحث
- خطة البحث

- المبحث الأول : ماهية المساواة في العقود الإدارية السعودي.
- المطلب الأول : مفهوم مبدأ المساواة .
- المطلب الثاني : الاستثناءات الواردة على مبدأ المساواة.
- المبحث الثاني : تطبيقات المساواة في العقود الإدارية.
- المطلب الأول : مظاهر الحماية القانونية للمساواة من خلال طرق إبرام العقود الإدارية.
- المطلب الثاني : مظاهر المساواة من خلال حفظ حقوق الإدارة و المتعاقد.
- المبحث الأول : ماهية المساواة في العقود الإدارية.

لقد أثار مبدأ المساواة في العقود الإدارية الكثير من الجدل لدى فقهاء القانون على اعتبار أن هذا المبدأ يجد سنده في العقود الإدارية بوجود مجموعة من الأشخاص الذين يقدمون ملفاتهم القانونية و التقنية و المالية لأجل المشاركة في المناقصة و الحصول على الصفقة ،و في هذا الأمر تستوجب القاعدة العامة أن تكون هناك معاملة من طرف الإدارة غير تفضيلية ،بل بشكل ديموقراطي مبني على المساواة الشفافية و المصداقية في فتح الملفات و اختيار العرض الأحسن و الأقل تكلفة دون إقصاء لأحد الأطراف لمحاباة طرف آخر، ولتحقيق التوازن المنشود لا بد للإدارة أن تكون في علاقتها مع المرشحين مبنية على المساواة و الكفاءة ،لا مجال لاعتبارات أخرى خصوصا أن الأمر يتعلق بتحقيق منفعة عامة، وأن هذه العقود الإدارية يعتريها شروط وبنود غير مألوفة في العقود المدنية ،كما أن للإدارة سلطة الرقابة و توقيع الجزاء على المتعاقد معها، كل هذه الأمور تجعلنا نخوض في مفهوم مبدأ المساواة في العقود الإدارية في مطلب أول على أن أترك المطلب الثاني للحديث حول الاستثناءات التي تعتري مبدأ المساواة في العقود الإدارية .

المطلب الأول : مفهوم مبدأ المساواة:

المساواة في اللغة: من ساوى الشيء إذا عادله، وساويت بين الشيئين إذا عدلت بينهما. يقال: فلان وفلان سواء أي متساويان، وقوم سواء، وتساوت الأمور واستوت وساويت بينهما أي سويت، و استوى الشيآن وتساويا، تماثلا و تعادلا،واستوى القوم في المال إذا لم يفضل منهم أحد على غيره، وتساووا فيه، وهم فيه سواء(1).

(1) لسان العرب، لابن منظور، 6/442+ القاموس المحيط, للفيروز أبادي .، ص +169 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي ،ص121 .

أمـا فـي الاصطـلاح فالمسـاواة فـي صورتهـا المجـردة تعنـي عـدم التمييـز بيـن أفـراد المجتمـع بسـبب الأصل، أو اللغة، أو الجنس، أو الثروة، أو العقيدة (1).

فالمسـاواة سـمة مـن سـمات الإسـلام، وأصـل مـن أصولـه، فالإسـلام يقـرر أن النـاس سواسـية وفـي ظلـه تـذوب فـوارق الجنـس و اللـون و الحسـب و الجـاه والسـلطان، فـلا تفاضـل بينهـم، فـي إنسـانيتهم، وإنمـا التفاضـل بالرجـوع إلـى أسـس أخـرى، فـالله تعالـى خلـق البشـر بحسـب فطرتهـم متماثليـن، و كذلـك ولدتهـم أمهاتهـم أحرارًا متكافئين.

ومنـه قولـه تعالـى :يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَاكُـمْ مِـنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَـى وَجَعَلْنَاكُـمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُـوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(2) .

كمـا أكـد الرسـول صلـى الله عليـه و سـلم علـى مبـدأ المسـاواة وذلـك فـي حجـة الـوداع، فعـن جابـر بـن عبـدالله رضـي الله عنـه قـال: خطبنـا رسـول الله ﷺ فـي وسـط أيـام التشـريق خطبـة الـوداع فقـال: « يـا أيهـا النـاس ألا أن ربكـم واحـد، ألا إن أباكـم واحـد، ألا لا فضـل لعربـي علـى أعجمـي ولا لعجمـي علـى عربـي ولا أسـود علـى أحمـر ولا أحمـر علـى أسـود إلا بالتقـوى، أن أكرمكـم عنـد الله أتقاكـم، ألا هـل بلغـت » قالـوا: بلـى يـا رسـول الله. قال: « فليبلغ الشاهد الغائب » (3)

وفـي العقـود الإداريـة يعـد مبـدأ المسـاواة وتكافـؤ الفـرص مـن أهـم المبـادئ التـي تقـوم عليهـا المنافسـات والمشـتريات الحكوميـة ، فالجميـع يجـب أن يكونـوا سواسـية أمـام النظـام وتطبيقـه ،لأن هـدم هـذا المبـدأ يعتبـر خرقـا صريحـا للمسـاواة بيـن المتقدميـن لهـذه المنافسـة ،وهـذه الفـرص يجـب فيهـا تكافـؤ الفـرص وعـدم التمييـز بيـن المتعامليـن مـع الحكومـة ، كـم نصـت علـى ذلـك المـادة الرابعـة مـن نظـام المنافسـات والمشـتريات الحكومية علـى أنـه "يعطـى جميـع الأشـخاص الراغبيـن فـي التعامـل مـع الجهـات الحكوميـة ممـن تتوفـر فيهـم الشـروط التـي تؤهلهـم لهـذا التعامـل فرصـا متسـاوية ويعاملـون علـى قـدم المسـاواة" ولاشـك أن مبـدأ المسـاواة مـن المبادئ المهمة جدًا ومبدأ أساس في المنافسة يترتب على الإخلال به بطلان المنافسة(4).

ويعتبـر مبـدأ المسـاواة مـن أهـم المبـادئ التـي تعطـي الفرصـة لـكل مـن يريـد التقـدم إلـى المناقصـة بشـرط عـدم التمييـز بيـن الشـخص والآخـر ، ومفـاد هـذا الأمـر هـو عـدم إعطـاء الأولويـة لشـخص دون آخـر سـواء بالمحاباة ،أو بـأي علاقـة أخـرى خارجـة عـن المجـال المهنـي ، ومـن صـوره إضافـة شـروط أو حـذف أخـرى لتتناسـب مـع شخص ما دون الاخر.

---

(1) المعجم الوسيط, مؤلفون ، ص466 .

(2) سورة الحجرات، الآية (13).

(3) أخرجه أحمد في مسنده، (5/411)، رقم الحديث (23536)، والطبراني في المعجم الأوسط، (5/86)، رقم الحديث (4749)، وصححه الألباني في غاية المرام

(4) العقود الإدارية في ضوء نظام المنافسات والمشتريات الحكومية ،سالم المطوع، ص 58

ومبدأ المساواة كلفظ عام يجد سنده في المبادئ الدستورية والتي أكدت عليه معظم الدساتير في العالم ، والنظم الإدارية كذلك تستوجب احترام هذا المبدأ في علاقة الإدارة مع الافراد و المشركات ، كالمساواة بين الأفراد في التوظيف و كذلك المساواة أمام المرفق العام ، وفي مجال الصفقات العمومية أو نظام المنافسات يؤكد على أن المناقصة تكون مفتوحة لكل الراغبين في التقدم إليها شريطة المساواة بين هؤلاء المتنافسين عن طريق المعاملة بالمثل سواء من الناحية الواقعية أو من الناحية القانونية ، إذ يمكن لكل شخص تتوفر فيه الشروط القانونية أن يتقدم بملفه لأجل هذه المناقصة ،ومن جهة الإدارة يمنع عليها أن تعفي بعضهم من الشروط المتطلبة في الصفقة دون البعض الآخر، كما يمنع عليها كذلك أن تضيف أو تعدل الشروط ليخدم مصالح بعض المتنافسين دون الاخر .

ونظرًا للأهمية الكبيرة لمبدأ المساواة في العقود الإدارية فقد نص المنظم السعودي من خلال المادة الثانية من نظام المنافسات و المشتريات الحكومة على ضرورة تعزيز النزاهة و المنافسة و تحقيق المساواة و توفير معاملة عادلة للمتنافسين لأجل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص(1).

أما المشرع المصري من خلال المادة الثانية من قانون المناقصات و المزايدات أكد هو الآخر على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين المرشحين(2).

أما على المستوى القضائي فقد أقر مجلس الدولة الفرنسي مبدأ المساواة في العديد من القرارات وذلك بالتأكيد على هذا المبدأ لتحقيق المصلحة العامة و حوكمة الإدارة إضافة إلى توسع قاعدة المنافسة لضمان وجود تنافس حقيقي مما سينعكس إيجابا على مصالح الإدارة سواء المالية أو الإدارية(3).

ويقوم مبدأ المساواة بين المتنافسين على ضرورة أن يتقدم المنافسون بملفاتهم و يكون التعامل معهم على قدر المساواة وليس للإدارة الحق في التمييز بين المشتركين فلا تحمل طرفا شروطا دون الآخر ،ولا يمكن لها استبعاد أحد الأطراف بقرارات فردية أو عامة فإن ذلك سيؤدي لا محاله إلى الإخلال بهذا المبدأ ، كما أن الإدارة تقوم بالرقابة و التأكد من صحة الشروط بالإضافة إلى التأكد من توفر عناصر الشفافية و المصداقة لدى كافة المتقدمين تحقيقا للحوكة(4).

(1) صدر نظام المنافسات و المشتريات الحكومية بتاريخ 13/11/1440 هـ الموافق : 16/07/2019 مـ بمقتضى المرسوم الملكي رقم (م/128) وتاريخ 13/11/1440هـ وقرار مجلس الوزراء رقم (649) وتاريخ 13/11/1440هـ

حيث يهدف النظام إلى الآتي:

أ-.تنظيم الإجراءات ذات الصلة بالأعمال والمشتريات, ومنع استغلال النفوذ وتأثير المصالح الشخصية فيها؛ وذلك حمايـة للمال العام.

ب.تحقيق أفضل قيمة للمال العام عند التعاقد على الأعمال والمشتريات وتنفيذها بأسعار تنافسية عادلة.

ج.تعزيز النزاهة والمنافسة, وتحقيق المساواة، وتوفير معاملة عادلة للمتنافسين؛ تحقيقًا لمبدأ تكافؤ الفرص.

د.ضمان الشفافية في جميع إجراءات الأعمال والمشتريات.

هـ.تعزيز التنمية الاقتصادية.

(2) المادة الثانية من قانون المناقصات والمزايدات رقم 89 لسنة 1998

(3) النظام القانون لإبرام العقود الإدارية – دراسة مقارنة و تطبيقية في الأردن – نواف الكنعان ،مجلة دراسات ، ص 435 .

(4) الوجيز في القانون الإداري ، مازن ليلو راضي، ص 283 .

ومبدأ المساواة كلفظ عام يجد سنده في المبادئ الدستورية والتي أكدت عليه معظم الدساتير في العالم ، والنظم الإدارية كذلك تستوجب احترام هذا المبدأ في علاقة الإدارة مع الافراد و المشركات ، كالمساواة بين الأفراد في التوظيف و كذلك المساواة أمام المرفق العام ، وفي مجال الصفقات العمومية أو نظام المنافسات يؤكد على أن المناقصة تكون مفتوحة لكل الراغبين في التقدم إليها شريطة المساواة بين هؤلاء المتنافسين عن طريق المعاملة بالمثل سواء من الناحية الواقعية أو من الناحية القانونية ، إذ يمكن لكل شخص تتوفر فيه الشروط القانونية أن يتقدم بملفه لأجل هذه المناقصة ،ومن جهة الإدارة يمنع عليها أن تعفي بعضهم من الشروط المتطلبة في الصفقة دون البعض الآخر، كما يمنع عليها كذلك أن تضيف أو تعدل الشروط ليخدم مصالح بعض المتنافسين دون الاخر .

ونظرًا للأهمية الكبيرة لمبدأ المساواة في العقود الإدارية فقد نص المنظم السعودي من خلال المادة الثانية من نظام المنافسات و المشتريات الحكومة على ضرورة تعزيز النزاهة و المنافسة و تحقيق المساواة و توفير معاملة عادلة للمتنافسين لأجل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص(1).

أما المشرع المصري من خلال المادة الثانية من قانون المناقصات و المزايدات أكد هو الآخر على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين المرشحين(2).

أما على المستوى القضائي فقد أقر مجلس الدولة الفرنسي مبدأ المساواة في العديد من القرارات وذلك بالتأكيد على هذا المبدأ لتحقيق المصلحة العامة و حوكمة الإدارة إضافة إلى توسع قاعدة المنافسة لضمان وجود تنافس حقيقي مما سينعكس إيجابا على مصالح الإدارة سواء المالية أو الإدارية(3).

ويقوم مبدأ المساواة بين المتنافسين على ضرورة أن يتقدم المنافسون بملفاتهم و يكون التعامل معهم على قدر المساواة وليس للإدارة الحق في التمييز بين المشتركين فلا تحمل طرفا شروطا دون الآخر ،ولا يمكن لها استبعاد أحد الأطراف بقرارات فردية أو عامة فإن ذلك سيؤدي لا محاله إلى الإخلال بهذا المبدأ ، كما أن الإدارة تقوم بالرقابة و التأكد من صحة الشروط بالإضافة إلى التأكد من توفر عناصر الشفافية و المصداقة لدى كافة المتقدمين تحقيقا للحوكة(4).

(1) صدر نظام المنافسات و المشتريات الحكومية بتاريخ 13/11/1440 هـ الموافق : 16/07/2019 مـ بمقتضى المرسوم الملكي رقم (م/128) وتاريخ 13/11/1440هـ وقرار مجلس الوزراء رقم (649) وتاريخ 13/11/1440هـ.

حيث يهدف النظام إلى الآتي:

أ-.تنظيم الإجراءات ذات الصلة بالأعمال والمشتريات, ومنع استغلال النفوذ وتأثير المصالح الشخصية فيها؛ وذلك حمايـة للمال العام.

ب.تحقيق أفضل قيمة للمال العام عند التعاقد على الأعمال والمشتريات وتنفيذها بأسعار تنافسية عادلة.

ج.تعزيز النزاهة والمنافسة, وتحقيق المساواة، وتوفير معاملة عادلة للمتنافسين؛ تحقيقًا لمبدأ تكافؤ الفرص.

د.ضمان الشفافية في جميع إجراءات الأعمال والمشتريات.

هـ.تعزيز التنمية الاقتصادية.

(2) المادة الثانية من قانون المناقصات والمزايدات رقم 89 لسنة 1998

(3) النظام القانون لإبرام العقود الإدارية – دراسة مقارنة و تطبيقية في الأردن – نواف الكنعان ،مجلة دراسات ، ص 435 .

(4) الوجيز في القانون الإداري ، مازن ليلو راضي، ص 283 .

كما يستفاد منه أيضا ضرورة احترام شروط و مواعيد المنافسة أو الممارسة بالنسبة لكافة المتنافسين دون تفرقة ، فلا يقبل أي شخص أي كان إذا لم تتوفر فيه هذه الشروط ، أو تقدم بعد الميعاد أو تقدم في الميعاد لكنه لم يستوف الإجراءات الضرورية للاشتراك في المنافسة كأن يتخلف مثلا عن دفع التأمين كاملا ، كما لا يجوز للإدارة كقاعدة عامة أن تتفاوض مع أحد المتنافسين في شأن تعديل عطائه في خارج الاستثناءات التي يقررها المنظم على هذه القاعدة العامة.

بناء على ما تقدم فأي استثناء يرد على قاعدة عامة من القواعد التي يتضمنها النظام القانوني للمنافسات يجب ألا ترتبط أعمالها إلا بمقتضيات متساوية بين جميع المتقدمين الذين يوجدون في مركز قانوني واحد(1).

فمبدأ المساواة بين المتنافسين من المبادئ الأساسية التي تحكم المنافسات العامة ،و لتحقيقه يجب على الإدارة أن تعامل جميع المشتركين على قدم المساواة ومن جميع النواحي سواء المالية أو الفنية أو الإجرائية، فإذا ترتب عن التعامل مع الإدارة تحمل مجموعة من الالتزامات فيجب أن يتحمل جميع المتقدمين للمنافسة كافة الالتزامات ،ولا يجب تفضيل أحد عن الآخر، حتى وأن تعلق الأمر بدفع رسوم مقابل الحصول على كراسة أو دفتر الشروط العامة فهذه الرسوم يجب أن تفرض على الكل، ولايجب أن يُستثنى أحد منها، فالحقوق ينتفع منها الجميع و الالتزامات يجب أن يتحملها الجميع(2).

المطلب الثاني : الاستثناءات الواردة على مبدأ المساواة:

تعتبر الأموال العامة محل رعاية واهتمام في جميع الأنظمة والقوانين، وذلك للغايات السامية التي تعود من جراء المحافظة عليها، إذ تعد الوسيلة المادية التي تستعين بها الدول في ممارسة نشاطاتها والارتقاء بمرافقها العامة لتحقيق المنفعة العامة لجميع أفرادها على قدم المساواة، إما بصورة مباشرة، أو عن طريق المرافق العامة.

ومبدأ المساواة هو من الأهمية بمكان في مجال نظام المنافسات و المشتريات ،إلا أنه ليس بمبدأ مطلق وإنما ترد عليه مجموعة من الاستثناءات ،وذلك يدخل في طبيعة المناقصة فعلى سبيل المثال فالمناقصة المحدودة تكون فيها المنافسة فقط بين الأشخاص المخول لهم المنافسة دون غيرهم، كما أن المنظم كذلك يعطي الأولوية لشركات القطاع العام عند التقدم للمناقصة كما أن للإدارة السلطة التقديرية في ذلك ،ومن جهة أخرى فإن القضاء يقوم بدور الرقابة على أعمال الإدارة(3) .

ومن جهة أخرى فإن العقود الإدارية تسعى دائما إلى تحقيق المصلحة العامة فنرى أنه من واجب الإدارة أن تتأكد من توفر بعض الأمور الفنية والتقنية لدى المرشحين فيمكن لها استبعاد بعض المرشحين بناء على

(1) المحكمة الإدارية العليا بمصر , طعن رقم 288 لسنة 4ق في 09/05/2011 بند 109.

(2) تطبيقات النظرية العامة للعقد الإداري: الصفقات العمومية في الجزائر , عليوات ياقوتة ، ص 103.

(3) أثر النظام القانوني لإبرام العقود الإدارية في حماية المال العام، دراسة مقارنة حسن محمد علي حسن، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، ص 71

سلطتها التقديرية في الأمر، لكن شريطة أن تكون هذه الشروط تستهدف إلى حسن تسيير المرفق العمومي ولا تكون مشوبة بعيب التعسف في استعمال السلطة.

فحق التقدم إلى المناقصة مكفول للجميع كقاعدة عامة إلا أنه يرد عليه استثناء متعلق بموجبات الحفاظ على مصالح المرفق العام من الناحية الفنية ،و كذلك لاعتبارات أخرى تتعلق بكفاءة المرشح وسمعته وقدرته المالية ،و وضعيته القانونية ، كما يمكن للإدارة رفض الملفات المقدمة من شركات أجنبية إن أحست أن هذه الشركات تسعى إلى بسط نفوذها في المملكة أو لظروف اقتصادية .

فتقديم المورد الوطني على المورد الأجنبي إذا كانا متعادلين في الكفاءة لاشك أن ذلك يعد ضمانا لحقوق الأفراد، وهذا ما سار عليه المنظم السعودي، حيث نصت المادة الثالثة من نظام المنافسات والمشتريات الحكومية على ما يأتي:-

1. تتعامل الجهات الحكومية عند تنفيذ أعمالها وتأمين مشترياتها مع الأشخاص المرخص لهم بذلك، طبقًا للأنظمة والقواعد المتبعة.
2. على الجهة الحكومية عند تعاملها مع أشخاص أجانب لتأمين مشتريات أو تنفيذ أعمال داخل المملكة التأكد من عدم توافر أكثر من شخص محلي مؤهل لتأمين المشتريات أو تنفيذ الأعمال المطلوبة. وتحدد اللائحة الشروط والضوابط الازمة لتحقيق حكم هذه الفقرة "

وما ذكرته المادة المادة الثلاثون:

"للجهة الحكومية التعاقد بأسلوب المنافسة المحدودة في الحالات الآتية:-

1. إذا كانت الأعمال والمشتريات لا تتوافر إلا لدى عدد محدود من المقاولين أو الموردين أو المتعهدين.
2. إذا كانت الأعمال والمشتريات لا تزيد قيمتها التقديرية على (خمسمائة ألف) ريال، وذلك بدعوة أكبر عدد ممكن من المتنافسين على ألا يقل عددهم عن خمسة. وفي هذه الحالة تكون الأولوية في توجيه الدعوة للتفاوض وتقديم العرض للمنشآت الصغيرة والمتوسطة المحلية.
3. الحالات العاجلة.
4. إذا كانت الأعمال والمشتريات متوافرة لدى مؤسسات أو جمعيات أهلية أو كيانات غير هادفه إلى الربح، بشرط أن تتولى بنفسها القيام بما تم التعاقد عليه.

-5 الخدمات الاستشارية.

وتحدد اللائحة ما يلزم من ضوابط وإجراءات لتنفيذ هذه المادة".

و ماذكرته ونصت عليه المادة الثانية والثلاثون:

" للجهة الحكومية التعاقد بأسلوب الشراء المباشر في الحالات الآتية:

1. تأمين مشتريات الأسلحة والمعدات العسكرية وقطع غيارها، وذلك من خلال الهيئة العامة للصناعات العسكرية.
2. إذا كانت الأعمال والمشتريات متوافرة حصريًّا لدى متعهد أو مقاول أو مورد واحد، ولم يكن لها بديل مقبول، على أن يكون التعاقد وفق ما تحدده اللائحة.
3. إذا كانت التكلفة التقديرية للأعمال والمشتريات لا تتجاوز مبلغ (مائة ألف) ريال. وفي هذه الحالة تكون الأولوية في توجيه الدعوة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة المحلية.
4. إذا كان استخدام هذا الأسلوب ضروريًّا لحماية مصالح الأمن الوطني ولا يمكن معه استخدام المنافسة العامة أو المحدودة. ويجب في هذه الحالة أن تقوم الجهة الحكومية -بعد إبرام العقد- بإعداد تقرير يتضمن الأسباب التي دعتها لاستخدام هذا الأسلوب وتزويد ديوان المراقبة العامة بنسخة منه.
5. إذا كانت الأعمال والمشتريات متوافرة لدى مؤسسة أو جمعية أهلية واحدة أو كيان واحد من الكيانات غير الهادفة إلى الربح، بشرط أن تتولى بنفسها القيام بما تم التعاقد عليه.
6. الحالات الطارئة. دون إخلال باختصاص الهيئة العامة للصناعات العسكرية بما ورد في الفقرة (1) من هذه المادة؛ تحدد اللائحة ما يلزم من ضوابط وإجراءات لتنفيذ ما ورد في هذه المادة".

ومن تطبيقات الاستثناءات الواردة على مبدأ المساواة :-

أ. المنافسة المحدودة : تطرح الأعمال التي لا تتوافر إلا لدى عدد محدود في منافسة محدودة ،أي إنها لا تتوافر إلا لدى عدد محصور من الموردين ولا تتوافر في السوق بشكل يتيح تأمينها عن طريق المنافسة العامة ، ففي هذا الأمر يكون باب المنافسة مفتوحًا فقط أمام بعض الشركات دون الأخرى نظرًا لما يكون لها من إمكانيات مالية ، ووسائل تقنية تمكّنها من مهمة تسيير المرفق العمومي ،أو توفير طلبيات تتوافق مع متطلبات الإدارة وهذه الشروط لا تتوفر في مقاولات أخرى (1)، فكما هو معلوم أن بعض الشركات لها عقود حصرية في توريد سلع و علامات تجارية محددة بعينها و التي يمكن أن تكون للإدارة الحاجة لها ؛لذلك تفتح المناقصة في وجه الشركات التي يمكن أن توفر حاجيات الإدارة المحددة سلفا.

ب- المنافسة المحلية : لأنه يتعلق بمصالح الأمن الوطني ،وهذا النوع من المناقصات يتعلق بإعطاء الأولوية للشركات المحلية دون الأخرى رغبة من الإدارة ؛لأجل تشجيعها و ضمانًا لاستمراريتها خصوصا في الأماكن التي تقل فيها الشركات التي يمكن أن تدخل إلى المناقصة ؛وكذلك لتفادي اكتساح الشركات الكبرى التي تملك من الوسائل الفنية و التقنية ما يخولها أن تحتكر المناقصات مما سيعني تضرر الشركات التي تسعى أن تكون مواطنة عبر خدمة المصلحة العامة والاستفادة من المناقصات ؛لأجل استمراريتها في العطاء والإنتاج.

(1) الوجيز في القانون الإداري, مازن ليلو راضي ، ص 284 .

ج ـ منع بعضهم لسبب معين .حيث يتم منع التعامل مع بعض الشركات والمؤسسات من التعاقد معهم وذلك لسبب معين ؛إما لإخلالهم بالتزامات تعاقدية سابقة مع هذه الإدارة ،أو مع إدارة سابقة ، وهذا الإخلال جسيم جدًا إما بغش ، أو تلاعب، أو تزوير ، أو تقديم رشوة ،أو غير ذلك من الأمور التي تستوجب عدم التعامل معها مستقبلا .

د ـ الأعمال والمشتريات العاجلة :ويقصد بها أنها كل حالة يكون فيها تنفيذ الأعمال أو تأمين المشتريات في وقت قصير أمرا جوهريا وضروريا لضمان سلامة وكفاءة سير العمل في الجهة الحكومية[1]. فعدم تأمين تلك المشتريات بشكل عاجل وفي وقت قصير سيترتب عليه ضرر يلحق بتلك المنشأة والمرفق العام ، ولذا استثني من المنافسة العامة .

هـ ما قد ينص عليه القانون في بعض التشريعات المقارنة سواء لأسباب اقتصادية أو اجتماعية : في العديد من الأحيان نجد في بعض التشريعات نصوص قانونية تتعلق بإحداث استثناءات سواء لعوامل اقتصادية أو اجتماعية أو عوامل أخرى مثلًا في العراق فقد نص المشرع في المادة 23 من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم 1 لسنة 2008م على أنه يمكن و يجوز تكليف شركات وزارة الصناعة و المعادن لتصنيع المعدات و المواد الداخلة في أعمال التشغيل و الإنتاج للوزارات الأخرى في حالة توفر الإمكانات لديها استثناء من أحكام هذه التعليمات[2].

أما بالنسبة للمشرع المصري فقد نصت المادة 16 من قانون المناقصات و المزايدات رقم 89 لسنة 1998م على أنه يعتبر العطاء المقدم على توريدات من الإنتاج المحلي أو عن أعمال أخرى ،أو خدمات تقوم بها جهات مصرية أقل سعرا إذا لم تتجاوز الزيادة فيها 15 % من قيمة العطاء الأجنبي، وهذا تطبيق آخر للاستثناء الوارد على مبدأ المساوات في العقود الإدارية .

المبحث الثاني : تطبيقات المساواة في العقود الإدارية:

كما هو معروف فإن مبدأ المساواة في العقود الإدارية هو من المبادئ الأساسية؛ لإشاعة الثقة بين المؤسسات ،و بينها وبين الأشخاص المتعاقدين معها في إطار قانوني و مكفول دستوريًا ،وعليه يقع على عاتق الإدارة التكفل بحماية مبدأ المساواة من كل ما قد يشوبه من شوائب حفاظا على الحقوق و ابتغاء تحقيق الحوكمة ، ومن خلاله يمكن أن نستنتج مجموعة من المظاهر المتعلقة بالحماية القانونية للمساواة من خلال طرق إبرام العقود الإدارية (مطلب أول) ،و الانتقال في المطلب الثاني إلى تحديد مظاهر المساواة من خلال حفظ حقوق الإدارة و المتعاقد معها.

---

(1) المادة الأولى من نظام المنافسات والمشتريات الحكومية .

(2) أثر النظام القانوني لإبرام العقود الإدارية في حماية المال العام (دراسة مقارنة) حسن البنان وأبوبكر النعيمي ، مقال منشور بمجلة كلية القانون للعلوم القانونية و السياسية , ص 102

المطلب الأول : مظاهر الحماية القانونية للمساواة من خلال طرق إبرام العقود الإدارية:

تعتبر المملكة العربية السعودية من بين الدول الرائدة في مجال التنظيمات وذلك لمواكبة التطورات و التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية وفي مجال العقود الإدارية ،أيضًا نجد أن المملكة أدخلت العديد من التعديلات عبر العديد من النصوص و إضافة أخرى جديدة ، وأيضا ما ينص عليه النظام الأساسي للحكم في المملكة من ضمان حرية المبادرة الخاصة والتنافس الحر .

ففي القانون الخاص يتمتع كل من يرغب في إبرام العقد الحرية التامة في اختيار المتعاقد معه دون التقيد بالإجراءات الشكلية إلا ما تم استثناءه بنص صريح ،أما في مجال العقود الإدارية فيختلف الأمر ؛ لأنها تخضع في إبرامها إلى العديد من القواعد و الإجراءات التي نظمها القانون بشكل صريح و صارم ،والتي تحد من حرية الإدارة في مجال إبرام عقودها.

وهكذا فإن أساليب إبرام العقود الإدارية تتعدد و تتنوع في المجال الإداري، حيث يمكن أن تتم بأسلوب المنافسة العامة ، حيث إن هذا الأخير يعد هو الأساس في إبرام العقود الإدارية وهناك أساليب أخرى (1).

وتقوم الجهة الحكومية بالإعلان عن المنافسة العامة وفقا لمجموعة من الإجراءات المدنية، والتي تتوخى أساسا تحقيق مبدأ المساواة سواء من حيث الشروط ،أو من حيث الأشخاص الراغبين في التقدم للمنافسة وهذه الشروط يمكن اجمالها في ما يأتي:

أ. أن يكون الإعلان عن جميع المنافسات العامة في البوابة و أن يستمر الإعلان حتى الموعد النهائي لتقديم العروض ويمكن للجهة الحكومية أيضا أن تعلن في موقعها الالكتروني، أو الجريدة الرسمية أو أي وسيلة أخرى تراها الإدارة مناسبة.

وهذا الأمر يعد من بين أهم وسائل تحقيق المساواة عن طريق الإعلان في البوابة العامة و إضافة المواقع الحكومية الأخرى المعنية بالأمر ؛لأنها لا تتحقق المنافسة إلا بالإعلان ؛ولأجل أن يصل الإعلان إلى أكبر عدد من المهتمين ولأجل تقديم عروضهم لتحقيق الشفافية ، لذا كان الإعلان فيها ضرورة ملحة للحصول على أكبر عدد من المتعاملين .

(1) تنص اللائحة التنفيذية لنظام المنافسات و المشتريات الحكومية في مادتها 32 على : للجهة الحكومية تنفيذ اعمالها و مشترياتها – وفقا لأحكام النظام وهذه اللائحة بإحدى الأساليب الاتية :

- المنافسة العامة
- المنافسة المحدودة
- المنافسة على مرحلتين
- الشراء المباشر
- الاتفاقية الاطار
- المزايدة العكسية الالكترونية
- توطين الصناعة ونقل المعرفة
- المسابقة

ب- كما أنه يُعلن خارج المملكة للأعمال و المشتريات التي تتم في الخارج و تلك التي لا يتوفر لها أكثر من متعهد أو مقاول واحد داخل المملكة ، وذلك بالإضافة إلى الإعلان عنها في الداخل وفق ما ذكر في الفقرة أعلاه ،كما أن الإعلان يكون باللغة العربية و الإنجليزية أو أي لغة أخرى تراها الحكومة مناسبة.

ومن هذا المنطلق نجد أن المملكة أيضًا منفتحة على الشركات الخارجية أيضًا ،وتعطيها من الضمانات ما تجعل المنافسة حرة و شريفة بين جميع الأجانب الراغبين في التعاقد و تلبية حاجاتها دون تفضيل ،و المساواة بينهم على مستوى الشروط و العناصر الضرورية التي يجب أن تتوفر فيهم ، بل إن الإعلان يكون بالعربية و الإنجليزية وهذه نقطة أخرى تعبر عن الانفتاح على الخارج ،و أيضًا لأجل إيصال الإعلان إلى أكبر عدد من الراغبين و المتعهدين للتعاقد(1).

ج- كما أن المنظم السعودي وتحقيقًا لمبدأ المساواة في العقود الإدارية فرض مجموعة من المعطيات التي يجب أن يتضمنها إعلان المنافسة العامة كحد أدنى وهي :-

- اسم الجهة المعلنة.
- رقم المنافسة ووصفها وغرضها .
- مجال التصنيف إن وجد.
- قيمة وثائق المنافسة ومكان بيعها .
- آخر أجل لاستقبال العروض وتاريخ فتح العروض .

من خلال هذه المعطيات يتبين أن المنظم قد ذكر هذه الشروط على سبيل المثال و ليس الحصر لكنه حددها في الحد الأدنى أن يجب أن تتوفر هذه الشروط كحد أدنى؛ لأجل المنافسة و يمكن إضافة شروط أخرى على حسب الغرض و الخدمة التي تحتاجها الإدارة ،وهذه من مزايا وحسنات هذه المادة ،حيث إنها لم تحصر الشروط بشكل حصري، بل جعلت للإدارة الصلاحية في إضافة شروط أخرى خصوصا ما يعرفه مجال المشتريات و المنافسة من تطور مستمر يكون معه حصر الشروط صعبا.

د- ومن بين الضمانات الأخرى المرتبطة بتحقيق المساواة نجد عنصر الزمن ،حيث إن المنظم نص في المادة 34 كذلك على مجموعة من الأزمنة التي يجب احترامها مثل ما يأتي:-

ألا تقل المدة من تاريخ نشر الإعلان في البوابة، و حتى الموعد النهائي لتقديم العروض عن:-

---

(1) تنص اللائحة التنفيذية لنظام المنافسات و المشتريات الحكومية في مادتها 33 وفي فقرتها الثالثة على :

– يكون الاعلان خارج المملكة في المواقع الالكترونية الاعلانية في البلد المراد تنفيذ الأعمال والمشتريات فيه، وفي الموقع الالكتروني لسفارة المملكة إن وجد. ويجوز للجهة الحكومية أن تضيف على تلك الوسائل أي وسيلة أخرى تراها مناسبة؛ على أن يكون الاعلان باللغتين العربية والإنجليزية ولغة البلد المعلن فيه وأي لغة أخرى ترى الجهة الحكومية مناسبتها

- 15 يومًا : للأعمال و المشتريات التي تبلغ كلفتها التقديرية أقل من 5 ملايين ريال .

- 30 يومًا : للأعمال و المشتريات التي تبلغ كلفتها التقديرية أكثر من 5 ملايين ريال .

- 60 يومًا : للأعمال و المشتريات التي تبلغ كلفتها التقديرية أكثر من 100 مليون ريال.

ومن جهة أخرى يجوز للجهة الحكومية و بعد أخذ موافقة الوزير المختص تقليص هذه المدة في الحالات التي تعتبر فيها طبيعة الأعمال و المشتريات لا تتطلب استيفاء كامل هذه المدد(1).

ومن خلال استقراء ما سبق يتبين أيضا أن المنظم أعطى للإدارة الصلاحية حتى في مجال الزمن من خلال إمكانية التقليص وجعل هذه النصوص تتميز بالمرونة.

ومن جهة أخرى يمكن كذلك للجهة الحكومية التعاقد وفق أسلوب المنافسة المحدودة التي يقصد بها :قصر المنافسة على عدد محدود من المتعاملين مع الحكومة .

ويكون التواصل معهم عن طريق دعوتهم خصيصًا لتقديم عروضهم ،أو بنشر الإعلان في البوابة الإلكترونية ، وحدد المنظم السعودي طبيعة الأعمال التي تكون عن طريق المنافسة المحدودة، وتكون في مجموعة من الحالات خصوصا حينما تكون الأعمال و المشتريات لا تتوفر إلا لدى عدد محدود من المقاولين أو الموردين أو المتعهدين .

وفي هذه الحالة يجب على الإدارة القيام بنشر الإعلان في البوابة و الموقع الإلكتروني للجهة بغرض التأكد من عدم توفر مقاولين أو موردين آخرين في مجال الأعمال و المشتريات المطلوبة، وهذا من أهم مظاهر المساواة في الطريقة التي تقوم بها الإدارة بنشر الإعلان لأجل التأكد النهائي من أمر المقاولين.

وكذلك في الحالة التي تكون فيها المشتريات لا تزيد قيمتها التقديرية عن خمس مئة ألف ريالا ،وذلك بدعوة أكبر عدد ممكن من المنافسين على ألا يقل عددهم عن خمسة ،والأكثر من هذا أن الإدارة تعطي الأولوية في توجيه الدعوة للتفاوض و تقديم العروض للمنشآت الصغيرة و المتوسطة المحلية ، وهذا يعتبر من أسمى بوادر المساواة في العقود الإدارية و هي إعطاء الفرصة للمقاولات المحلية و الصغرى و المتوسطة ؛لأجل تشجيعها و عدم الاقتصار فقط على الشركات الكبيرة و التي تتوفر على رؤوس الأموال الضخمة و المعدات و التجهيزات الكبيرة و التي يمكن أن تقصي نظيراتها الصغرى و المتوسطة فلتحقيق المساواة ارتأى المنظم السعودي تقديم الدعم و الأولوية لهذه الفئات في الأعمال و المشتريات التي لا تزيد قيمتها عن خمس مئة الف ريال.

(1) اللائحة التنفيذية لنظام المنافسات و المشتريات الحكومية في مادتها 34

المطلب الثاني : مظاهر المساواة من خلال حفظ حقوق الإدارة و المتعاقدين:

تعتمد المناقصة بمختلف أشكالها كقاعدة عامه على ثلاثة مبادئ رئيسة: -

- المساواة بين المتنافسين.
- العلانية .
- حرية المنافسة.

واحترام هذه المبادئ هو أمر غير متروك للسلطة التقديرية للإدارة، بل مفروض عليها اتباعه، بحيث إن أي إغفال للإدارة لأي من هذه المبادئ يحق لكل متضرر الطعن بالإلغاء أمام القضاء الإداري على قرار الإدارة الذي تجاهلت فيه المبادئ العامة للمناقصة، باعتباره قرارًا مخالفًا للنظام أو القانون، حيث يترتب على تجاهل تلك المبادئ اعتداء على حقوق الأفراد الذين تنطبق عليهم الشروط، فقيام الإدارة بوضع وسائل قانونية تميز بها بين المتقدمين للمناقصة، أو منح امتيازات أو وضع عقبات أمام بعض المتقدمين للمناقصة فيه اعتداء من قبل الإدارة على حقوق الأفراد المتقدمين للمناقصة (1).

فمبدأ المساواة لا يمكن تطبيقه فقط على المتعاقدين مع الإدارة ،بل حتى مع الإدارة نفسها ويتضح ذلك من خلال بعض الحقوق و الواجبات التي تقع على عاتق الإدارة نفسها ، حيث سعى المنظم من خلال العقود الإدارية المتعلقة بتدبير شؤون المرافق العامة و تحقيق المصلحة العامة محاطة بكل شروط الشفافية و النزاهة الكفيلة بحماية المنافسة و حقوق المتعاقدين.

فالإدارة لها الحق في التأكد من الوثائق و المستندات و الوقوف على عين المكان لأجل التأكد من حسن سير الأشغال، كما يمكن كذلك للمقاولة حضور الاجتماعات و الاشغال العامة التي تقوم بها الإدارة و التي تكون لها علاقة مباشرة مع موضوع الصفقة وهذا من شأنه تجويد أداء المرفق العمومي وحفظ حقوق المرتفقين و المتعاقدين مع الإدارة(2).

ومن جهة أخرى فيجب على المتعاقد مع الإدارة الحصول على مختلف التراخيص المطلوبة قانوناً (3)، وسعيا وراء ضمان المساواة و الشفافية المالية يفرض القانون على المتعاقد مع الإدارة نشر المعلومات المالية ليس فقط أمام الإدارة ،بل حتى أمام المرتفقين عبر وضع إعلان كبير واضح الرؤيا في عين المكان يحدد فيه العديد من المعطيات المتعلقة بالصفقة و كافة عناصرها و المسائل المالية كذلك ،و هذا من أسمى مظاهر المساواة في العقود الإدارية ،بحيث يمكن هذا الأمر كافة الأشخاص الآخرين من التأكد بصفة نهائية من المبالغ المالية و من عقد الصفقة التي فاز بها هذا المقاول(4).

---

(1) المناقضة العامة كطريقة للتعاقد الإداري، هيبة سردوك ، ص127.

(2) الحماية القانونية للمنافسة و الشفافية في عقود التدبير المفوض ،مصطفى علوش ،منشور بالمجلة المغربية للإدارة المحلية و التنمية ص 362.

(3) طرق تدبير المرافق العامة بالمغرب , منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية و التنمية , سلسلة مؤلفات وأعمال جامعية , محمد الأعرج : ص 55.

(4) الدور التنظيمي للإدارة في المجال الاقتصادي , دراسة مقارنة, وليد الشناوي ، ص 215.

ومن جانب آخر فالمتعاقد مع الإدارة له مجموعة من الحقوق خصوصًا حينما يتعلق الأمر بالتغييرات الاقتصادية و المالية بعد التعاقد سواء نتيجة لعمل إداري أو سيادي أو بفعل ظروف طبيعية أو غير طبيعية وهنا يمكن للمتعاقد مع الإدارة أن يطلب منها إعادة التوازن العقدي ؛لأجل أن يتمكن من الاستمرار في تنفيذ التزاماته عن طريق تعديل بعض الشروط المالية و مد يد العون له ،ومن هذا الإطار يمكن للإدارة الاستجابة لمطالب المتعاقد معها ليس لتحقيق المصلحة الخاصة ،وإنما لتحقيق قواعد العدالة و التي تقرر أن الغنم بالغرم ،ثم حفاظا على المصالح العامة التي سوف تتضرر نتيجة لتوقف المتعاقد عن العمل أو عدم انتظامه أو تأخيره في التنفيذ وذلك نتيجة لما أصاب المتعاقد من أضرار مادية و مالية وهذه الأمور لا تمسح عنصر المساواة نهائيا، لأنها تكون لاحقة أي بعد التعاقد و لا دخل للمتعاقد فيها ولتنظيم حقوق المتعاقد مع الإدارة في طلب إعادة التوازن المالي للعقد لابد ألا تخرج عن ثلاث محددات و هي:-

1. نظرية المخاطر الإدارية (فعل الأمير).
2. نظرية الظروف الطارئة
3. نظرية العقبات المادية غير المتوقعة أو القوة القاهرة (1) .

ومن جهة أخرى فالمتحصل على الصفقة يحق له مطالبة الإدارة بتمكينه من المقابل المالي المتفق عليه ، وهو الذي يتسلمه المتعاقد؛ لأجل تغطية ما يتحمله من مصاريف و نفقات و تحقيق الأرباح .

وفي المقابل يغطي نفقات وتكاليف تنفيذ العملية وأرباح المتعاقد المشروعة ،وتختلف صورة هذا المقابل باختلاف العقود الإدارية و المستقر عليه فقها و قضاء أن الإدارة ولأجل تحقيق مبدأ المساواة لا يجوز لها نهائيا أن تمس المقابل المالي للمتعاقد أو حقوقه المالية ، فهي لا تملك تعديل الشروط المالية للعقد لتعلقها بحقوق المتعاقد الخاصة ، وسلطة الإدارة في تعديل العقد تتناول فقط الشروط المتصلة بتسيير المرفق العام(2).

بناء على ما سبق فإن العقود الإدارية تتميز عن العقود المدنية بطابع خاص مناطه تلبية احتياجات المرفق العام والسهر على تغليب المصلحة العامة على حساب المصلحة الخاصة للأفراد، فإذا كانت المصالح في العقود الخاصة متوازنة ومتساوية فإنها في العقود الإدارية لا تكون متكافئة ،إذ تعلو المصلحة العامة على الخاصة ومنه يترتب مجموعة من الالتزامات التي قِبل بها المتعاقد مع الإدارة قبل أن ينال الصفقة، و هذه الالتزامات تكون محل مساواة بين جميع المتنافسين و الذي سيفوز بالصفقة سيسعى لتحقيقها ومنها :-

1. أن الإدارة تملك حق توقيع الجزاء مع المتعاقد معها إذا ما أخل بالتزاماته، بل الأكثر من هذا يمكن لها فسخ الصفقة دون استصدار حكم قضائي في الموضوع.

(1) العقود الإدارية ، سلسلة منشورات ، محمد أبو راس ، ص 97.

(2) مبادئ و أحكام القانون الإداري , رفعت عبد الوهاب ، ص 542.

2. علاقة المتعاقد مع الإدارة لا تستند فقط إلى شروط العقد، بل أيضا إلى القواعد التنظيمية الخاصة بالمرفق العام .

3. التزامات المتعاقد مع الإدارة يجب أن ينفذها شخصيا، ولا يجوز له أن يحل شخص آخر مكانه إلا بموافقة الإدارة (التعاقد من الباطن) ،كما أن موافقة الإدارة على التعاقد من الباطن قد تكون في شكل صريح وقد يكون ضمنيًا، كما أن هذه الموافقة لا تحمل التزامات تجاه الشخص المتعاقد من الباطن، بل إن كل الالتزامات تقع على عاتق الفائز بالصفقة (1).

ومن جهة أخرى فالقضاء الإداري هو الآخر ينتصر لمبدأ المساواة ،حيث نجد في حكم لمحكمة الاستئناف الإدارية السعودية مفاده أن مطالبة المدعي بإلغاء قرارات المدعى عليها المتضمنة إلغاء المنافسة وامتناعها عن استكمال إجراءات الترسية استنادا لما اعتبرته أنه يدخل في نطاق المصلحة العامة لافتراض وجود مخاطر في حالة الترسية الكاملة لمشروع المياه على المدعي خصوصا أن عرضه كان أفضل العروض المقدمة ،وبالتالي فإن إلغاء المنافسة يعد تجاوزا لاختصاصها وغير ذي سند مما ذهبت المحكمة إلى إصدار قرارها بإلغاء قرار الإدارة بحجة مخالفته لمبادئ المساواة وتكافئ الفرص (2).

بناء على ما سبق فإن مبدأ المساواة بين المتنافسين لأجل التعاقد مع الإدارة ليس بمبدأ (قبلي)فقط، أي إن الإدارة تتعامل بقدر من المساواة مع كل متقدم للصفقة، و يجب احترام نفس الشروط للتقدم لها ،بل هناك بُعد (بعدي) أيضا يتعلق بمدى التزام الإدارة بعنصر المساواة مع الفائز بالصفقة عن طريق التعامل معه بالمثل ولا تفضيل لمتعاقد آخر في مجال آخر عنه فهنا يتعدى مفهوم المساواة في نفس الشروط و في نفس الصفقة ليصبح عنصرا عاما ويطبق من طرف الإدارة مع كل المتعاملين معها حتى وإن اختلف المجال.

الخاتمة:

إن تحقيق مبدأ المساواة بين الراغبين في التعاقد مع الإدارة عند طرح المناقصات يترتب عليه مجموعة من الاثار من بينها :-

حماية المال العام : فمن أهم أسباب الحفاظ على المال العام وحمايته هو قيام جهة الإدارة عند طرح المناقصات بالمساواة بين المتنافسين الراغبين في التعاقد معها وذلك عن طريق الاعتمادات المالية التي تخصصها الدولة لأجل المشاريع، ومن ثم فإن قيام الإدارات بدراسة العروض التي تقدم عند طرح المناقصات من قبل الراغبين في التعاقد معها وترسيتها على أفضل العروض لا شك أن ذلك يخفف الأعباء على الخزينة العامة للدولة ؛ لأن تحقيق مبدأ المساواة بين المتنافسين يؤدي إلى الوصول إلى أفضل العروض ماديًا وفنيًا،

(1) الوجيز في العقود الإدارية , الطبعة الثانية , نصار جاد ، ص 196 .

(2) قضية رقم 5310/ق لعام 1439 هـ تاريخ الجلسة 24/11/1439هـ محكمة الاستئناف الإدارية السعودية. غير منشور.

في حين لو أن الإدارة عملت بالمحسوبية وتمييز بعض المتنافسين عن بعضهم الآخر فإن ذلك يؤدي إلى إهدار المال العام.

حماية حقوق الأفراد : أن الإدارة عندما تقوم بحماية حقوق الأفراد فإن ذلك يؤدي إلى تعزيز روح المواطنة، فإن الفرد متى ما شعر بحماية حقوقه تحقق بموجب ذلك انتماؤه وولاؤه لوطنه، وذلك نتيجة شعوره بالإنصاف، وعلى النقيض من ذلك فمتى ما كان هناك اعتداء على حقوق الأفراد من قبل الإدارة ترتب على ذلك غياب المواطنة ومن ثم ينتج عن ذلك شيوع الفساد المالي والإداري.

الحصول على أفضل العروض من الناحية الفنية: ينتج عن قيام الإدارة بتحقيق مبدأ المساواة بين الراغبين في التعاقد معها وصول الإدارة إلى أفضل العروض المقدمة من الناحية الفنية، ؛لأنه لا يمكن المساواة بين المتنافسين إلا من خلال البحث عن أفضل العروض المقدمة، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الكفاية الاقتصادية القصوى للمشتريات الحكومية وذلك بالجمع بين الكفاية الفنية والعدالة المالية في مشتريات الأجهزة الإدارية الحكومية.

استخلص من هذه الدراسة التحليلية لمبدأ المساواة في العقود الإدارية إلى مجموعة من النتائج والتي ألخصها في ما يأتي:-

1. العقد الإداري يعد الشريعة التعاقدية التي تربط الإدارة بالمتعاقد معها و محل التزامات كل طرف في كل ما يتعلق من شروط و أحكام ،وكذلك يعتبر الحجر الأساس لتلبية الاحتياجات العامة للإدارة و الدولة وتحقيق المصلحة العامة والحفاظ على المرفق العام .
2. أن الإدارة و ما تفرضه التغييرات الاقتصادية و الاجتماعية إذا تبين لها أن تدخل تغييرات ضرورية لحسن سير المرفق العام ولو تعلق الأمر بفرض شروط جديدة على المتعاقد معها فإن الإدارة هنا تضطر لتعديل محتوى العقد ،وفي هذا المنطلق لا يجوز للشخص أن يحتج بمبدأ المساواة و أنه لم يكن على دراية بهذه التغييرات ؛لأن طبيعة العقود الإدارية تحتمل التغيير لكن مع مراعاة مصالح المتعاقد معه وعدم الاضرار به.
3. الطابع الخاص لمفهوم المساواة بين المتعاقدين في العقد الإداري يحمل في طياته الفهم الشامل لذاتية العقد الإداري وعدم انفصاله بنفس الوقت عن أصوله التي انبثق منها ، بحيث إن الجميع أصبح يعي تمامًا أن العقد الإداري يحمل التزامات على عاتق كل جهة ويفرض التنفيذ السليم للعقد .
4. القضاء الإداري هو الآخر ينتصر لمبدأ المساواة بين المتنافسين و كذلك للمساواة في التعامل من قبل الإدارة مع المتعاقدين معها.

التوصيات:

1. ألـزم النظـــام جهـــات الإدارة أن تمـــنح فرصـة تقديـم العطـاء لأكبـر عـدد ممكن ممـن توافر فيهم الشـروط المطلوبـة وكانـوا مؤهليـن لذلـك ، بهـدف تعزيـز النزاهـة والمنافسـة ، وتوفيـر معاملـة عادلـة للمتعهديـن والمقاولين ، تحقيقًا لمبدأ تكافؤ الفرص والمساواة.

2. نوصـي جميـع المسـؤولين بضـرورة تمكيـن كافـة المتعاقديـن الراغبيـن فـي التعامـل مـع الحكومـة ممـن تتوافر فيهم الشروط التي تؤهلهم لهذا التعامل فرصًا متساوية ويعاملون على قدم المساواة.

3. نثمـن علـى مـا قـرره النظـام مـن ضـرورة توفيـر المعلومـات الواضحـة والكاملـة والموحـدة عـن العمـل المطلوب فيما يعرف بـ كراسة الشروط والمواصفات .

4. يجـب علـى الأجهـزة الحكوميـة ألا تقصـر تعاملهـا علـى عـدد أو أسـماء محـدودة مـن المقاوليـن ،بـل يجـب أن تعطـي الفرصـة لأكبـر عـدد مـن المتعاقديـن وعلـى كل مـن وزارة الماليـة والاقتصـاد الوطنـي،و الديـوان العامـة للمراقبـة والنيابـة العامـة متابعـة ذلـك بدقـة والرفـع عـن أي حـالات يظهـر فيهـا عـدم التقيـد بالشـروط اللازمـة .وذلـك للحـرص علـى دعـم القطـاع الوطنـي وتشـجيعهم وإعطائهـم الفرصـة علـى قـدم المساواة.

قائمة المراجع

الأنظمة:

1. نظـام المنافسـات و المشـتريات الحكوميـة بتاريـخ 1440/11/13 هـ الموافـق : 16/07/2019 مـ بمقتضـى المرسـوم الملكـي رقـم (م/128) وتاريـخ 1440/11/13هـ وقـرار مجلـس الـوزراء رقـم (649) وتاريـخ 1440/11/13هـ.

القواميس:

1. القاموس المحيط، للفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1417هـ
2. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، عام 1417هـ
3. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الثانية.

الكتب:

1. الـدور التنظيمـي لـلإدارة فـي المجـال الاقتصـادي ، الشـناوي ، وليـد، دراسـة مقارنـة ، قسـم القانـون العـام ، كلية الحقوق جامعة المنصورة ، الطبعة الثانية 2012 م.
2. العقود الإدارية ، أبو راس ، محمد، سلسلة منشورات كلية الحقوق بنها مصر – 1998 م
3. مبادئ و أحكام القانون الإداري ، عبد الوهاب ،رفعت : منشورات الحلبي ، بيروت لبنان ، 2003 م.
4. المناقضـة العامـة كطريقـة للتعاقـد الإداري، سـردوك ، هيبـة، مكتبـة الوفـاء القانونية، مصـر، الطبعة الأولـى 2004م.
5. النظـام القانـون لإبـرام العقـود الإداريـة ، كنعـان ، نـواف ، دراسـة مقارنـة و تطبيقيـة فـي الأردن – مجلـة دراسات ، المجلد 25 علم الشريعة والقانون العدد 2 لسنة 1998 م.
6. الوجيز في العقود الإدارية ، جاد ، نصار ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 2004 م

المجلات:

1. أثـر النظـام القانونـي لإبـرام العقـود الإداريـة فـي حمايـة المـال العـام (دراسـة مقارنـة)، البنان،حسـن، والنعيمـي، أبـو بكـر ، مقـال منشـور بمجلـة كليـة القانـون للعلـوم القانونيـة و السياسـية ، جامعـة كركـوك العراق ، 2016 م.

2. أثـر النظـام القانونـي لإبـرام العقـود الإداريـة فـي حمايـة المـال العـام: دراسـة مقارنـة ،حسـن ،حسـن ، مجلـة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، عدد نونبر 206 م.

3. الحمايـة القانونيـة للمنافسـة و الشـفافية فـي عقـود التدبيـر المفـوض ،علـوش ، مصطفـى ، منشـور بالمجلـة المغربية للإدارة المحلية و التنمية 2016 م.

4. الوجيز في القانون الإداري ، راضي ، مازن، المكتبة القانونية ، الطبعة الأولى ،بغداد 2009م.

5. طـرق تدبيـر المرافـق العامـة بالمغـرب ،الأعـرج، محمـد، منشـورات المجلـة المغربيـة لـلادراة المحليـة و التنمية ، سلسلة مؤلفات وأعمال جامعية ، العدد 101 . لسنة 2013 م.

أحكام قضائية:

1. المحكمة الإدارية العليا بمصر ، طعن رقم 288 لسنة 4ق في 09/05/2011 بند 109

2. قضيـة رقـم 5310/ق لعـام 1439 هــ تاريـخ الجلسـة 24/11/1439هــ محكمـة الاسـتئناف الإداريـة المملكـة العربية السعودية.

رسائل و أطروحات:

1. تطبيقـات النظريـة العامـة للعقـد الإداري: الصفقـات العموميـة فـي الجزائـر ،ياقوتـة ، عليـوات، رسـالة لنيـل شهادة الدكتوراه في القانون العام ، جامعة منتوري ، قسنطينة كلية الحقوق الجزائر لسنة 2009 م.

2. المسـاواة بيـن المتنافسـين فـي العقـود الإداريـة – دراسـة مقارنـة ،الناصـر ، أحمـد، بحـث لنيـل درجـة الماجسـتير فـي قسـم السياسـة الشـرعية ،جامعـة الامـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية ، المعهـد العالـي للقضـاء ، قسم السياسة الشرعية (شعبة الأنظمة) 2009 م

تأثير المرونة التنظيمية على دعم اليقظة الإستراتيجية
(دراسة تطبيقية على شركات تصنيع السيراميك في مصر)

The Effect of Organizational Flexibility on Supporting Strategic Vigilance
(An Empirical Study on Ceramic Manufacturing Companies in Egypt)

إعداد

د. عماد عبد الخالق صابر الطحان

كلية الأعمال – جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

معهد الجيزة العالي للعلوم الإدارية – جمهورية مصر العربية

المستخلص:

إن طبيعة البيئة الديناميكية للشركات وما تمتاز به من التقلبات وعدم الاستقرار، فرضت عليها تبني توجه أو وسيلة ضرورية جديدة لمواجهة المنافسة وهذا لضمان بقائها واستمرارها، وهذه الوسيلة الجديدة تقوم على أساس تحقيق المرونة التنظيمية في ممارستها لتدعيم يقظتها الإستراتيجية في ظل بيئة تتميز بالتعقيد وعدم التأكد المرتفعين، وعليه يمكن صياغة المشكلة الدراسية في التساؤل الآتي:

ما الدور الذي يمكن أن تسهم به ممارسات المرونة التنظيمية وأساليبها لشركات تصنيع السيراميك في مصر في تعضيد يقظتها الإستراتيجية ، وبما يمكنها من مواجهة التغيرات البيئية المعقدة والمتشابكة؟

وهدفت الدراسة إلي البحث في تأثير المرونة التنظيمية في تعضيد اليقظة الإستراتيجية ، والتعرف على اتجاهات وآراء العاملين بشركات تصنيع السيراميك تجاه موضوع البحث من خلال الدراسة الميدانية؛ وذلك للوصول لنقاط القوة والضعف والتي يمكن من خلالها اقتراح التوصيات.

و أُستخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحديد المفاهيم النظرية الأساسية المرتبطة بموضوع الدراسة وتأصيلها، وإجراء دراسة ميدانية على العاملين في المستويات الإدارية في شركات تصنيع السيراميك في مصر من خلال عينة قوامها 100 مفردة من الشركات محل الدراسة لتحليل آراء واتجاهات عينة الدراسة واختبار فروضها. وقد توصلت إلي بعض النتائج والتوصيات منها:

- صياغة رؤية مستقبلية ذات توجه ريادي للشركات تعتمد علي ممارسات المرونة التنظيمية وبالاعتماد أساسًا علي اليقظة الإستراتيجية لاستكشاف الفرص والتهديدات المتوقعة ببيئة الصناعة، مع تحليل نتائج الأداء للتعرف علي نقاط القوة والضعف؛ بما يمكنها من تعزيز قدرتها التنافسية.
- زيادة الاهتمام والتوسع في استخدام أدوات المرونة التنظيمية آلياتها من خلال وضع منهج علمي وعملي مبتكر والتأسيس لمرحلة مستقبلية في العمل تقوم على التوظيف الأمثل للتقنيات المتقدمة والطاقات البشرية، بما يمكنها من تحقيق المرونة التنظيمية وفقًا لمعايير التنافسية في صناعة السيراميك عالميًا .

الكلمات المفتاحية: المرونة التنظيمية، اليقظة الإستراتيجية ، شركات السيراميك.

Abstract:

The nature of the dynamic environment of companies, and its fluctuations and instability, imposed on them to adopt a new approach or means necessary to confront competition and this to ensure its survival and continuity, and this new method is based on achieving organizational flexibility in its practice to strengthen its strategic vigilance in an environment characterized by high complexity and uncertainty. Accordingly, the academic problem can be formulated in the following question:

What role can the organizational resilience practices and methods of ceramic manufacturing companies in Egypt contribute to boosting their strategic vigilance، enabling them to face complex and intertwined environmental changes?

The study aimed to investigate the effect of organizational flexibility in reinforcing strategic vigilance، and to identify the trends and opinions of workers in ceramic manufacturing companies towards the research topic through the field study. This is to reach the strengths and weaknesses through which recommendations can be suggested.

The descriptive and analytical approach was used by identifying and establishing basic theoretical concepts related to the subject of the study، and conducting a field study on workers at the administrative levels in ceramic manufacturing companies in Egypt through a sample of 100 individual companies under study to analyze the opinions and trends of the study sample and test their hypotheses. Some conclusions and recommendations were reached، including:

- Formulating an entrepreneurial future vision for companies based on organizational resilience practices and mainly relying on strategic vigilance to explore the opportunities and threats expected in the industry environment، while analyzing performance results to identify strengths and weaknesses; This enables it to enhance its competitiveness.
- Increasing interest and expansion in the use of organizational flexibility tools and mechanisms by developing an innovative scientific and practical approach and establishing a future stage of work based on the optimal employment of advanced technologies and human energies، in order to enable them to achieve organizational flexibility in accordance with the standards of competitiveness in the global ceramic industry.

Keywords: organizational resilience، strategic vigilance، ceramic companies.

المقدمة:

في عالم سريع التغير تصبح المرونة في منظمات الأعمال ذات أثر كبير ومردود عالي، فالمنظمة المرنة تكون ذات قدرة عالية للتصدي لجميع الظروف وكافة المتغيرات والتطورات الاقتصادية، وهي بلا شك أكبر كفاءة وأكثر اطمئنانًا وأكثر قدرة على التنافس من المنظمة التي لا تجيد الحركة إلا في بيئة ساكنة، حيث يرتبط تكيف المؤسسة بدرجة المرونة، والتي تتعلق بقدرة المؤسسة على التوقع والتنبؤ بأي تغيير يظهر على أداء المؤسسة ضمن نطاق بيئتها والتكيف معه لضمان بقائها واستمراريتها كما أن المرونة

التنظيمية أحد أهم عوامل النجاح في المنظمة، وأهم معايير تقييمها، من خلال مدي امتلاكها لقدرات إدارية متنوعة تجعلها فاعلة لزيادة قدرتها الرقابية والاستجابة بسلاسة للتغييرات البيئية؛ ولذا فمن الضروري على المنظمات المعاصرة اليوم تبني المرونة التنظيمية للاستجابة لردود أفعال المنافسين بفعالية (عبد النوري،2019).

وتشير المرونة التنظيمية إلى قدرة المؤسسة على التكيف بسرعة مع التغيرات في السوق والتغيرات البيئية بطرق إنتاجية وفعالة من حيث التكلفة، والاستجابة السريعة للتغيير، وتحقيق الاستدامة في النتائج مع تحقيق الاستفادة المثلى من الموارد البشرية المتاحة، وتعد المرونة نتيجة حتمية للذكاء التنظيمي في الشركات. (العواملة والحموري،2020).

وقد أصبح أهم ما يشغل الشركات بمختلف أنواعها حاليا هو الاستمرارية والتميز، وبما أن البيئة الخارجية للمؤسسة تتميز بالتحولات والتقلبات فقد كان عليها مراقبة هذه البيئة، وهذا لتوقع التهديدات التي يمكن أن تتعرض لها والتي يمكن أن تؤثر على مكانتها التنافسية في السوق، من أجل تحديد الإستراتيجيات التي يمكن اتباعها وفقًا لوضع الشركة مقارنة بالشركات المنافسة الأخرى؛ لذا فيجب على الشركة التعرف بدقة وبذكاء على أقرب منافسيها وفهم استراتيجيتهم عن طريق يقظة إستراتيجية مستمرة ومراقبة دائمة للبيئة التي تعمل ضمنها.

وتؤدي اليقظة الإستراتيجية دورًا ملموسًا في رفع تنافسية الشركات من خلال معرفة الاتجاهات الجديدة والتنبؤ بالتغيرات الهيكلية في السوق، للعمل على تكييف منتجاتها مع التغيرات الجديدة، ورفع القدرة المؤسسية وسرعة رد الفعل تجاه تلك التغيرات، بالإضافة إلى الحصول على مورد وافر من المعلومات والخبرة لدعم معرفة الشركات وتطويرها ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق توقع أنشطة المنافسين، واكتشاف فرص جديدة لاستثمارها، وعلي ذلك فهي تسهم في تحقيق مزايا تنافسية للشركات من خلال دراسة النقاط التنافسية في البيئة المحيطة بما يتناسب مع الأداء الحالي للمنافسين (الزهيري، 2018).

وتسعي هذه الدراسة إلي التعرف على تأثير المرونة التنظيمية على دعم اليقظة الإستراتيجية دراسة تطبيقية على شركات تصنيع السيراميك في مصر.

المبحث الأول : الإطار العام للدراسة:

أولًا : مشكلة الدراسة:

بيئة الأعمال بيئة شديدة التعقد سمتها الأساسية التغير الدائم والمستمر، ويرجع هذا إلى العولمة الاقتصادية وما أنجز عنها من انفتاح الأسواق، وتحول العالم إلى قرية صغيرة تحتدم بها المنافسة بين المؤسسات الناشطة بها، من أجل الاستمرار، خاصة بزيادة وعي مسيريها بأن الاستمرار سيكون للقادر على

التكيف والتأقلم مع هذه البيئة وليس الانعزال عنها؛ وفي ظل هذا أصبحت المؤسسات تسعى لتحقيق المواءمة بين نقاط القوة والضعف لديها، مع الفرص والتهديدات المطروحة بالبيئة الخارجية، بغية تقليل الفجوة بين الأهداف المنشودة والأهداف المحققة بالفعل، كل هذه الحتميات أدت إلى ضرورة تدعيم اليقظة الإستراتيجية للشركات والذي يقوم برصد وجلب كل ما يتعلق بشأن منافسيها، وتحديد نقاط قوتهم وضعفهم، وأهدافهم وتطلعاتهم المستقبلية وصولًا إلى استراتيجياتهم المتبعة، وكذلك التعرف علي بيئتها المحيطة وتطوراتها، بما يمكنها من تعزيز قدرتها التنافسية في محيط نشاطها.

وفي ظل التغيرات التي تسيطر على المشهد العالمي تداخلت عديد من العوامل الخارجية والداخلية في التأثير على أعمال منظمات الأعمال في تزايد مطالب المنظمات لإدراك ضرورة تبني التوجهات الإستراتيجية والتأكيد على إعادة تشكيل الموارد وتعديل العمليات، ولقد ساعد في ذلك استخدام تكنولوجيا المعلومات في العمل لتصبح المنظمات أكثر مرونة في الاستجابة لتلبية طلبات العملاء باعتبارها إستراتيجية إدارية استباقية تهدف إلى الحفاظ على موارد المنظمة وتحقيق رغبات العملاء في الوقت المناسب (Hitt et al، 2007).

وعلى ذلك، فطبيعة البيئة الديناميكية وما تمتاز به من التقلبات وعدم الاستقرار، فرضت على الشركات تبني توجه أو وسيلة ضرورية جديدة لمواجهة المنافسة وهذا لضمان بقائها واستمرارها، هذه الوسيلة الجديدة تقوم على أساس تحقيق المرونة التنظيمية في ممارستها لتدعيم يقظتها الإستراتيجية في ظل بيئة تتميز بالتعقيد وعدم التأكد المرتفعين.

وعليه يمكن صياغة المشكلة الدراسية في التساؤل التالي:

ما الدور الذي يمكن أن تسهم به ممارسات وأساليب المرونة التنظيمية لشركات تصنيع السيراميك في مصر في تعضيد يقظتها الإستراتيجية، وبما يمكنها من مواجهة التغيرات البيئية المعقدة والمتشابكة؟

ثانيًا : الدراسات السابقة:

تُعد الدراسات السابقة أحد أهم مكونات البحث العلمي فهي تعمل علي التوجيه والارشاد نحو الطريق والنهج الصحيحين من أجل الحصول على المعلومات اللازمة لإثراء موضوع الدراسة، ولذا نعرض فيما يلي ملخصًا لبعض الدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية لتكون بمثابة مرشدًا في تحديد إطار الدراسة الحالية وتتمثل أهم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة فيما يأتي :

أشارت دراسة (Guodong Ni et al،2021) إلى أن النجاح التنظيمي يعتمد بدرجة بشكل كبير على القدرة التنافسية للمنتجات والخدمات في ظل ظروف السوق المتغيرة بسرعة. وتصبح هذه القدرة التنافسية للمؤسسات أكثر أهمية للمؤسسات القائمة على المشاريع حيث إن تحديث صناعة البناء الصينية يخلق

تحديات أكبر وعدم اليقين في عمليات البناء ، مما يحدد المزايا المستدامة للمؤسسات إلى حد معين. وتركز الحكمة التقليدية على كفاءة التكلفة وتمايز الأصول وأداء الخدمة لاكتساب مزايا تنافسية. وتوصلت هذه الدراسة إلى تأثير المرونة التنظيمية والابتكار التنظيمي على القدرة التنافسية للمؤسسات لمنظمات البناء الصينية. وتم تطوير وتنفيذ استبيان منظم مصمم لاستهداف الشركات القائمة على المشاريع في صناعة البناء في الصين كما توصلت النتائج إلى التأثير الإيجابي للمرونة التنظيمية على القدرة التنافسية للمؤسسة إلى جانب دور الوساطة في الابتكار التنظيمي. وخلصت الدراسة إلى أن الإستراتيجيات التنظيمية الجديدة مطلوبة للشركات الصينية القائمة على المشاريع للحفاظ على القدرة التنافسية للمؤسسات من أجل تحقيق التنمية المستدامة للمؤسسات.

وقدمت دراسة Gross Raushan (2020)، العديد من الإسهامات في المرونة التنظيمية. ويرجع ذلك إلى مرونة القيادة وريادة الأعمال كمنشئ للمزايا التنافسية للشركة، التي تتنافس في بيئات السوق غير المستقرة للغاية. وهدفت هذه الدراسة إلى بناء علاقة بين القيادة الريادية والمرونة التنظيمية وتوصلت الدراسة إلى أن القيادة الريادية والمرونة التنظيمية مرتبطة مع بعضها البعض بشكل إيجابي.

كما سعت دراسة (Gross، Raushan، 2020) إلى محاولة الإجابة عن سؤالين : 1. ما هو تأثير المتابعين في الشركة التي تواجه التحدي للتكيف مع فرص السوق الإستراتيجية الصفاء بسبب تغيرات السوق؟ 2. ما هي وظيفة المتابعين الذين هم وكيل للقيادة أثناء عملية المرونة الإستراتيجية على جميع مستويات الشركة؟ كما هدفت هذه الدراسة التعرف على تأثير أنماط التابعين في المرونة الإستراتيجية التنظيمية من خلال التكامل بين نظريتين تابعتين والمرونة إستراتيجية. وقامت الدراسة بدمج هذه النظريات، في محاولة لتوضيح دور أساليب المتابعين والمتابعين للتأكد مما إذا كانت عواقب المتابعة تؤثر سلبًا أو إيجابيًّا على المرونة الإستراتيجية . وتوصلت الدراسة إلى وجود تأثير لأنماط التابعين على المرونة الإستراتيجية التنظيمية.

كما هدفت دراسة الشنطي، الشريف، (2020) إلي البحث في دور عمليات إدارة المعرفة في تحسين الرشاقة الإستراتيجية، ولتحقيق أهداف الدراسة، تم تطوير استبانة البحث كأداة رئيسية لجمع البيانات الضرورية، ولأجل هذه الغاية تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى ممارسة عمليات إدارة المعرفة بشكل عام كان بدرجة كبيرة بنسبة (69.99%) وكذلك نسبة الرشاقة الإستراتيجية وصلت إلى (70.95%). إذ تؤثر عمليات إدارة المعرفة تأثيرًا جوهريًا في الرشاقة الإستراتيجية، وأوصت الدراسة ضرورة تبني المنظمات محل الدراسة لمفهوم إدارة المعرفة كمدخل لتحسين الأداء العام لها، وزيادة قدراتها على التكيف مع ما يحدث في محيطها من تغيرات لزيادة الرشاقة الإستراتيجية.

وحاولت دراسة النجار، (2020) إلى التعرف علي أثر اليقظة الإستراتيجية في إدارة المشاريع في شركات الاتصالات الأردنية، وتوصلت الدراسة إلى ضرورة تعزيز الاهتمام بمعلومات اليقظة الإستراتيجية لما لها من أهمية كمورد معلوماتي إستراتيجي، من خلال إنشاء وحدات أو خلايا لليقظة الإستراتيجية ، والعمل علي إنشاء نظام اتصالي ومعلوماتي واضح مع نشر ثقافة الاتصال بكافة أشكاله.

وسعت دراسة عبد النوري، (2019) إلي التعرف علي أثر التعلم التنظيمي في تعزيز المرونة التنظيمية كدراسة حالة بمؤسستي الاتصال للهاتف النقال (موبيليس، نجمة) بوكالة أم البواقي، وتوصلت الدراسة إلي ضرورة الاهتمام بالتعلم التنظيمي باعتباره اتجاه ضروري نحو تحقيق النجاح وإستراتيجية تهدف إلى الوصول لمرونة عالية، و ضرورة التفاف الأفراد حول تجديد المعلومات التي يكتسبونها باستمرار للحفاظ على مستوى التعلم.

فيما حاولت دراسة عبد الله، (2019) إلى تشخيص مستوى علاقة الرشاقة الإستراتيجية بالتفوق التنظيمي، بوصفه أحد المواضيع المهمة في الفكر الإداري، وقد كان مجتمع البحث عددًا من الكليات الأهلية العراقية، إذ اختيرت عينة البحث من الإدارات الوسطى والتنفيذية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها وجود علاقة ارتباط طردية بين أبعاد الرشاقة الإستراتيجية المتمثلة في الحساسية الإستراتيجية والالتزام الجماعي والمقدرات الجوهرية وبين التفوق التنظيمي.

وسعت دراسة فرح، (2019) إلى التعرف على أثر الرشاقة التنظيمية على الاستغراق الوظيفي، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتم تصميم استبانة مصممة وزعت على عينة مكونة من (60) موظفًا في (10) شركات زراعية بولاية القضارف بالسودان، وتوصلت الدراسة إلى أن ممارسات الرشاقة التنظيمية والاستغراق الوظيفي كانت مرتفعة، كما أظهرت الدراسة وجود أثر ذي دلالة إحصائية للرشاقة التنظيمية (رشاقة التطبيق، ورشاقة اتخاذ القرار) على الاستغراق الوظيفي.

وحاولت دراسة الياس وعماد الدين، (2019) إلى توضيح أهمية اليقظة الإستراتيجية في استمرارية حياة المؤسسات وكسب ثقة عملائها انطلاقا من رصد بيئتها، وضرورة تكيف وتأقلم المؤسسات مع البيئة المتغيرة بتطبيقها لأساليب حديثة، وتوصلت الدراسة إلى ضرورة الاهتمام باليقظة التكنولوجية والتجارية في المؤسسات، مع ضرورة إرساء ثقافة اليقظة التنافسية بين الموظفين وذلك من خلال توعيتهم بأهمية المعلومة التنافسية وتداولها مع الموظفين بغض النظر عن وجود منافسين حقيقيين بالسوق.

كما هدفت دراسة Alouti، (2017)& Abed إلى تقديم نموذج مقترح لتطبيق آليات اليقظة الإستراتيجية في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية. و اختيرت شركة الأسمنت في الشلف لإظهار كيف سيعمل هذا النموذج المقترح من اليقظة الإستراتيجية وما هي الميزات الممكنة التي ستقدمه للمؤسسة. كما توصلت الدراسة إلى الوظائف والعمليات وحركية المعلومات المختلفة لهذا التصميم، فضلًا عن إسهامها في خلق ميزات تنافسية لتعزيز القرارات الإستراتيجية في الشركة محل الدراسة.

باستعراض الدراسات السابقة يمكن القول إن مراجعة هذه الدراسات والأدبيات ساعدت على صياغة المشكلة والأسئلة المتعلقة بالدراسة، وتحليل الموضوع من مختلف أبعاده لوضع تصور صحيح حول ما ستؤول إليه هذه الدراسة، وذلك بالتعمق في المتغيرات التي تناولتها الدراسات السابقة حول ذات الموضوع، وصياغة الأهداف ومعرفة الجوانب والمجالات المتعلقة بموضوع الدراسة والمعلومات والمراجع والمصادر اللازمة والمنهجية المناسبة، وأن هذه الدراسة بمثابة امتداد لهذه البحوث والدراسات.

ثالثًا : أهمية الدراسة:

تعمل اليقظة الإستراتيجية على ضمان استمرارية وديمومة الميزة التنافسية للشركات، وذلك نظرًا للمنافسة الحادة من قبل المنافسين حيث توفر المعلومات المرتبطة بالبيئة التنافسية، مما يؤدي إلى تحسين الإنتاجية، من خلال تمتعها بالمرونة التنظيمية في أداءها، وتكمن أهمية البحث أيضًا من الجانب العملي في إمكانية استفادة قيادات شركات السيراميك والقطاعات الأخرى المماثلة لها من نتائج وتوصيات الدراسة حيث أنها تبني علي دراسة نظرية ميدانية، بما يعود بالفائدة على المجتمع ككل.

رابعًا : أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في التعرف علي دور المرونة التنظيمية في تعضيد اليقظة الإستراتيجية بشركات تصنيع السيراميك، بالإضافة إلى بعض الأهداف الفرعية، وهى:

1. التأصيل النظر لمفهوم المرونة التنظيمية وأبعادها.
2. التعريف بمفهوم اليقظة الإستراتيجية وخصائصها.
3. بحث العلاقة بين أبعاد المرونة التنظيمية وتدعيم اليقظة الإستراتيجية .
4. التعرف على اتجاهاته وآراء العاملين بشركات تصنيع السيراميك في مصر تجاه موضوع البحث من خلال الدراسة الميدانية؛ وذلك للوصول لنقاط القوة والضعف والتي يمكن من خلالها اقتراح التوصيات.

خامسًا : فروض الدراسة:

تقوم الدراسة على فرض رئيس كما يأتي :

توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين المرونة التنظيمية وبين تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

وقد قُسم هذا الفرض الرئيس إلي مجموعة من الفروض الفرعية الآتية:

1. توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة الإستراتيجية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.
2. توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التكتيكية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.
3. توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التشغيلية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

سادسًا : منهج الدراسة:

استخدم المنهج الوصفي التحليلي وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على جمع البيانات الخاصة بالظواهر وتحليلها، وعرضها في صورة رقمية بما يسهل معرفة الاتجاهات الخاصة بالظواهر وعلاقاتها ببعضها بعض، مع تحديد المفاهيم النظرية الأساسية المرتبطة بموضوع البحث وتأصيلها ، وذلك بالاستعانة بمختلف المراجع، والدوريات، والدراسات السابقة، وإجراء دراسة ميدانية لتحليل اتجاهات عينة الدراسة وإختبار فروضها، وقد تمثلت الأداة الرئيسة في استمارة استبيان تحتوي متغيرات الدراسة.

سابعًا : حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تناولت الدراسة أبعاد المرونة التنظيمية والمتمثلة في: (المرونة الإستراتيجية ، والمرون التكتيكية، والمرونة التشغيلية) وفقًا لنموذج (Lim et al، 2011) مع تحييد المتغيرات الأخرى، واعتمدت الدراسة علي عناصر اليقظة لإستراتيجية وفقًا لنموذج (Gerry،2005)
- الحدود المكانية: نظرًا لتجانس وتشابه خصائص مجتمع الدراسة؛ فقد أجريت الدراسة الميدانية على عينة من العاملين في المستويات الإدارية بالإدارات الرئيسية في شركات تصنيع السيراميك في مصر محل الدراسة.
- الحدود الزمنية: الحدود الزمنية للقيام بالدراسة الميدانية هي خلال شهر أكتوبر2020.

المبحث الثاني : الإطار النظري والمفاهيمى للدراسة:

أولًا : مفهوم المرونة التنظيمية وأبعادها:

نتيجة لتزايد الضغوط واشتداد المنافسة والتغير المستمر في المنتجات وأذواق المستهلكين، أصبح من الضروري علي الشركات وضع إستراتيجيات تنافسية جديدة لجعلها أكثر مرونة، وهناك العديد من الأسباب التي أدت إلى تبني مفهوم المرونة التنظيمية، منها (Abdesselem، 2012)

- استيعاب منظمات الأعمال لزيادة تطور النشاط الاقتصادي؛
- التقدم المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛
- تقصير دورة حياة المنتجات وتسريع وتيرة الابتكار؛
- زيادة أهمية الميزة التنافسية الناجمة عن جودة المنتجات أو الخدمات؛
- التغيرات في المستويات العقلية حيث أصبح المستهلك أكثر وعيا وعقلانية في اختيار الأفضل.

ومصطلح المرونة يأتي من الكلمة اللاتينية resilire وهى تعني القفز، وهى مفهوم يركز على قدرة المنظمة على توقع التغيير الذي يمكن أن يواجهها ويعرقل أداءها ومدى استعدادها لهذه التغيرات والتكيف معها بما يحقق بقائها وازدهارها، كما أنه يشرح كيف يمكن للمنظمات البقاء على الازدهار وسط المتغيرات التي تواجهها، وتعرف المرونة التنظيمية بأنها: "قدرة أو خاصية أو نتيجة أو عملية أو سلوك أو إستراتيجية أو نهج أو نوع الأداء أو مزيج من هذه العناصر(Shalender، 2015)

والمرونة التنظيمية هي: "مجموعة من الإمكانات التي تستخدم للاستجابة لطلبات الفرص المتنوعة الموجودة في بيئة تنافسية ديناميكية ومعالجة عدم اليقين المخاطرة المرافقة لها (Hitt، M.A. 2011)

وهي: "قدرة المنظمة على الاستجابة والتكيف أو التعديل في ظروف السوق المضطربة بدعم من مواردها وقدراتها للحفاظ على الميزة التنافسية" (Singh، D، 2013)

وهي: "الجاهزية والقدرة التي تمتلكها المنظمة من أجل إحداث التغيير الأمر الذي يؤدي إلى التكيف مع الظروف المختلفة" (Srour، M. ; Baird، K.& Schoch، H. 2016)

وهي: "قدرة مسبقة للمقيمين في المنظمة لإعادة التخصيص بسرعة وإعادة تشكيل الموارد والعمليات والهياكل استجابة للتغيير الخارجي (Bock، A. J. 2017)

وقد حدد Kamasak، R (2016) في دراسته عدة عوامل جوهرية تمثل المحددات الأساسية لتحسين مستوى المرونة التنظيمية، وهي:

- ثقافة التعلم التنظيمي: وهي تمثل موردًا نادرًا وغير قابل للتقليد أو البيع واستمرارية البقاء على المدى الطويل، وتؤثر على موارد وقدرات المنظمة إذ تسهم في تشكيل مرونتها، فيجب على المنظمة أن تتعلم لتنمو وتواجه التغيرات الحاصلة في بيئتها.
- الهيكل التنظيمي: وهو يعبر عن خطوط السلطة والاتصال لتسهيل عملية اتخاذ القرار، وهذه الخطوط إذا طغى عليها طابع الرسمية سينخفض مستوى المرونة، ويزداد مستوى المرونة عندما تزداد الخصائص اللامركزية.
- سلوك العاملين ومهارتهم : وهي تسهم في زيادة قابلية المنظمة لمواجهة التغيرات البيئية، وهي من الموارد القيمة والنادرة التي تحتفظ بها المنظمات، والعمل على جعلها أكثر تنوعًا لتعزيز قدرة المنظمة على التكيف والاستجابة لمختلف التغيرات البيئية.
- القدرات التكنولوجية: وتتمثل في الجهود الفكرية والتقنية، والتي لها أثر في تحويل الموارد والمعرفة والعمليات إلى سلع وخدمات نهائية، وبالتالي تسهيل عملية تدفق المعلومات والاتصالات في المنظمة وبالتالي تحسين في قدرتها على الاستجابة للتغيرات والأحداث غير المتوقعة؛

- التدريب والتطوير: حيث تسهم برامج التدريب والتطوير المتخصصة في زيادة قدرات العاملين في ممارسة السلوكيات والمهارات المتعددة والمتنوعة وهذا ينعكس في النتيجة على مستوى المرونة التنظيمية في المنظمة.

وتتحدد أبعاد المرونة التنظيمية التي تتبناها هذه الدراسة فيما يلي : (Lim، B، 2011)،

1. المرونة الإستراتيجية : وهي قدرة المنظمة على التنقل والاختيار بين البدائل الإستراتيجية لكي تتمكن من مواجهة المتغيرات البيئية وامتصاص الصدمات والتذبذبات السوقية، تحقيق ميزة تنافسية مقارنة بالمنافسين، والتكيف مع التغير المستمر في بيئة العمل وتحليل البيئة الخارجية لتحقيق الريادة السوقية.
2. المرونة التكتيكية: وهي القدرة على تغيير التكتيكات بسهولة والجاهزية للتعامل مع الظروف والأحداث المستجدة، وتدعم المرونة التكتيكية التكيف في عملية اتخاذ القرارات والاتصال من خلال تطوير منتجات جديدة ومبتكرة، وبناء شراكات مع الجهات الفاعلة في السوق.
3. المرونة التشغيلية: والتي تعمل على تحقيق أقصى قدر من الكفاءة وتقليل المخاطر في السوق، ويُعبر عنها بالآلات والمعدات والبرمجيات المستخدمة في تحويل المدخلات إلى مخرجات من خلال قدرة الشركة على إدارة أنشطتها وعملياتها وفق أساليب علمية، وتحديث تكنولوجيا التشغيل بصفة مستمرة، وتعديل خطوط إنتاجها وفق متطلبات العمل، وخفض تكاليف الإنتاج والفاقد لأقل ما يمكن.

ثانيًا : ماهية اليقظة الإستراتيجية وخصائصها:

تشير اليقظة إلى الصحوة والانتباه والفطنة وتهدف لتنبيه المسئولين بأي خطر يواجههم (إلياس، و عماد الدين، 2019).

وهي: "ذلك الإدراك الجماعي المستمر من خلال مجموعة أفراد التي تتولى جمع واستعمال المعلومات بشكل تطوعي واستباقي بما يتماشى والتغيرات المحتمل حدوثها في البيئة الخارجية، وهذا من أجل خلق فرص أعمال والتخفيض من مخاطر عدم اليقين" (Janissekmuniz، 2013)،

واليقظة الإستراتيجية تعني: "المراقبة والمتابعة العامة والذكية لمحيط ما من خلال البحث عن المعلومات الواقعية والمستقبلية" Alouti ، (Abed & 2017)،

وتحقق اليقظة الإستراتيجية مجموعة من الأهداف يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1. تمكن المؤسسة من تحسين وتطوير أدائها وتطويره وتوسيع نشاطها.
2. اكتشاف كل ما له علاقة بالمنافسين وتحليله.

3. استغلال الفرص وتجنب التهديدات.
4. الحصول على كم هائل من المعلومات والمعارف.
5. حل المعضلات التي تواجه المؤسسة وتدعيم القرارات.
6. تمكن المؤسسة من تشخيص أفضل الممارسات التي تستطيع من خلالها البقاء أطول مدة ممكنة.
7. البحث عن أفكار جديدة وتطويرها.

ولليقظة الإستراتيجية خصائص متعددة يمكن تلخيصها فيما يأتي(Jean، 2018):

- الإستراتيجية : تسهم في عملية اتخاذ القرار فهي تتعلق بالقرارات غير متكررة، والتي ليس لها أي نموذج من النماذج المفحوصة والقيمة بفعل التجربة مع الأخذ بعين الاعتبار المعلومات القليلة لكنها من الممكن أن تكون لها قوة تأثيرية على تنافسية المؤسسة وبقائها.
- التطوعية: لا يمكن لليقظة أن تؤدي دورًا سلبيًّا ومحدودًا بالمتابعة والمراقبة البسيطة للمحيط كونها هدفًا إبداعيًا، فهي بالعكس من ذلك تعتبر تطوعية باشتراط الذهاب إلى واجهة المعلومات المتوقعة مع الانتباه الحاد والنشيط من كل الجوانب.
- البيئة المحيطة: محيط المؤسسة ليس شيئًا إحصائيًّا فهو مكون من مجموعة من العوامل المؤثرة، لذا لا يتم تأثيرها بطريقة عملية لاسيما عند التكلم عن اليقظة الإستراتيجية .
- التوقع: وهي كل المعلومات التي يمكن أن تعطينا نظرة تنبؤية وتوقعية عن المستقبل وليس من الضروري أن تعبر عن الماضي والحاضر.

وتتعدد أنواع اليقظة في الشركات، وذلك كما يأتي(الياس وعماد الدين، 2019).:

- اليقظة التكنولوجية: تنطبق على المحيط التكنولوجي للمؤسسة وهذا بالاعتماد على قواعد البيانات بغية تحديد التقنيات المرتبطة بأعمالها أو من المحتمل أن يتم تنفيذها لأجل كسب ميزة تنافسية.
- اليقظة العلمية: وهي تلك المتعلقة بالبحث العلمي المرتبط بمجالات الإنتاج.
- اليقظة التنافسية: تنطبق على البيئة التنافسية للمنظمة التي تهتم بالمراقبة ومتابعة المنافسين الرئيسين والمحتملين لها وتطورات الأسواق وتحديد الفرص والتهديدات والفرص المتاحة.
- اليقظة التجارية: تنطبق على المحيط التجاري للمنظمة وهي تمكن من تتبع كل ما هو متعلق بالعلاقات التجارية للمنظمة من عملاء، و موردين، و منتجات، و تكاليف وأسعار السوق حاليًا ومستقبلًا وكل هذا متعلق بتحديد الاحتياجات التي يرغب بها العملاء وكيفية تطويرها.
- اليقظة القانونية: ينطبق هذا النوع على المراقبة القانونية أو التنظيمية لمحيط المؤسسة حيث تأخذ بعين الاعتبار تطور التشريعات القانونية والمعايير الوطنية أو الدولية والاتفاقيات التجارية.

- اليقظة الثقافية: هي عبارة عن الرصد المتعلق بالبيئة الثقافية للمنظمة التي يتعين للمؤسسة متابعتها من خلال التعرف على ثقافة العملاء والمستوى المعيشي لهم واحتياجاتهم.

وعلي ذلك يمكن القول: إن اليقظة الإستراتيجية هي عملية مراقبة شاملة ومستمرة لمختلف جوانب بيئة العمل بشركات تصنيع السيراميك، وإستراتيجات بالمنافسين وعناصر القوة والضعف في أدائهم، ومعرفة المخاطر والفرص المحتملة الموجودة في تلك الصناعة لتدعيم قدرتها التنافسية.

ويمكن تلخيص دور المرونة التنظيمية في تدعيم اليقظة الإستراتيجية لخلق وتنمية الميزة التنافسية للشركات في النقاط الآتية (بن عدة،2018):

- معرفة الاتجاهات الجديدة للعملاء وأذواق العملاء.
- تدعيم وتطوير الإرث المعرفي للمؤسسة، من خلال بناء قاعدة معلوماتية متطورة.
- المراقبة المستمرة والمتواصلة لبيئتها.
- تبني إستراتيجيات جديدة تمكنها من تحقيق ميزة تنافسية.
- الحرص على المعلومة التنافسية والتي تجعلها متيقظة لكل التطورات التي تطرأ على بيئتها التنافسية.
- تبني إستراتيجية دفاعية ضد المخاطر المفاجئة، أو تبني إستراتيجية هجومية لمواجهة المنافسين.
- محاولة ريادة السوق ومواجهة المنافسة لتحقيق مركز تنافسي.
- توفير معارف فنية، وعملية تمكنها من تطوير مختلف الصناعات والخدمات والنشاطات الاقتصادية.
- تحسين الوضعية التنافسية بمساعدتها على القيام بمناورات إستراتيجية؛ تستند على أساليب مختلفة.
- التمركز والتوازن بين المنافسين بتحديد المنافسين الحاليين في القطاع وتوجيه الاهتمام نحو المنافسين المحتملين الذين لا يمكن تجاهلهم، والبحث عن قطاعات سوقية يمكن أن تبرز فيها جوانب التميز لديها.

وعليه، فالشركات التي تتمتع بالمرونة التنظيمية فإنها تتمكن من تدعيم يقظتها الإستراتيجية وضمان استمرار ميزتها التنافسية أو صياغة ميزة تنافسية جديدة تحقق لها الريادة الإستراتيجية في السوق بين المنافسين في نفس القطاع.

المبحث الثالث : منهجية الدراسة الميدانية:

أولًا : مجتمع وعينة الدراسة:

تعد صناعة السيراميك من أهم الصناعات المصرية، وهي من الصناعات كثيفة استهلاك الطاقة، ويوجد 33 مصنع سيراميك تعمل بالسوق المصري تبلغ الطاقة الإنتاجية لها نحو 240 مليون متر سنويًا ،

وتصل استثمارات القطاع إلى نحو 15 مليار جنيه، ويتم تصدير السيراميك حاليًا لأسواق عدد كبير من الدول الأوروبية والعربية، وتسعى وزارة الصناعة خلال المرحلة الحالية لجعل مصر مركزًا إقليميًا لصناعة وتصدير السيراميك بصفة خاصة ومواد البناء بصفة عامة وزيادة إسهامها في الاقتصاد القومي من خلال الاستفادة من توافر المواد الخام والموقع الجغرافي المتميز والإفادة من اتفاقيات التجارة الحرة الثنائية والإقليمية والدولية الموقعة مع عدد كبير من الدول والتكتلات العالمية، ومن أهم شركات السيراميك في مصر ما يأتي: (سيراميكا كليوباترا ، و سيراميكا رويال، و سيراميكا ليسيكو ، و سيراميكا بريما ، و سيراميكا أرت ، و سيراميكا ألفا، و سيراميك الجوهرة ، وسيراميك الأمير).

وقد اختيرت عينة عشوائية بسيطة من مختلف المستويات الوظيفية، وذلك باستخدام المعادلة التالية لتحديد حجم العينة (البلداوي،2004):

$$\text{الخطأ المسموح به} = \text{الدرجة المعيارية} \times \sqrt{\frac{ق(1-ق)}{ن}}$$

ولقد وُضعت الافتراضات الآتية:

- ن = حجم العينة
- ق= تعنى نسبة توافر الخصائص في مجتمع البحث وهى عادة أُفترضت بقيمة 50 %
- معامل الثقة 90 % وحدود خطأ مسموح به بنسبة (+، - 10 %).
- الدرجة المعيارية لمستوى ثقة 90 % = 2(من الجداول الإحصائية للدرجة المعيارية)

وبتطبيق الافتراضات التالية، يكون حجم العينة 100 مفردة.

ويوضح الجدول التالي الشركات التي وافقت علي توزيع الاستبيانات:

جدول (1) توزيع الاستبيانات علي مجتمع الدراسة

الشركة	عدد الاستبيانات
سيراميكا كليوباترا	22
سيراميكا رويال	7
سيراميكا ليسيكو	4
سيراميكا بريما	18
سيراميكا أرت	19
سيراميكا ألفا	21
سيراميك الجوهرة	9

ثانيًا : تصميم الاستبيان والأساليب الاحصائية:

صُمِّمت استمارة استبيان تضمنت مجموعة من العبارات تقيس اتجاهات أفراد العينة تجاه متغيرات الدراسة، ولتصميم هذا الاستبيان، فقد أُطلع على عديد من الدراسات السابقة في مجال موضوع الدراسة ومن خلالها أُعدت استمارة استبيان مبدئية، ومن ثم عُرضت على عدد من السادة المحكمين وتعديلها وفق توجيهاتهم، وأُنتهى إلى إعداد استمارة استبيان تضمنت بعض المحاور كما يلي:

- البيانات العامة:

واشتملت على بعض الخصائص الديموجرافية، وهي: النوع، والعمر، والتعليم، والخبرة، والمستوي الإداري، والتي تميزت بالتباين وتنوع الخبرات، وارتفاع المستوي التعليمي، حيث:

- النوع: تكونت عينة الدراسة من 79 مفردة من الذكور، و21 مفردة من الإناث، ويعود ذلك لطبيعة العمل بشركات السيراميك، والتي تزيد فيها نسبة العمالة الفنية عن بقية الوظائف؛ إلا أن ذلك لا يغفل تضمين آراء عينة الدراسة الميدانية من الإناث واتجاهاتها.
- العمر: كانت نسبة من هم دون 25 عامًا من العينة 12 %، من العينة، ونسبة من هم من 25 عامًا إلي أقل من 35 عام 49 %، في حين كانت نسبة من هم من 35 عامًا إلي أقل من 45 عامًا 17 %، ونسبة من هم فوق 45 عام 22 %، ويعكس ذلك شمول العينة لفئات عمرية متباينة علي اختلاف طموحاتها وتوجهاتها.
- التعليم: كانت نسبة من هم ثانوية عامة أو دبلوم 19 %، ونسبة المؤهلات العليا، 76 %، ونسبة الحاصلين علي الماجستير والدكتوراه 3 %، ويعكس ذلك مستويات علمية مرتفعة والثقة في النتائج المتحصل عليها لارتفاع المستوي العلمي لعينة الدراسة.
- الخبرة: كانت نسبة من هم خبرتهم أقل من 5 سنوات 18 %، من العينة، ونسبة من هم خبرتهم من 5 إلي أقل من 15 عام 53 %، في حين كانت نسبة من هم خبرتهم أكثر من 15 سنة 28 %، ويعكس ذلك شمول لمستويات خبرة كبيرة والثقة في آرائهم المبنية على الخبرة من الواقع العملي.
- المستوي الإداري: كانت نسبة من هم في مستوي ادارة التنفيذية 34 % من العينة، ونسبة الإدارة الوسطي 42 %، ونسبة الإدارة العليا 24 %، ويعكس ذلك تضمين العينة لكافة المستويات التنظيمية علي اختلاف نظرتهم للموضوع وفقًا لطبيعة ومستواهم الإداري.

المقاييس:

- المقياس الأول: المرونة التنظيمية (المتغير المستقل)، وتكون من ثلاثة أبعاد فرعية هي: (المرونة الإستراتيجية والمرونة التكتيكية والمرونة التشغيلية)، والمقياس الثاني: اليقظة الإستراتيجية (المتغير التابع).

- الأساليب الإحصائية:

- معامل " كرونباخ ألفا " لقياس ثبات استمارة الاستبيان.

- مقاييس التشتت والنزعة المركزية لقياس اتجاهات عينة الدراسة .

- تحليل التباين "ANOVA Test" لبيان قوة ونوع العلاقات الارتباطية بين المتغيرات .

- الانحدار الخطى لبيان التأثيرات المختلفة للمتغيرات المستقلة للدراسة على المتغير التابع.

ثالثًا : اختبار الثبات:

تتراوح قيمة معامل "كرونباخ ألفا"بين صفر، وواحد صحيح، وكلما اقتربت قيمة المعامل من الواحد الصحيح دل على قوة الثبات.

جدول (2) معاملات الثبات لمتغيرات الدراسة باستخدام ''معامل كرونباخ ألفا''

المتغير	معامل α
المرونة الإستراتيجية	%63.7
المرونة التكتيكية	%70.4
المرونة التشغيلية	%69.7
اليقظة الإستراتيجية	%79.8

يبين الجدول رقم (2) أن معاملات الثبات متوسطة وتعكس ثبات مقبول لأداة القياس ويطمئن إلى ثبات آراء عينة البحث واتجاهاتها تجاه استمارة الاستبيان وبدرجة عالية. المبحث الرابع : اختبار فروض الدراسة الميدانية

الفرض الرئيس: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين المرونة التنظيمية وبين تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

وقد قُسِّم الفرض الرئيس إلي ثلاثة فروض فرعية و أُختبرت كما يأتي:

أولًا : اختبار الفرض الفرعي الأول:

توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة الإستراتيجية وتدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

أ- معامل الارتباط:

جدول (3) مصفوفة الارتباط للفرض الفرعي الأول

المتغير المستقل	معامل الارتباط	المعنوية	المتغير التابع
المرونة الإستراتيجية	0.982(**)	0.000	اليقظة الإستراتيجية
** دال إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01			

بالنظر في الجدول رقم (3) يتضح وجود ارتباط طردي ذو دلالة معنوية عند مستوى معنوية 0.01 بين تحقيق المرونة الإستراتيجية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية ، حيث كانت قيمة معامل الارتباط 0.982 وهي قيمة دالة إحصائيًا ، وتعني أنه كلما زادت المرونة الإستراتيجية زادت معها تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

ب-تحليل التباين:

جدول (4) تحليل التباين للفرض الفرعي الأول

البيان	مجموع المربعات	متوسط المربعات	اختبار "ف"	
			القيمة	المعنوية
الانحدار	4317.891	863.578	1773.372	0.000
البواقي	164.109	0.487		

بالنظر في الجدول رقم (4) يتضح وجود علاقة انحدارية بين المرونة الإستراتيجية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر، حيث كانت قيمة اختبار "ف" 1773.372 وهي قيمة دالة إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01 وتدل على صحة العلاقة الانحدارية وجوهرية العلاقة بين المتغيرين.

ج-معامل التحديد:

جدول (5) معامل التحديد للفرض الفرعي الأول

البيان	R^2	الخطأ المعياري
معامل التحديد	0.963	0.698

يبين الجدول رقم (5) أن معامل التحديد $R^2 = 0.963$، وهو يعني أن المرونة الإستراتيجية تفسر تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر بنسبة 96.3 %، أما النسبة الباقية فتفسرها متغيرات أخرى لم تدخل في العلاقة الانحدارية بالإضافة إلى الأخطاء العشوائية الناتجة عن أسلوب سحب العينة ودقة القياس وغيرها.

مما سبق يتضح صحة الفرض الفرعي الأول، حيث: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة الإستراتيجية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

ثانيًا : اختبار الفرض الفرعي الثاني:

توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التكتيكية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

أ- معامل الارتباط:

جدول (6) مصفوفة الارتباط للفرض الفرعي الثاني

المتغير المستقل	معامل الارتباط	المعنوية	المتغير التابع
المرونة التكتيكية	0.975(**)	0.000	اليقظة الإستراتيجية
** دال إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01			

بالنظر في الجدول رقم (6)يتضح وجود ارتباط طردي ذو دلالة معنوية عند مستوى معنوية 0.01 بين المرونة التكتيكية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية ، حيث كانت قيمة معامل الارتباط 0.975 وهي قيمة دالة إحصائيًا ، وتعني أنه كلما زادت المرونة التكتيكية زادت معها تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

ب-تحليل التباين:

جدول (7) تحليل التباين للفرض الفرعي الثاني

البيان	مجموع المربعات	متوسط المربعات	اختبار "ف"	
			القيمة	المعنوية
الانحدار	4261.131	852.226	1300.318	0.000
البواقي	220.869	0.655		

بالنظر في الجدول رقم (7)يتضح وجود علاقة انحدارية بين المرونة التكتيكية وبين تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر، حيث كانت قيمة اختبار "ف" 1300.318 وهى قيمة دالة إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01 وتدل على صحة العلاقة الانحدارية وجوهرية العلاقة بين المتغيرين.

ج-معامل التحديد:

جدول (8) معامل التحديد للفرض الفرعي الثاني

البيان	R^2	الخطأ المعياري
معامل التحديد	0.951	0.810

يبين الجدول رقم (8)أن معامل التحديد 0.951 = R2، وهو يعني أن المرونة التكتيكية تفسر تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر بنسبة 95.1 %، أما النسبة الباقية فتفسرها متغيرات أخرى لم تدخل في العلاقة الانحدارية بالإضافة إلى الأخطاء العشوائية الناتجة عن أسلوب سحب العينة ودقة القياس وغيرها.

مما سبق يتضح صحة الفرض الفرعي الثاني، حيث: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التكتيكية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

ثالثاً : اختبار الفرض الفرعي الثالث:

توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التشغيلية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

أ- معامل الارتباط:

جدول (9) مصفوفة الارتباط للفرض الفرعي الثالث

المتغير المستقل	معامل الارتباط	المعنوية	المتغير التابع
المرونة التشغيلية	0.985(**)	0.000	اليقظة الإستراتيجية
** دال إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01			

بالنظر في الجدول رقم (9)يتضح وجود ارتباط طردي ذو دلالة معنوية عند مستوى معنوية 0.01 بين المرونة التشغيلية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية ، حيث كانت قيمة معامل الارتباط 0.985 وهي قيمة دالة إحصائيًا ، وتعني أنه كلما زادت المرونة التشغيلية زادت معها تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

ب-تحليل التباين:

جدول (10) تحليل التباين للفرض الفرعي الثالث

البيان	مجموع المربعات	متوسط المربعات	اختبار "ف"	
			القيمة	المعنوية
الانحدار	4345.227	434.523		
البواقي	136.773	0.412	4345.227	0.000

بالنظر في الجدول رقم (10)يتضح وجود علاقة انحدارية بين المرونة التشغيلية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر، حيث كانت قيمة اختبار "ف" 4345.227 وهي قيمة دالة إحصائيًا عند مستوى معنوية 0.01 وتدل على صحة العلاقة الانحدارية وجوهرية العلاقة بين المتغيرين.

ج-معامل التحديد:

جدول (11) معامل التحديد للفرض الفرعي الثالث

البيان	R^2	الخطأ المعياري
معامل التحديد	0.969	0.698

يبين الجدول رقم (11) أن معامل التحديد 0.969 = R2، وهو يعني أن المرونة التشغيلية تفسر تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر بنسبة 96.9 % ، أما النسبة الباقية فتفسرها متغيرات أخرى لم تدخل في العلاقة الانحدارية بالإضافة إلى الأخطاء العشوائية الناتجة عن أسلوب سحب العينة ودقة القياس وغيرها.

مما سبق يتضح صحة الفرض الفرعي الثالث، حيث: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقيق المرونة التشغيلية و تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

وبإثبات صحة الفروض الفرعية، تثبت صحة الفرض الرئيس، حيث: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين المرونة التنظيمية وب تدعيم اليقظة الإستراتيجية بشركات السيراميك في مصر.

المبحث الخامس : النتائج والتوصيات:

أولًا : تحليل اتجاهات عينة الدراسة الميدانية لليقظة الإستراتيجية وآرائها ومناقشتها:

جدول (12) تحليل اتجاهات عينة الدراسة الميدانية لليقظة الإستراتيجية وآرائها ومناقشتها.

	العبارة	المتوسط الحسابي
	أ- المرونة الإستراتيجية : قدرة الشركة على التكيف مع التغير المستمر في بيئة العمل لتحقيق الريادة السوقية	3.91
	قدرة الشركة على امتصاص الصدمات والتذبذبات السوقية	3.88
	قدرة الشركة على الاستجابة لتوقعات العملاء والارتقاء بها	4.16
	قدرة الشركة على تحقيق ميزة تنافسية مقارنة بالمنافسين	3.56
	قدرة الشركة على تحليل البيئة الخارجية لتعزيز قدرتها التنافسية	3.78
	ب- المرونة التكتيكية: قدرة الشركة على تطوير منتجات جديدة ومبتكرة	3.70
	قدرة الشركة على صياغة إستراتيجيات للمنافسة السعرية دون تقليل مستوي الجودة	3.23
	قدرة الشركة على اتخاذ القرارات السريعة لاغتنام الفرص	3.43
	قدرة الشركة على بناء شراكات مع الجهات الفاعلة في السوق	3.64
0	قدرة الشركة على المشاركة في أنشطة خدمة المجتمع والبيئة	3.37
1	ج- المرونة التشغيلية: قدرة الشركة على إدارة أنشطتها وعملياتها وفق أساليب علمية	4.02
2	قدرة الشركة على تحديث تكنولوجيا التشغيل بصفة مستمرة	4.21
3	قدرة الشركة على تعديل خطوط إنتاجها وفق متطلبات العمل	3.95
4	قدرة الشركة على خفض تكاليف الإنتاج والفاقد لأقل ما يمكن	3.85
5	قدرة الشركة على تحديث آلاتها وفق متطلبات البيئة الخضراء	3.77

يتضح من الجدول رقم (12)وبناء علي استجابات عينة الدراسة الميدانية أن اتجاهات العينة كان ايجابيًا تجاه ممارسات المرونة التنظيمية وهو الموافقة وبدرجة كبيرة علي محتوي عبارات الاستبيان حيث كان المتوسط الحسابي لكل العبارات أكبر من المتوسط المرجح (3 درجات)، حيث نجد أن لدي الشركات القدرة على التكيف مع التغير المستمر في بيئة العمل من خلال تحليل البيئة الخارجية لتحقيق الريادة السوقية وتعزيز قدرتها التنافسية وتحقيق ميزة تنافسية مقارنة بالمنافسين وبما يمكنها من الاستجابة لتوقعات العملاء والارتقاء بها؛ وكذلك فإن الشركات تعمل علي تطوير منتجات جديدة ومبتكرة وصياغة إستراتيجيات للمنافسة السعرية دون تقليل مستوي الجودة واتخاذ القرارات السريعة لاغتنام الفرص من خلال بناء شراكات مع الجهات الفاعلة في السوق، بالإضافة إلي المشاركة في أنشطة خدمة المجتمع والبيئة؛ وتقوم الشركات كذلك بإدارة أنشطتها وعملياتها وفق أساليب علمية حيث تعمل علي تحديث تكنولوجيا التشغيل بصفة مستمرة وفق متطلبات البيئة الخضراء وتعديل خطوط إنتاجها وفق متطلبات العمل وخفض تكاليف الإنتاج والفاقد لأقل ما يمكن، وكل ذلك يعكس ممارسات إيجابية للمرونة التنظيمية بالشركات.

ثانياً : تحليل اتجاهات عينة الدراسة الميدانية لليقظة الإستراتيجية وآرائها ومناقشتها:

جدول (13) تحليل اتجاهات عينة الدراسة الميدانية لليقظة الإستراتيجية وآرائها ومناقشتها.

	العبارة	المتوسط الحسابي
	قيام الشركة بمقارنة مرجعية مع الشركات الرائدة عالميًا	3.28
	متابعة التوجهات الإستراتيجية للمنافسين في نفس الصناعة	3.66
	استشراف مستقبل الصناعة لوضع الإستراتيجيات الاستباقية	3.51
	تحليل منتجات وأنشطة المنافسين ودراستها	3.37
	تحليل نقاط قوة وضعف أداء المنافسين	3.48
	البحث المستمر لرصد المعلومات الاستخبارية عن المنافسين	3.46
	بناء إستراتيجيات دفاعية استباقية ضد المخاطر السوقية المحتملة	3.74
	البحث عن قطاعات سوقية لإبراز جوانب التميز لدي الشركة	3.30
	وضع سياسات لتحقيق عوائد استثمارية مرتفعة مقارنة بالمنافسين	3.68
0	الاستجابة السريعة لتغير التوقعات للحفاظ على مكانتها السوقية	3.58

يتضح من الجدول رقم (13) وبناء علي استجابات عينة الدراسة الميدانية أن اتجاهات العينة كان ايجابيًا تجاه توفر اليقظة الإستراتيجية بالشركات وهو الموافقة وبدرجة كبيرة علي محتوي عبارات الاستبيان حيث كان المتوسط الحسابي لكل العبارات أكبر من المتوسط المرجح (3 درجات)، حيث تحرص الشركات علي القيام بمقارنة مرجعية مع الشركات الرائدة عالميًا لاستشراف مستقبل الصناعة لوضع الإستراتيجيات الاستباقية، وكذلك متابعة التوجهات الإستراتيجية للمنافسين في نفس الصناعة وتحليل ودراسة منتجات وأنشطة المنافسين ورصد المعلومات الاستخبارية عن المنافسين وذلك للوقوف علي نقاط القوة والضعف في أدائهم، وتقوم الشركات ببناء إستراتيجيات دفاعية استباقية ضد المخاطر السوقية المحتملة والبحث عن قطاعات سوقية جديدة والاستجابة السريعة لتغير التوقعات للحفاظ علي مكانتها السوقية؛ بما يمكنها من تحقيق عوائد استثمارية مرتفعة مقارنة بالمنافسين، وكل تلك المؤشرات تبرز اليقظة الإستراتيجية التي تتمتع بها الشركات محل الدراسة.

ثالثًا: التوصيات:

- ضرورة صياغة رؤية مستقبلية ذات توجه ريادي للشركات تعتمد علي ممارسات المرونة التنظيمية وبالاعتماد أساسًا علي اليقظة الإستراتيجية لاستكشاف الفرص والتهديدات المتوقعة ببيئة الصناعة، مع تحليل نتائج الأداء للتعرف علي نقاط القوة وتدعيمها ونقاط الضعف للتغلب عليها؛ بما يمكنها من تعزيز قدرتها التنافسية.
- ضرورة زيادة الاهتمام والتوسع في استخدام أدوات المرونة التنظيمية وآلياتها من خلال وضع منهج علمي وعملي مبتكر والتأسيس لمرحلة مستقبلية في العمل تقوم على التوظيف الأمثل للتقنيات المتقدمة والطاقات البشرية، بما يمكنها من تحقيق المرونة التنظيمية وفقًا لمعايير التنافسية في صناعة السيراميك عالميًا .
- ضرورة التوجه بالمرونة التنظيمية لتكون ثقافة ريادية موجهه إستراتيجيًا لدعم للابتكار والإبداع وروح المبادرة والمخاطرة المحسوبة باعتبارها من الإستراتيجيات الأساسية لتحقيق التميز المؤسسي.
- ضرورة استحداث وحدة ضمن إدارة البحوث والتطوير بالشركات خاصة بالذكاء واليقظة الإستراتيجية من أجل تزويدها بالمعلومات الضرورية لاغتنام الفرص البيئية وتجنب المخاطر المحيطة، بغية تعزيز القرارات التسويقية للشركات وزيادة قدرتها التنافسية.
- ضرورة اعتماد المرونة التنظيمية بأبعادها الثلاثة(الإستراتيجية والتكتيكية والتشغيلية) في الشركات باعتبارها منهجًا وممارسة من خلال تحديث البنى التحتية (البشرية والتقنية) للشركات بالشكل الذي يجعلها قادرة على استيعاب التغيرات البيئية عامة والسوقية خاصة وسرعة التعامل معها.

المـراجــع

أولًا : المراجع العربية:

1. الياس، بوسلهام بوسماط و عماد الدين، (2019) اليقظة الإستراتيجية في المؤسسة الجزائرية، دراسة حالة، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية، الجزائر.
2. بوقلقال الهادي، (2014) اليقظة الإستراتيجية ونظام المعلومات في المؤسسات الاقتصادية، الملتقى الدولي الثاني جامعة برج باجي مختار، عنابة 30-29 أبريل.
3. الزهيري، إبراهيم عباس، (2018)، اليقظة الإستراتيجية : مدخل لإدارة التميز لتحقيق ميزة تنافسية، المجلة التربوية، القاهرة، الجزء 52.
4. الشنطي، محمود عبد الرحمن، الشريف، شعبان. (2020). دور عمليات إدارة المعرفة في تحسين الرشاقة الإستراتيجية بالمنظمات غير الحكومية بقطاع غزة. مجلة جامعة العين للأعمال والقانون.
5. العواملة والحموري. رائد، صالح.(2020).الرشاقة والمرونة المؤسسية في الإدارة الحكومية. كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية مبادرات محمد بن راش آل مكتوم العالمية. برامج التعليم التنفيذي عن بعد، علي الرابط:

https://www.mbrsg.ae/getattachment/c7a495c2-a505-4b33-8312-3d7d4a326aed/Agility-in-Government-Administration.aspx

6. عبد الله، حيدر طه، عمير، عراك عبود .(2019). دور الرشاقة الإستراتيجية في تحقيق التفوق التنظيمي: بحث ميداني لعينة من الكليات الأهلية. مجلة جامعة الأنبار. كلية الإدارة والاقتصاد. العدد الخامس عشر.
7. عبد النوري، فتيحة،(2019)، أثر التعلم التنظيمي في تعزيز المرونة التنظيمية، دراسة حالة بمؤسستي الاتصال للهاتف النقال موبيليس، نجمة، بوكالة أم البواقي، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعتلوم التسيير، الجزائر.
8. بن عدة، رقية، (2018)، دور اليقظة الإستراتيجية في تحقيق الميزة التنافسية، دراسة حالة مؤسسة موزع وطني للأدوية، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر.

9. فـرح، صفـاء ياسـر، (2019م). أثـر الرشـاقة التنظيميـة علـى الاسـتغراق الوظيفـي فـي الشـركات الزراعيـة بولاية القضارف. السودان. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية. العدد الثالث. المجلد الثالث.

10. النجـار، محمـد فايـز جمعـة، (2020)، اليقظـة الإسـتراتيجية وأثرهـا فـي إدارة المشـاريع فـي شـركات الاتصالات الأردنية، المجلة العالمية للاقتصاد والأعمال، المجلد 8، العدد 3.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Abed، Omar Weld; Alouti، Lamine، (2017)، Mechanisms of Applying Strategic Vigilance in the Algerian Economic Companies Case Study: Applied Study of Cement Company of Chlef، Revue Académique des Études Sociales et Humaines; Chlef، Iss. 17، PP. 3-15.

2- Bendiabdelats Abdesselem، (2012)، flexibilité de l'emploi employabilité et développent des compétence، thèse de doctorat option : management des ressources humaines، université abou bekr belkaid –Tlemcen،Algérie.

3- Benson H. Lim، Florence Y. Ling، and William C. (2012)،"Mathematical Models for Predicting Organizational Flexibility of Construction Firms in Singapore"، Journal of Construction Engineering and Management، Vol. 138، No. 3.

4- Bock، A. J. Opsahl. T & George، G (2017) " The Effects of Culture and Structure on Strategic Flexibility during Business model Innovation" The University of Edinburgh.

5- Gerry J Et Kevan Sh،(2000)، La Veille Stratégique، Edition Publi- Union، Paris.

6- Glenn C. and Theodore J. Gordon،(2009) Futures Research Methodology Version 3.0 Jerome،. http://library،teachthefuture.org/wp-content/uploads/201701//Futures-Research-Methodology-version-3.pdf.

7- Guodong Ni et al،(2021). Influence Mechanism of Organizational Flexibility on Enterprise Competitiveness: The Mediating Role of Organizational Innovation، Sustainability; Basel، Vol. 13، Iss. 1.

8- Gross، Raushan، (2020) The Influence of Followership Styles in Organizational Strategic Flexibility: A Theoretical Integration،، PhD.Management Review : An International Journal; eoul Vol. 15، Iss. 1، (Summer): 4-24.

9- _____، (2020)، CONSTRUCTING A RELATIONSHIP BETWEEN ENTREPRENEURIAL LEADERSHIP AND ORGANIZATIONAL FLEXIBILITY، Delhi Business Review . Vol. 20، No. 1.

10- Hitt، M.A. & Ireland، R. D. & Hoskisson، R. E. (2011). "Strategic Management: Competitiveness and Globalization" South – Western ، Gengage Learning.

11- Janissekmuniz، Humbertlesca، (2013)،veillestratégique، application d'internet pour provoquer des informations،.

12- Jean françois miaux،(2018)،mise en oeuvre d'une activité de veille la cas de réseau ferré de France ;Conservatoire national des arts et métiers institut national de technique de documentation.

13- Kamasak، R. ; Yavuz، M. ; Karagulle، A. & Agca، T. (2016). " Importance of Strategic Flexibility on the Knowledge and Innovation Relationship: An Emerging Market Study"،Procedia – Social and Behavioral Sciences 229.

14- Ke، J.، Chao، G.، & Li، D. (2016)، Empirical Study on the Relationship between Organizational Flexibility and Performance of Agricultural Enterprise. Asian Agricultural Research، 8(1812-2016-144667)، 1.

15- Lim، B.، Ling، F.، Ibbs، C.، ASCE.، M.، Raphael، B.،& Ofori، G.(2011)، Empirical Analysis of the Determinants of Organizational Flexibility in the Construction Business، Journal Of Construction Engineering and Management.

16- Shalender، K.، & Singh، N. (2015). Marketing flexibility: Significance and implications for automobile industry. Global Journal of Flexible Systems Management، 16(3).

17- Singh، D. ; Oberoi، J. & Ahuja، I. (2013). "An Empirical Investigation of Dynamic Capabilities in Managing Strategic Flexibility in Manufacturing Organizations"، Management Decision،Vol. 51، No.7.

18- Srour، M. ; Baird، K.& Schoch، H. (2016). "The Role of Strategic Flexibility in the Associations between Management Control Systems Characteristics and Strategic Change"، Contemporary Management Research، Vol. 12، No. 3.

تحدّيات قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية: وجهة نظر أصحاب المصالح

The challenges of the insurance sector in Saudi Arabia: the point of view of the stakeholders group.

إعداد

د. عامر محمد الشهري

أستاذ المحاسبة المالية المساعد- قسم المحاسبة - كلية الأعمال - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

د. تركي سليمان الزميع

أستاذ المالية المساعد - قسم المالية - كلية إدارة الأعمال - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على واقع قطاع التأمين السعودي، والتعرّف على المشكلات والتحدّيات التي تعوق تطوّره، وبالتالي تحدّ من قدرته على أن يكون عنصرًا أساسًا في تحقيق التنمية المستدامة للاقتصاد السعودي وتعزيزها ، بما يتفق مع رؤية المملكة 2030. تتحدد أهداف البحث في استكشاف الواقع الحالي لهذه التحدّيات من وجهة نظر أصحاب المصالح، ثم دراسة تأثيرها على تطور قطاع التأمين بالمملكة ونموّه. كما يهدف البحث إلى التعرف على تأثير هذا القطاع على الناتج المحلي، وعلى توطين الوظائف؛ ولتحقيق هذه الأهداف؛ تبنت منهجية الدراسة أسلوبين متلازمين: الأول/الدراسة الميدانية عن طريق تصميم استبانات مختلفة؛ لاستطلاع آراء الأطراف ذات العلاقة وهم: (موظفو شركات التأمين، وعملاؤها، وموظفو الجهات الرقابية الرسمية) وأُعد استبيان مختلف لكل فئة، وقد بلغت العينات المستجيبة (450) عينة. والآخر/اعتمد على التحليل المالي والتشغيلي لشركات التأمين السعودية للفترة من 2010-2014م. وقد أظهرت النتائج: اتفاق عينات الدراسة الثلاثة على حاجة قطاع التأمين بالمملكة إلى إعادة هيكلة وتطوير. كما أظهرت النتائج انخفاض معرفة عينة الدراسة لأنواع الخدمات التي تقدمها شركات التأمين. ووجود مغالاة في أسعار معظم أنواع التأمين. وندرة في الكوادر الفنية المؤهلة في معظم شركات التأمين. ووجود قصور في البيئة التشريعية والرقابيّة الحكومية على القطاع. واختتم البحث بمجموعة من التوصيات؛ لمعالجة تلك التحدّيات، ومن أهمها ضرورة تبني إستراتيجية شاملة لتطوير قطاع التأمين وهيكلته للإسهام في تحقيق رؤية 2030م. وإنشاء هيئة عليا للتأمين في المملكة، وإعادة ضبط التوسع في إنشاء شركات التأمين وفق الحاجة الفعلية، وضرورة مراقبة أسعار التأمين وضبطها لحماية المستفيدين.

الكلمات المفتاحية: (سوق التأمين السعودي – تحدّيات قطاع التأمين السعودي – التأمين التعاوني- أقساط التأمين المكتتب – كثافة التأمين)

Abstract:

The study aims to search the reality of the Saudi insurance sector، to identify the problems and challenges that hinder its development، and thus limit its ability to be an essential element in achieving and promoting the sustainable development of the Saudi economy، in line with the Kingdom's vision 2030. The research objectives are determined to explore the current situation from the point of view of stakeholders، then studying its impact on the development and growth of the insurance sector in the Kingdom. The research also aims to identify the impact of this sector on the GDP، and on the localization of jobs. To achieve these goals; the study methodology adopted two related methods: the first field study، by designing different

questionnaires. To survey the opinions of the relevant parties، who are (employees of insurance companies، their clients، and the employees of official regulatory authorities). A different questionnaire was prepared for each category، and the respondents reached (450). In addition، the second، was based on the financial and operational analysis of Saudi insurance companies for the period from 2010-2014. The results showed that the agreement of the three parties for the need to restructuring and development of the insurance sector in the Kingdom. The results also showed a decrease in the study sample's knowledge of the types of services provided by insurance companies، and the presence of excessive prices for most types of insurance. In addition، it showed a lack of qualified technical personnel in most insurance companies. Moreover، the presence of deficiencies in the legislative environment and governmental oversight of the sector. The study was concluded with a set of recommendations; to address these challenges، the most important of which is the need to adopt a comprehensive strategy for developing and structuring the insurance sector to contribute to achieving Vision 2030، nd the establishment of a supreme insurance commission in the Kingdom، re-adjusting the expansion of the establishment of insurance companies according to the actual need، and finally، the need to monitor and control insurance rates to protect the beneficiaries.

Keywords: (Saudi insurance market - challenges of the Saudi insurance sector - cooperative insurance - subscribed insurance premiums - insurance density)

المقدمة:

يعد قطاع التأمين من القطاعات المالية المهمة التي تسهم إسهامًا كبيرًا في اقتصادات كثير من الدول سواء: أكان في قطاع التوظيف، أم في الإسهام في الناتج المحلي الإجمالي، أم في دفع الضرائب لخزينة الدولة؛ بالإضافة إلى دوره في إدارة المخاطر سواء: أكان للأفراد، أم الشركات.

ويعد هذا القطاع قطاعًا ناشئًا في السوق السعودي، وعلى الرغم من أهميته الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية، فإن هذا القطاع لا يزال في مراحل التطوير؛ بهدف تحقيق الإفادة المثلى منه على المستوى المحلي. ولأهمية هذا الموضوع، وارتباطه بجوانب عدة: كالجانب الاقتصادي، والصحي، والاجتماعي، والاستثماري؛ ستتناول هذه الدراسة واقع قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية، ودوره الحالي في المشاركة في الاقتصاد الوطني، والتحديات التي تواجه هذا القطاع من وجهة نظر أصحاب المصالح، وما ينبغي أن يكون عليه. كما سيستعرض الدراسات لتكوين رأي مبني على المقارنات مع قطاع التأمين في كل من: الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة "بريطانيا"، والإمارات العربية المتحدة، وستستعرض الدراسة أهمية قطاع التأمين بالأرقام في كل من هذه الدول، مع الإشارة إلى الدور الذي يؤديه في اقتصاداتها. وقد اختيرت هذه الدول لعدة أسباب أهمها: تطور أسواق التأمين فيها، بالإضافة إلى ثراء

التجارب في القطاع في الولايات المتحدة وبريطانيا، فعلى سبيل المثال، وبناء على إحصاءات جمعية التأمين البريطانية: بلغت استثمارات قطاع التأمين البريطانية أكثر من 1.9 ترليون جنيه إسترليني، وبلغت ضرائب القطاع المدفوعة أكثر من 11.8 بليون جنية إسترليني، ويوظف القطاع أكثر من 324 ألف موظف (Association of British Insurance، 2014). أما بالنسبة إلى اختيار قطاع التأمين في دولة الإمارات العربية المتحدة ؛ فللتشابه في الخلفيات الثقافية والدينية بين المجتمعين السعودي والإماراتي، وكذلك بسبب حداثة القطاع في كلتا الدولتين، بالإضافة إلى خاصية اعتماد اقتصاد كلتا الدولتين على النفط باعتباره مصدرًا أساسًا للدخل.

مشكلة الدراسة:

يواجه قطاع التأمين السعودي كثيرًا من المشكلات والتحدّيات التي تعيقه عن تقديم خدمات ذات كفاءة للمستهلكين، وجعله مسهِمًا رئيسًا في تعزيز التنمية المستدامة للاقتصاد السعودي؛ ولذا فإن مشكلة الدراسة تتمثل في الإجابة عن السؤال الآتي:

- ما أهم التحدّيات والعوائق التي تواجه الأطراف ذات العلاقة بقطاع التأمين في المملكة العربية السعودية؟

ويمكن أن يتفرع من ذلك الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما هو دور قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية؟
- ما هو رأي عينة الدراسة (موظفي قطاع التأمين، وممثلي الجهات الرقابية، و المستفيدين والعملاء) في التحديات التي تواجه قطاع التأمين؟
- ما هو أثر التحديات التي تواجه قطاع التأمين على الناتج الوطني؟

هدف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في محاول التعرف على التحديات التي تواجه قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية ويمكن أن يتفرع من هذا الهدف الأهداف الفرعية الآتية:

- التعرف على دور قطاع التأمين في دعم التنمية في المملكة.
- التعرف علي رأى عينة الدراسة في التحديات التي تواجه قطاع التأمين.
- تحديد أثر التحديات التي تواجه قطاع التأمين على الناتج الوطني.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة أسلوبين لتحقيق أهداف الدراسة: الأول/الدراسة الميدانية من خلال جمع بيانات أوليّة وتحليلها باستخدام أداة الاستبانة وتم تصميم ثلاث استبانات؛ لاستطلاع آراء الأطراف ذات العلاقة بقطاع التأمين:(عملاء شركات التأمين، وموظفوها، ومسؤولو الجهات الرسمية الإشرافية والرقابية)، والتي بلغ عدد العينات المستجيبة منها (450) عينة، بالإضافة إلى عمل عدد من المقابلات الشخصية مع مسؤولي شركات التأمين، ومسؤولي الجهات الإشرافية. الثاني/تحليل البيانات الثانويّة التي حُصل عليها من مصادر مختلفة: كالكتب، والدوريّات، والمراجع، والتقارير، والنشرات.

حدود الدراسة:

تبين حدود الدراسة الإطار العام الذي التزمت به الدراسة؛ ومن حيث موضوع الذي يناقش "تحدّيات قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية: وجهة نظر أصحاب المصالح". وأما من حيث الحدود البشرية؛ فقد تم تطبيق الدراسة على عدد من أصحاب المصالح في المملكة العربية السعودية، ويشمل مجتمع الدراسة كلًّا من: المواطنين السعوديين والمقيمين بالمملكة الذين يخضعون لنظام التأمين الصحي التعاوني، وشركات التأمين وإعادة التأمين التعاوني العاملة في المملكة العربية السعودية، ومؤسسة النقد العربي السعودي، ومجلس الضمان الصحّي التعاوني. وبالنسبة للحدود الزمنية؛ فقد طُبقت الدراسة الميدانية بين عامي 1439 وعام 1441هـ في حين أن الإطار الزمني للتحليل المالي والتشغيلي لشركات التأمين السعودية فقد شمل الفترة من 2010-2017م.

تقسيمات الدراسة:

تتناول هذه الدراسة في الأقسام التالية كلا من: قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية، وإجراء بعض المقارنات مع دول المقارنة، والتي أُختيرت لتكون مقياسًا إرشاديًّا؛ للتعرف على واقع قطاع التأمين في الدول المتقدمة والدول الشقيقة، كما سيُستعرض عدد من الدراسات السابقة، وفي القسم التالي سيُتحدث عن الدراسة الميدانية، والبيانات التي حُصل عليها، وتحليلها بشكل يسهم في فهم الواقع، واقتراح التوصيات الملائمة، وفي القسم الأخير سنستعرض نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها، وإبراز أهم المقترحات التطويرية للقطاع.

الدراسات السابقة:

- تناولت دراسة الشهري (2012) تحليل تطبيقات التأمين التكافلي بالمملكة العربية السعودية، وأبرز معوقاته من المنظور الفقهي أساسًا، وقد اعتمدت على شركتين من شركات التأمين السعودي في

المجال التطبيقي للدراسة؛ بهدف معرفة مدى التزامهما الشرعي بأحكام وضوابط التأمين التعاوني، والوقوف على المعوقات التي تواجه التأمين التكافلي، وكانت أبرز النتائج وجود بعض المعوّقات الشرعية، وضعف المعرفة بصناعة التأمين التعاوني لدى جميع الأطراف، والمعوق الفني بجانبيه: التنظيمي من الجهات الرسمية وجوانب القصور فيها، والتشغيلي بنقص الكوادر الإدارية والبشرية لدى شركات التأمين، ومعوّق ضعف الملاءة المالية لدى شركات التأمين.

- دراسة الجرف (2009) والتي هدفت إلى تقييم نظامَيْ مراقبة شركات التامين التعاوني، ومجلس الضمان الصحي التعاوني في المملكة العربية السعودية، ولائحتهما التنفيذية، وعقود شركات التأمين المطبقة من قبل شركات التأمين فقهيًّا، وقد خلصت الدراسة: إلى أن أنظمة التأمين ولوائحها وتطبيقاتها – على وجه الخصوص – أقرب إلى التأمين التجاري منها إلى التأمين التعاوني؛ مما يجعلها متعارضة مع المادة الأولى من نظام مراقبة شركات التأمين التي تنص على أن شركات التأمين تعمل بأسلوب التأمين التعاوني حصرًا، وبما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية؛ ويترتب على هذا التعارض والمخالفة؛ الحاجة إلى إعادة صياغة تلك الأنظمة واللوائح أولًا، ثم إعادة صياغة وثائق التأمين على ضوء ذلك.

- كما تناولت دراسة العوني (2017) أثر جودة الخدمات لقطاع التأمين على رضا العملاء وولائهم في المملكة العربية السعودية بالتطبيق على قطاع التأمين الصحي نظرًا لحجمه المهيمن على القطاع من خلال عينة مسحية بلغت 384 مستجيبًا من عملاء الشركات الثلاث الكبرى المهيمنة على قطاع التأمين الصحي. وقد أوضحت أن أهم العوامل المؤثرة في جودة خدمات التأمين لدى العملاء هي مستوى ونوعية الاتصال مع العملاء، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، المعرفة المقدمة لهم عن التأمين، وخبرات العملاء.

- وفي نفس السياق استهدفت دراسة العجلان و محمد (2020) تحليل وقياس أثر التأمين على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (1992-2017)، وذلك باستخدام المنهج الوصفي والأسلوب القياسي، وقد خلصت الدراسة: إلى أنه كان للتأمين أثر إيجابي ومعنوي على النمو الاقتصادي في الأجلين القصير والطويل.

- كما استهدفت دراسة العنزي (2009) المقدمة لمؤتمر التأمين التعاوني الوقوف على معوقات صناعة التأمين التعاوني في المملكة العربية السعودية، وقد حددت تلك المعوقات بالتالي: المعوق الشرعي وإشكالات الجدل الفقهي بخصوص ضوابط التأمين التعاوني المشروع. والمعوق الثقافي وغياب المعرفة والثقافة التأمينية بشكل عام حتى في أوساط النخبة. والمعوق الفني لصناعة التأمين بجانبية التنظيمي والقضائي الرسمي، والجانب التشغيلي لدى العاملين في شركات التأمين، وضعف الأهلية ونقص الخبرة لديهم. والمعوق الرقابي بنوعيها الشرعي والنظامي، وما يكتنف عملها من قصور وخلل.

- كما استهدفت دراسة هادية وآخرين (2019) تقييم أداء محفظة قطاع التأمين في السوق المالي السعودي خلال الفترة 2018-2008، بالإضافة لتحليل العائد والمخاطر لتنويع شركات التأمين لمحافظها الاستثمارية، ومعرفة الجوانب النظرية والتطبيقية من خلال النظرية الحديثة للمحافظ الاستثمارية في تقييم أدائها، مستخدمة المنهج الوصفي للجانب النظري، والمنهج التحليلي للجانب التطبيقي. وخلصت الدراسة إلى أن لشركات التأمين السعودي دورًا حيويًّا في السوق المالي السعودي، وفي تمويل اقتصاد الدولة؛ لكونها أداة مناسبة وفعالة لتجميع المدخرات واستثمارها، وأن لشركات التأمين دورًا كبيرا في تطوير السوق المالي السعودي.

- وهدفت دراسة إسماعيل (2012) إلى تقييم مدى نجاح الاندماج بين شركة تأمين رابحة وأخرى خاسرة في سوق التأمين التعاوني السعودي، عن طريق قياس أداء الشركة المدمَجة باستخدام أسلوب تحليل المسار، بهدف ترشيد القرارات المتعلقة بالاندماجات. وكان أهم نتائج الدراسة: هو تحديد أهم المؤشرات المالية المؤثرة على نجاح الاندماج من عدمه. وبينت الدراسة أنه كان هناك عمليات اندماج ناجحة، وأخرى فاشلة.

- كما تناولت دراسة برعي (2016) سوق التأمين الصحي السعودي على وجه الخصوص بالدراسة مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي للفترة بين (2014-2005) من خلال سبعة مؤشرات، وكان من أهم نتائج الدراسة هو: تعاظم قطاع التأمين الصحي في سوق التأمين السعودي، وأنه يمثل العمود الفقري للقطاع، بنسبة إجمالية تفوق نسبة 50% في كل مؤشرات وأرقام القطاع، بل وتصل في بعض المؤشرات إلى نسبة الثلثين أو قريبًا منها.

- وحديثا استهدفت دراسة الشهراني (2020) العوامل المؤثرة على تحديد أسعار بوليصة التأمين في المملكة العربية السعودية، من خلال دراسة استطلاعية على شركات التأمين الصحي، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي، ومنهج الدراسة الميدانية بواسطة أداة استبانة على عينة مكونة من (200) موظفٍ يمثلون (27) شركة، هي عدد شركات التأمين في المملكة. وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: دعوة شركات التأمين إلى ضرورة تخفيض أسعار بوليصة التأمين؛ حتى تناسب كافة شرائح المجتمع، وأن يكون التأمين الصحي شاملًا لأكبر مدى ممكن من الخدمات الصحية، مع ضرورة بيان حجم التغطية التي يغطيها قسط بوليصة التأمين عند التعاقد.

التعقيب على الدراسات السابقة، وما تنفرد به هذه الدراسة:

دراستا: الشهري (2012) والجرف (2009) تناولت قطاع التأمين السعودي من المنظور الفقهي، وليس الاقتصادي أو المالي - بخلاف الدراسة الحالية التي تتناول الجوانب الاقتصادية والمالية بالأساس، حيث ركزت دراسة الجرف على البيئة التشريعية ومدى التزامها بالضوابط الشرعية، بينما كانت دراسة الشهري

لديها جانب تطبيقي ودراسة حالة، وانفردت بذكر عدد كبير من عوائق قطاع التأمين التعاوني في المملكة. بينما اختصت دراسة العجلان ومحمد (2020) بكونها تحليلية قياسية لأثر قطاع التأمين على نمو الاقتصاد السعودي، دون التعرض للعوائق والمشكلات التي تعترض نموه وتطوره، لا على المستوى النظري، ولا على المستوى التطبيقي من خلال استبانات تستهدف مختلف الأطراف في قطاع التأمين، كما فعلته الدراسة الحالية. بينما تعرضت دراسة العنزي (2009) لتلك المعوقات إلا أن ذلك كان بشكل إجمالي، دون الاستناد إلى بيانات أو إحصاءات، أو دراسة تطبيقية. واختصت دراسة إسماعيل (2012) ببحث مسألة الاندماج بين شركات التأمين، وعوامل ومؤشرات النجاح والفشل فيها، وهو جزء نظري واحد من جوانب دراستنا النظرية الأشمل. وقد كانت دراسة هادية وآخرين (2019) مقتصرة على دراسة أداء المحافظ الاستثماري وتقييمها لشركات التأمين، وأثرها على القطاع المالي السعودي، ومجمل الاقتصاد الوطني. أما دراسة برعي (2016؛ العوني، 2017؛ الشهراني، 2020) فهي دراسات لجانب واحد من جوانب قطاع التأمين، وهو التأمين الصحي، على أهميته ونصيبه الكبير في القطاع، وفي ضوء ما سبق فإن الدراسة الحالية تتميز بمحاولة سد الفجوة التي تتعلق بمجمل جوانب قطاع التأمين والعوائق والمشكلات التي تعيق تطوره من وجهة نظر أصحاب المصالح؛ بالاستناد على دراسة مسحية ميدانية. كما تنفرد الدراسة الحالية بعمل مقارنات مع نماذج اقتصادية كبرى، وأخرى إقليمية مشابهة؛ للوقوف على مدى إسهام القطاع في الاقتصاد الوطني مقارنة بتلك النماذج.

قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية:

إلى ما قبل عام 2003م كان قطاع التأمين يتألف من شركة واحدة تملكها الدولة هي (الشركة التعاونية للتأمين)، وحوالي 130 مؤسسة تأمين غير خاضعة للتنظيم والرقابة، كانت تعمل كوكالات لشركات تأمين خارجية (العجلان ومحمد، 2020). وفي عام 2003م صدر نظام التأمين والمتضمن 21 مادة تحدد الجهات المعنية بالإشراف والرقابة على أعمال شركات التأمين، والحقوق والواجبات المختلفة لشركات التأمين، وإعادة التأمين. وتبعه صدور نظام مراقبة شركات التأمين التعاوني، ولائحةٍ تنفيذية لها، وأعطى صلاحية منح التراخيص والإشراف والرقابة على أعمال شركات التأمين لمؤسسة النقد العربي السعودي. ولقد نما قطاع التأمين بعد هذا النظام بشكل كبير، وخلال الأعوام ما بين 2010 و2018م نما بمعدّلِ مركّبٍ سنويّ بلغ 20.91% (الشكل رقم 1). وكان لصدور نظام إلزامية التأمين الصحي على جميع المواطنين والمقيمين العاملين بالقطاع الخاص وأسرهم الأثر الأكبر على هذا النمو. حيث يبلغ عدد المقيمين ما يقارب 10ملايين يمثلون حوالي ثلث سكان المملكة (30.8 مليون نسمة). وقد بلغ من يشملهم إلزامية التأمين الصحي من العاملين في القطاع الخاص من مواطنين ومقيمين 10 ملايين بين أعوم 2014 و2018م، يبلغ عدد المقيمين منهم ما يقارب 8.5 مليون مستفيد، وبحساب معدل المقيمين المشمولين بالتأمين الصحي مع أسرهم، وبغير أسرهم، مع المواطنين العاملين في القطاع الخاص - غير المشمولة أسرهم بقرار

الإلـزام – بلـغ العـدد المقـدَّر لمـن يشـملهم إلزاميـة التأميـن الصحـي حوالـي 19 مليـون شـخص (برعـي، 2016). وقد بلـغ إجمالـي قيمـة الأقسـاط المكتتبـة أكثـر مـن 30 مليـار ريـال فـي عـام 2014 وبزيـادة مسـتمرة لتصـل إلـى 37.89 مليـار ريـال فـي عـام 2019م، وقـد اسـتقطب قطـاع التأميـن مـا يقـارب 9.559 موظفًـا للعمـل فـي هـذا القطـاع، تبلـغ نسـبة المواطنيـن بينهـم 57% تقريبًـا، وبلـغ حجـم سـوق التأميـن نسـبةً إلـى الناتـج المحلـي الإجمالـي 1.1%، وفقًـا لتقريـر مؤسسـة النقـد العربـي السـعودي لعـام 2014م (مؤسسـة النقـد، 2015). الجـدول رقـم 1 يوضـح مقـدار النمـو فـي عـدد مـن المتغيـرات بيـن أعـوام 2010 و2018م. علمـا بـأن إجمالـي أقسـاط التأميـن المكتتـب بها قد نمت بنحو أربعة أضعاف خلال 10 سنوات بين 2010-2007م (العجلان ومحمد، 2020).

الشكل رقم 1: قيمة أقساط التأمين المكتتب بها في السوق السعودي للأعوام 2012–2019

تسـتحوذ حصّـة التأميـن الصحّـي علـى نسـبة تزيـد عـن 52% تليهـا أقسـاط التأميـن العامـة بنسـبة 45%، ويليهـا حسـاب الادخـار بنسـبة 3%. ويمثـل التأميـن علـى المركبـات والتأميـن الصحـي 77.9% مـن إجمالـي أقسـاط التأميـن المكتتـب بهـا فـي عـام 2014م (الشـكل رقـم ٢)، واسـتمرت نفـس الوتيـرة حتـى العـام 2018 حيـث شـكلت نسـبة التأميـن الصحـي النسـبة الأعلـى بحوالـي 53.77%، تليهـا التأميـن علـى المركبـات 30.61% فـي حيـن شـكلت أنـواع التأميـن الأخـرى المتبقـي مـا يقـارب 15.62% (الشـكل رقـم 2)؛ ويكمـن سـبب زيـادة الطلـب علـى التأميـن الصحـي والتأميـن علـى المركبـات بسـبب الإلزاميـة عليهمـا (العجـلان و محمـد، 2020)، علمًـا بـأن ثـلاث شـركات تأميـن فقـط تهيمـن علـى مـا يقـارب مـن نصـف إجمالـي حصـة سـوق التأميـن الصحـي، بنسـبة 49.91%. (الشـهراني، 2020؛ العونـي، 2017)، ويعـد هـذا الحجـم الكبيـر لقطـاع التأميـن الصحـي عامـلًا مهمًـا فـي رفـع معـدل نمـو الاقتصـاد الوطنـي للمملكـة؛ مـن خـلال التوسـع فـي جلـب الاسـتثمارات الصحيـة، وتوفير فرص عمل أكثر للمواطنين (برعي، 2016؛ الشهراني، 2020).

بينمـا تتـوزع بقيـة حصـة سـوق التأميـن السـعودي البالغـة 22% بيـن بقيـة أنـواع التأميـن الأخـرى، والتـي يغلـب عليهـا الصفـة غيـر الإلزاميـة، مـا يعكـس خلـلًا فـي مهـارات التسـويق لـدى الشـركات (إسـماعيل، 2012) وقـد أوصـت هـذه الدراسـة بضـرورة تنميـة حجـم الاكتتـاب فـي فـروع التأميـن غيـر الإلزامـي - خصوصًـا - التـي تتمتّع بالانخفاض النسبي في معدلات الخسائر؛ لتقوية مراكزها المالية في السوق.

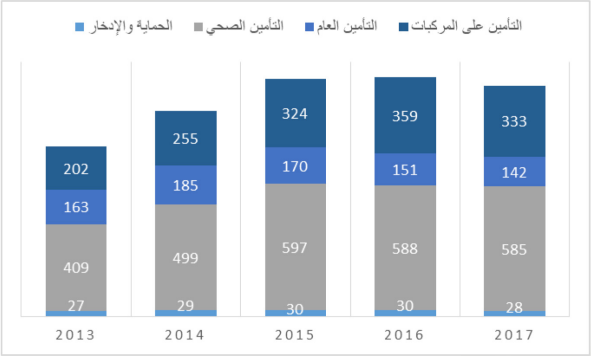

الشكل رقم 2: كثافة التأمين لقطاعات التأمين الرئيسة (المصدر: البلاد المالية)

مع التطور الذي قابله قطاع التأمين نما عدد شركات التأمين وإعادة التأمين العاملة في هذا المجال وأصبحت 35 شركة منذ العام 2014م وحتى الآن، كما بلغ عدد وسطاء التأمين 64 وسيطًا، وعدد مكاتب وكلاء التأمين 69 مكتبًا. أما بخصوص هيكلة سوق التأمين وأحجام ما تستحوذ عليه تلك الشركات من الحصة السوقية، فإن أقل من ثلثها (12) شركة تستحوذ على ثلثي السوق على مدى العقد الماضي (البلاد المالية، 2015، البلاد المالية،2017).

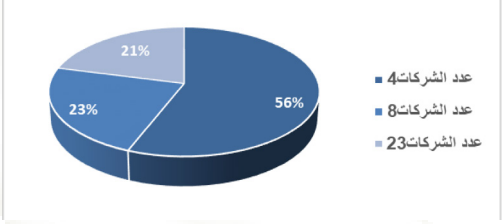

الشكل رقم 3: الحصة السوقية لشركات التأمين في السوق السعودي. (المصدر: البلاد المالية)

يتضح من الشكل (3) أن 56% من السوق تسيطر عليه أربع شركات فقط، و23% يقع في نطاق ثماني شركات، و21% لبقية الشركات وعددها ثلاثة وعشرون شركة. وهنا يتضح مدى تمركز السوق في أقل من عشرة بالمئة. وهذا يدل على أن عددًا قليلًا من شركات التأمين العاملة بالمملكة، تستحوذ على معظم العمليات التأمينية، وأن المنافسة بين شركات التأمين غير متكافئة (إسماعيل، 2012).

ومنذ إقرار اللائحة التنفيذية لنظام التأمين التعاوني في عام 2004م مرّت المنافسة بمرحلتين: بدأت الأولى عام 2005م، وشهدت احتدامًا كبيرًا للمنافسة بين الشركات، وانتهت المرحلة عام 2013م بتحقيق خسارة صافية على مستوى السوق، قدرها 1.428 مليون ريال؛ نتيجة لضغط احتدام المنافسة على أسعار التأمين، ودفعت بعض الشركات إلى تجاوز القواعد الفنية للممارسة. وإزاء هذا الوضع أصدرت مؤسسة النقد العربي السعودي عددًا من القواعد والتعليمات لحوكمة قطاع التأمين العامل في المملكة؛ وذلك لتصحيح أوضاع السوق، وضبط ممارساته، بما فيها تعديل طرق احتساب الاحتياطات الفنية، وتنفيذ آلياتٍ

للتسعير؛ تستند إلى التحليل الاكتواري. وكان لهذه الإجراءات تأثيرات إيجابية على نتائج السوق عام 2014م؛ إذ حقّقت أرباحًا صافية قدرها 735 مليون ريال.

وعلى ضوء تلك التعليمات والإصلاحات دخلت المنافسة في السوق مرحلتها الثانية التي عملت فيها شركات التأمين على تحسين مستوى الخدمة، وارتفع مؤشر أسهمها بنسبة 6.1% في عام 2014م.

الجدول رقم (1): إحصاءات مختارة عن قطاع التأمين السعودي

	2010	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018
عدد شركات التأمين وإعادة التأمين	34	34	35	35	35	35	35	35	35
إجمالي أقساط التأمين لمكتتب (بها (مليار ريال	16.38	18.5	21.17	25.24	30.48	36.49	36.85	36.50	35.01
إجمالي أقساط التأمين المكتتب بها نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي (عمق التأمين)	%0.97	%0.85	%0.78	%0.90	%1.08	%1.49	%1.54	%1.42	%1.20
معدل إنفاق الفرد على التأمين (سنويًا (ريال	604	682	725	864	991	1168	1159	1121	1048
عدد موظفي شركات التأمين	7081	7457	8519	9261	9559	9682	10039	11272	11726
نسبة المواطنين من عدد الموظفين	%50	%53	%55	%56	%57	%59	%58	%69	%72

ويظهر من الجدول السابق أن قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية بشكل عام قد نما خلال مدة الدراسة، وإن كان بنسب غير متفاوتة، فقد شهد إجمالي أقساط التأمين المكتتب بها ارتفاعًا في معدل النمو السنوي المركب بنسبة 20.91% خلال الفترة 2010-2018م (مؤسسة النقد، 2010؛ 2018).

أما بالنسبة لإجمالي أقساط التأمين المكتتب بها نسبةً إلى الناتج المحلي الإجمالي (عمق التأمين) فقد شهد ارتفاعًا في معدل النموّ السنوي المركب بنسبة تتجاوز 5.46% خلال الأعوام 2010-2018م (الشكل رقم 4).

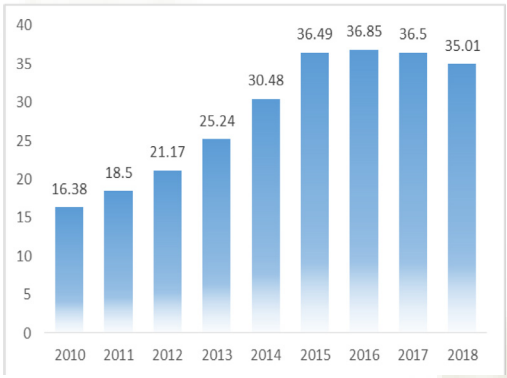

(الشكل رقم 4): إجمالي أقساط التأمين المكتتب فيها (مليار ريال).

أما بالنسبة لكثافة التأمين فقد ارتفع مستوى إنفاق الفرد على الخدمات التأمينية بنسبة 14.77% في المتوسط خلال المدة نفسها: حيث بلغت الكثافة 991 ريالًا في عام 2014م (الشكل رقم ٥)، كان نصيب التأمين الصحي منها 510.9 ريالًا، أي أكثر من نصف مؤشر كثافة التأمين ككل (برعي، 2016). وتعد كثافة تأمين الحماية والادخار منخفضة جدًّا مقارنة بالتأمين العام والتأمين الصحي؛ حيث بلغت 29 ريالًا للفرد (مؤسسة النقد، 2015). أما عدد موظفي القطاع فنما بمعدل سنوي مركّب لا يتجاوز 13.44%، علمًا أن نسبة الموظفين السعوديين إلى عدد الموظفين الإجمالي قد حققت زيادة ملحوظة، وقد تراوحت بين 50% إلى 72% خلال الفترة من 2010 إلى 2018؛ وهو ما يظهر نتائج لسياسة التوطين التي تتبعها مؤسسة النقد على هذا القطاع، وإن كانت النسبة إلى الآن أقل من المأمول وهو ما يعيده الخبراء إلى ندرة المخرجات التعليمية في تخصصات التأمين في الجامعات والمعاهد السعودية، وعزوف كثير من الشباب السعودي عن دراسة التأمين لأسباب دينية واجتماعية، وتعثر خطط سعودة القطاع بسبب غياب الواقعية، أو عدم وضوح البرامج (العنزي، 2009). علمًا بأن دراسة العجلان و محمد (2020) أكدت على وجود تحسّن في نسب التوطين والتي ارتفعت بأكثر من 10% سنة 2017م لتصل إلى 69%؛ وفي هذه الدراسة وصلت إلى 72% في 2018، وهذا يؤكد على إسهام أنظمة التوطين والسعودة التي طُبقت.

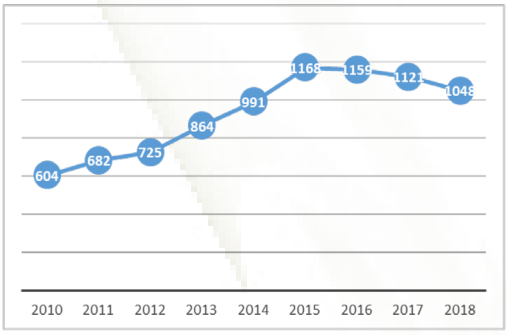

(الشكل رقم 5): معدل إنفاق الفرد على التأمين سنويا (كثافة التأمين بالريال)

ب .أداء شركات التأمين السعودية:

من الملاحظ أن هناك تفاوتًا كبيرًا بين الحصص السوقية لشركات التأمين في المملكة، حيث يعد وجود 35 شركة تأمين في السوق السعودي كبيرًا جدًّا، وأكبر من حاجته. وعند التدقيق في رؤوس الأموال لهذه الشركات، وآلية عملها، واحتياطاتها وخبراتها وقدراتها؛ يتضح أن السوق لم يُخصّص، ولم يُصمّم للشركات التي ستَبني كيانات قوية في السوق السعودي، وتوطِّن خبراتها، وتفي باحتياجات المواطنين؛ وهو ما يوضحه الشكل التالي (الشكل 6) لأحجام رؤوس أموال هذه الشركات.

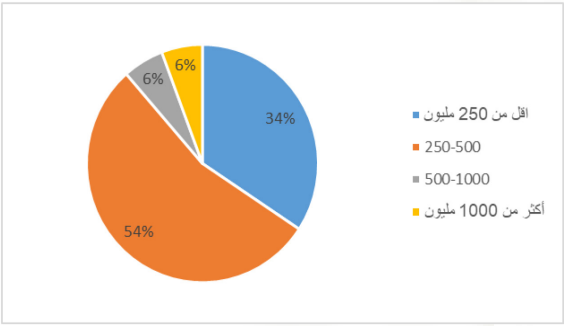

شكل رقم 6: شركات التأمين بالمملكة حسب حجم رأس المال.

فالاندفاع في تأسيس هذا العدد من الشركات الصغيرة - أكثر من نصف المجموع - أوجد تحدّيات كبيرة لهذا القطاع، أهمها: مدى قدرة هذه الشركات على الاستمرار في السوق، والتي ينبثق منها كثير من المشكلات الفنية الأخرى، مثل: مشكلة توفير السيولة، والقدرة الإكتتابية، والقدرة الاستثمارية، إلى غير ذلك من المشكلات الأخرى (إسماعيل، 2012).

ووفقًا للقوائم المالية لشركات التأمين السعودية للأعوام بين 2014 و2018م؛ أن حجم الخسائر التي تتكبدها الشركات السعودية كبير؛ وتعود هذه الخسائر إلى أسباب عدة من أهمها: حرب الأسعار بين شركات التأمين، خصوصًا في قطاع التأمين الصحي، هذا من جانب، ومن جانب آخر ارتفاع تكلفة العلاج من قبل مزوّدي الخدمة الطبية، كما أن حالات الاحتيال التأميني كانت أحد الأسباب المؤدية إلى خسائر كثير من الشركات بحسب خبراء (العنزي، 2015)، واستنادًا إلى أحد التقارير المختصة: فإن قطاع التأمين الصحي السعودي خسر ما يقارب 15% من دخله، أو ما يعادل 320 مليون دولار بمطالبات احتيالية في عام 2013م. مع العلم بأنه باستخدام التقنيات الحديثة، ورفع مستوى التنسيق وتبادل المعلومات التأمينية بين شركات التأمين؛ يمكن تخفيض نسبة الاحتيال بشكل كبير (الشهري، 2012)؛ ما يؤدي إلى رفع كفاءة قطاع التأمين في المملكة.

ولذا، ليس هناك حلول لتحسين وضع شركات التأمين السعودي إلا عن طريق: الاندماجات؛ لتقليل التكاليف، وخفض أعداد الموظفين. أو زيادة رأس المال. أو الخروج من السوق. واستجابة لهذا الوضع، قامت

ثمان شركات تأمين خلال عام 2014م بزيادة رأسمالها؛ للوفاء بالمتطلبات القانونية، ولزيادة فرص النمو. وقد توصلت دراسة (إسماعيل، 2012) إلى ضرورة تقليص عدد شركات التأمين التعاوني السعودية، بحيث تكون بحدّ أقصى 20 شركة تأمين وإعادة تأمين.

وإجمالًا تعتمد الأغلبية العظمى من شركات التأمين السعودية في عملها وملاءتها وقدرتها على تحمل الأخطار على إعادة التأمين بشكل أساسي (برعي، 2016)، وبالنسبة للأرباح، وبسبب عدم ربحية القطاع الرئيس لهذه الشركات أو ضعفه؛ تعتمد شركات التأمين على عوائد الاستثمارات، وقد بينت دراسة الجرف (2009) استنادًا للتقرير السنوي لعام 2007 الصادر عن التعاونية للتأمين؛ بأن جزءً مهمًا من أموال شركات التأمين يتم استثماره في السندات الحكومية والخاصة. وبناء عليه، انخفضت أرباحها؛ بسبب انخفاض أسعار الفائدة عالميًا، كما أنها استمرت في الاستثمار في أصول خطرة: كالأسهم والعقارات؛ لتحقيق عوائد عالية. إلا أن هناك دراسات أخرى منها (هادية وآخرون، 2019؛ الشهراني، 2020) ترى أن لقطاع التأمين ومحافظها الاستثمارية دورًا حيويًا في تنمية وتطوير السوق المالي السعودي خصوصًا، والاقتصاد الوطني السعودي بوجه عام؛ لكونها أداة مناسبة لتجميع المدخرات واستثمارها. كما تجدر الإشارة إلى أنه من الممكن أن تكون شركات التأمين المحليّة من أكبر المستثمرين في سوق الصكوك الإسلامية بالمملكة، وهو ما يساعد الحكومة والشركات الكبرى على التوسع في أعمالها، وخاصة المتعلقة بتوفير البنية التحتية.

ويتضح مما سبق أن قطاع التأمين في المملكة يواجه كثيرًا من المشكلات سواء: أكانت تشريعية وتنظيمية، أم إدارية، أم فنيّة متعلقة بعمليات الاكتتاب والتسعير والاستثمار، أو تلك المتعلقة بمتانة أو استقرار الملاءة المالية. ويعرض الجدول رقم (2) لمحة سريعة عن المؤشرات المالية لقطاع التأمين السعودي التي تعكس المعوقات المالية والتي تتقاطع مع المعوقات الأخرى بهذا القطاع سواء كانت تشريعية أو تنظيمية أو إدارية أو فنية أو بشرية.

الجدول رقم (2): المؤشرات الماليّة لقطاع التأمين السعودي (ريال سعودي)

	2010	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017
رأس المال (مليار ريال)	8.25	8.25	10.2	10.2	10.2	11.4	11.4	10.4
صافي الدخل (مليون ريال)	1.140	890	972	1.428-	783	842	2139	734
العائد على حقوق الملكية	%14.2	%9.7	%9.6	%15.3-	%8.24	%7.68	%16.9	NA
العائد على الأصول	%4.4	%2.8	%2.8	%3.4-	%1.8	%1.8	%2	NA

ويظهر من الجدول رقم (2): أن الأداء المالي لشركات التأمين كان جيدًا في عام 2010م، ثم بدأ في التذبذب من العام التالي، إلى أن حصلت الخسائر الكبرى عام 2013م؛ ودعت مؤسسة النقد إلى التدخل، وفرض تغييرات وإصلاحات أدّت إلى إعادة القطاع إلى الربحية بشكل جيد في العام التالي 2014م، واستمر فعليًا نمو الدخل حتى العام 2017م (الشكل رقم: 7) (مؤسسة النقد، 2015؛ 2018). أما على صعيد توزيعات الأرباح فقد بلغت نسبة التوزيعات عام 2014م 1.0% فقط من توزيعات الأرباح لسوق الأسهم السعودي كله، وهذا يعكس الأداء التشغيلي والمالي الضعيف للقطاع؛ ما يجعله غير جاذب للاستثمار طويل الأجل.

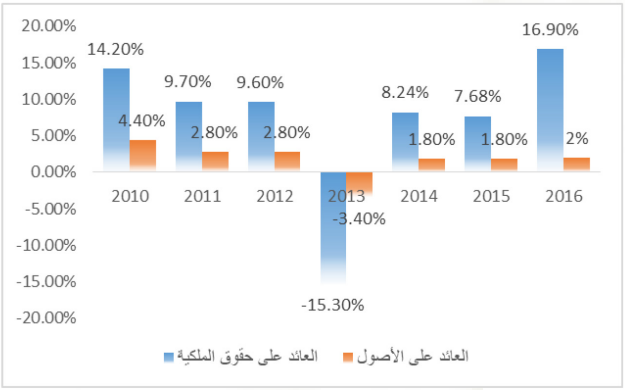

شكل رقم 7: العائد على الأصول والعائد على حقوق الملكية لشركات التأمين في المملكة.

ج .البيئة التنظيمية والتشريعية لقطاع التأمين السعودي:

يشرف على قطاع التأمين في المملكة العربية السعودية جهات عدة هي: (مؤسسة النقد العربي السعودي، ومجلس الضمان الصحي التعاوني فيما يخص التأمين الصحي، وهيئة السوق المالية، ووزارة التجارة) (برعي، 2016). ولقد أوضحت بعض الدراسات (الجرف، 2009؛ الشهري، 2012؛ العنزي، 2009) أن أهم معوّقات النهوض بقطاع التأمين السعودي المتعلقة بالبيئة التشريعيّة والتنظيميّة يمكن تلخيصها في التالي:

1. وجود تعارض نسبي في التشريعات المنظِمة للقطاع بين الجهات الرسمية ذات الصلة (مؤسسة النقد – هيئة السوق المالية – وزارة التجارة) مع إلزامية جميع تشريعاتها للشركات.
2. غياب نظام تشريعي فعّال؛ يضبط جميع المسائل المتعلقة بالتأمين.
3. غياب جهة قضائية متخصصة في نزاعات التأمين، تابعة لوزارة العدل، ومزوّدة بمدونة قضائية مفصّلة.
4. غياب تشريع واضح ورادع لعمليات وحالات الاحتيال التأميني.

د .مقارنات إحصائية بين قطاع التأمين السعودي وقطاعات التأمين في الدول المختارة للمقارنة:

يركز هذا الجزء من الدراسة على بعض المقارنات الكمّية بين بعض المؤشرات لقطاع التأمين السعودي، مع قطاعات التأمين في كل من: الإمارات العربية المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وتهدف المقارنة إلى إظهار أوجه القوة والضعف في قطاع التأمين السعودي.

قطاع التأمين لبعض الدول المختارة:

أولًا: قطاع التأمين في الولايات المتحدة الامريكية:

يعد قطاع التأمين في الولايات المتحدة الأكبر عالميًا، إذ يقدر مجموع دخله (أو ما يسمى بإجمالي الأقساط المكتتبة) 1.15 ترليون دولار. وهو قطاع فاعل في الاقتصاد الأمريكي: حيث تبلغ إسهاماته 2.6% من إجمالي الناتج المحلي، ووفّر 2.5 مليون وظيفة في عام 2014م، وفقًا لوزارة العمل الأمريكية (Insurance Information Institute، 2016). وتتجاوز استثماراته مبلغ خمسة ترليون دولار، وتجاوز ما دفعه هذا القطاع من ضرائب 18مليار دولار أمريكي للسنة المذكورة.

بلغ عدد شركات التأمين في الولايات المتحدة الأمريكية 6.118 شركة في عام 2014م، وبسبب هذا العدد الكبير منها؛ فإن السوق الأمريكي يعد ذا تنافسية عالية، وتسيطر عشر شركات كبرى منها على ما يقارب، أو يزيد على 50% من الحصّة السوقية لقطاع التأمين الصحي، والتأمين على الأفراد والممتلكات.

شهد دخل هذا القطاع في الأعوام من 2011 حتى 2014م انخفاضًا وعدم استقرار: إذ إن نسبة النمو في عام 2011م كانت 22%، بينما كانت في عام 2012م تساوي 7% فقط. أما عام 2013م فقد شهدت انخفاضًا يساوي 3 % تقريبًا، بينما بلغ دخل شركات التأمين في عام 2014م حوالي 133.8مليار دولار، بنسبة نمو بلغت 6.2%، وفقًا للأرقام التي نشرها معهد معلومات التأمين الأمريكي. أما بالنسبة لصافي الأرباح فقد سجل القطاع انخفاضًا في عام 2014م بلغت 37.6 مليار دولار، بنسبة انخفاض تساوي 12.9% عن عام 2013م (Insurance Information Institute، 2016).

ثانيًا: قطاع التأمين في المملكة المتحدة:

يعد قطاع التأمين البريطاني الأقدم عالميًا، وثالث أكبر قطاع تأمين في العالم، وهو يؤدي دورًا محوريًا في الاقتصاد البريطاني. وحسب إحصاءات جمعية التأمين البريطانية عام 2014م، يدير القطاع استثمارات بحوالي 1.9 ترليون جنيه إسترليني (10.300 ترليون ريال سعودي)، وهو ما يشكل 25% من صافي القيمة للاقتصاد البريطاني، وتبلغ استثمارات قطاع التأمين البريطاني 14% من إجمالي الاستثمارات في بورصة لندن للأوراق المالية، وتبلغ نسبة إسهام القطاع في الناتج المحلي الإجمالي حوالي 29 مليار جنية

إسترليني، وهو ما يعادل 2.6% من الناتج المحلي الإجمالي. علاوة على ذلك يسهم القطاع إسهامًا كبيرًا في سوق العمل، حيث يبلغ عدد موظفي القطاع 334 ألف موظف، كما أسهم بمبلغ 12 مليار جنيه إسترليني كضرائب تم دفعها للحكومة البريطانية في عام 2014م، وأسهمت شركات التأمين بالاتفاق مع الحكومة البريطانية في مشروعات البنية التحتية؛ من خلال استثمار ما يزيد عن 25 مليار جنيه إسترليني خلال الأعوام الخمسة بين 2014-2019م (PWC، 2014).

ثالثًا: قطاع التأمين في دولة الامارات العربية المتحدة:

يعد قطاع التأمين من القطاعات الاقتصادية المهمة في الإمارات العربية المتحدة، وقد بلغ عدد الشركات المقيّدة في سجلات "هيئة التأمين" 60 شركة تأمين (وهو الرقم الأعلى على مستوى الشرق الأوسط) حتى نهاية عام 2014، منها 34 شركة تأمين وطنية، و26 شركة تأمين أجنبية (هيئة التأمين، 2015)، وبلغ عدد موظفي قطاع التأمين 9269 موظفًا، منهم 742 من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة بنسبة تبلغ 8% فقط من إجمالي عدد العاملين بهذه الشركات (هيئة التأمين الإماراتية 2015). أما حجم سوق التأمين نسبةً إلى الناتج المحلي الإجمالي فيبلغ 2.3 %في عام 2014م، وهو الأعلى بين دول الخليج العربية الست. وخلال الأعوام ما بين 2010 و2014 نما قطاع التأمين الإماراتي بمعدل مركّب سنوي بلغ 11%. وبلغ حجم الأقساط المكتتبة لجميع فروع التأمين في دولة الإمارات العربية المتحدة (33.5) مليار درهم في عام 2014م، بنسبة نمو بلغت 13.5%. أما حجم الاستثمارات في قطاع التأمين فبلغ 39 مليار درهم، بنسبة نمو بلغت 3.2% عن عام 2013م، فيما بلغت حقوق المسهمين 19.8 مليار درهم، بنسبة نمو بلغت 13.1% عن عام 2013م، يحتل فيها التأمين الصحي، والتأمين على المركبات ما نسبته 60% من حجم التأمين الاجمالي (هيئة التأمين الإماراتية، 2015). وقد سجلت عدة شركات صافي خسائر في عام 2014م؛ لأسباب أهمها: المنافسة الشديدة بين الشركات، وعائدات استثماراتها التي انخفضت.

الجدول رقم (3): إحصاءاتٌ عن قطاع التأمين للدول المقارنة في الدراسة (بالدولار الأمريكي)

	السعودية	الإمارات	أمريكا	بريطانيا
معدل إنفاق الفرد على التأمين (كثافة التأمين) دولار أمريكي	264.3	872	3979	5400
نسبة إجمالي أقساط التأمين المكتتب بها إلى إجمالي الناتج المحلي (عمق التأمين)	%1.1	%2.3	%6.7	%12
(إجمالي الأقساط المكتتبة (بليون دولار أمريكي	8.13	9.12	1280	351

	السعودية	الإمارات	أمريكا	بريطانيا
عدد شركات التأمين	35	60	6118	903
عدد العاملين في القطاع	10.000	9.269	2.500.000	334.000
نسبة موظفي القطاع إلى عدد السكان	0.00034	0.0011	0.0083	0.0052
عدد قضايا الاحتيال أو نسبتها	%20-18	N/A	N/A	130.000

يتبين من الجدول رقم (3): أن معدل إنفاق الفرد على التأمين "كثافة التأمين" في المملكة قليل جدًّا مقارنة بالدول الأخرى، حيث يبلغ فقط 264 دولارًا للفرد. وبالنظر إلى نسبة إجمالي أقساط التأمين المكتتب بها، إلى إجمالي الناتج المحلي (عمق التأمين) يتضح ضعف إسهام قطاع التأمين السعودي في الاقتصاد السعودي، مقارنة بقطاعات التأمين في الدول المقارنة، حيث يبلغ فقط 1.01 %، ما يعد ضعيفًا مقارنة بالمعدّل العالمي الذي يتجاوز 6%، ومقارنة أيضًا بالمعدل في الإمارات العربية المتحدة الذي يبلغ 2.3 %. أما بالنسبة لعدد موظفي القطاع، فإن الإحصاءات توضح الضعف الشديد في نسبة موظفي القطاع في المملكة مقارنة بالدول الأخرى، حيث يبلغ عدد موظفي القطاع نسبة تبلغ 34 موظفًا لكل 100 ألف فرد في المملكة فقط، بينما تبلغ النسبة 110 موظفًا لكل 100 ألف فرد في الإمارات، و520 موظفًا لكل 100 ألف فرد في بريطانيا، و830 موظفًا لكل 100 ألف فرد في الولايات المتحدة الأمريكية. فبافتراض تبنّي نسبة موظفي القطاع في الإمارات على قطاع التأمين في المملكة؛ من المفترض أن يصبح عدد موظفي قطاع التأمين في المملكة حوالي 33.000 موظف على الأقل. وهذا يعكس القدرة الاستيعابية لقطاع التأمين السعودي في توظيف المواطنين والمواطنات، بل إن دراسة الشهراني (2020) تتوقع توفير القطاع لمئات الآلاف من الفرص الوظيفية مع التوسع المنشود لقطاع التأمين.

وأخيرا، ومع قلّة الإحصاءات عن ظاهرة الاحتيال في التأمين؛ فإنها تبدو ظاهرة عالمية، فعلى سبيل المثال: بلغ عدد قضايا الاحتيال في المطالبات التأمينية 130 ألف حالة في بريطانيا، بينما يقدرها بعض خبراء التأمين بين 18% إلى 20 % في المملكة، وهو أعلى من المعدل العالمي المقدر ب 15% من إجمالي المطالبات التأمينية.

الدراسة الميدانية: قياس رضا الأطراف ذات العلاقة عن قطاع التأمين السعودي.

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لتشخيص واقع قطاع التأمين في المملكة، كما اعتمادا على المنهج الاستقرائي في تحليل الدراسات ذات الصلة، وإجراء المقارنات الاسترشادية مع الدول من مختلف المستويات والخبرات كعرض واقع قطاع التأمين في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بوصفهما من الدول المتقدمة ي التي يمكن أن تكون نموذجًا استرشاديًا، ودولة الامارات العربية المتحدة باعتبارها دولة للمقارنة تشترك مع المملكة في كثير من الخصائص وتماثل البيئية بينهما. كما قام الباحثان بقياس آراء الأطراف أصحاب المصالح ذات العلاقة بقطاع التأمين السعودي وتحليلها ،وهم: المسؤولون والموظفون في الجهات الرقابية والإشرافية على قطاع التأمين، والموظفون في شركات التأمين، وعملاء شركات التأمين.

أولًا: عينة البحث:

تتمثل عينة البحث في البيانات الأوليّة المستقاة من ثلاث استبانات صُممت؛ لاستطلاع آراء الأطراف ذات العلاقة بقطاع التأمين التعاوني بالمملكة العربية السعودية، وهي:

- استبانة للجهات الرقابية على شركات التأمين.
- استبانة للموظفين بشركات التأمين.
- استبانة للمُؤمَّنين (عملاء شركات التأمين).

حيث أُعتمد على أسلوب العينة العشوائية البسيطة لاستطلاع آراء كلٍ من الموظفين بشركات التأمين، وكذلك المؤمَّنين، بينما أُعتمد على أسلوب العينة التحكّمية عن طريق المقابلات الشخصية؛ لاستطلاع آراء الجهات الرقابية؛ وذلك لتحقيق أغراض وأهداف الدراسة، ويوضح (الجدول رقم 4) حجم كل عينة من عينات الدراسة.

الجدول رقم (4) يوضّح حجم كل عينة من عينات الدراسة:

نوع العينة	عدد الاستبانات الموزعة	عدد الاستبانات المجمّعة	نسبة الاستجابة %	عدد الاستبانات
الموظفون بشركات التأمين	120	105	88	97
المؤمّنون	350	332	95	318
الجهات الرقابية على شركات التأمين	35	35	100	35
الإجمالي	505	472	94.3	450

يتضح من الجدول السابق: أن حجم الاستبانات الصحيحة، التي ستخضع للدراسة والتحليل الإحصائي بلغ 450 استبانة، وللتأكد من موضوعية التحليل الإحصائي، وجدوى النتائج المزمع الحصول عليها، فقد قام الفريق البحثي باختبارات الصدق والثبات، وكفاية حجم العينة على النحو الآتي:

الثبات والصدق وكفاية حجم العينة:

قام الفريق البحثي بتقدير معامل الثبات Reliability Coefficient أو ما يسمى بمعامل ألفا كورنباخ Cronbaches Alpha، ومعامل الصدق Validity Coefficient، وكذلك قياس كفاية حجم العينة Measure of Sampling Adequacy ، بإجراء اختبار كمووبارتليت KaiserMeyer - Olkin (KMO) and Bartielts Test- للحكم على مدى كفاية حجم العينة، ويوضح (الجدول رقم 5) النتائج التي تُوصل إليها.

الجدول رقم (5) يوضح اختبارات الصدق والثبات، وكفاية حجم العينة:

العينة	معامل الثبات	معامل الصدق	قيمة إحصاء اختبار كفاية حجم العينة (KMO and Bartielt's Test)
الموظفون بشركات التأمين	0.741	0.861	0.623
المؤمّنون	0.883	0.940	0.894
الجهات الرقابية على شركات التأمين	0.598	0.773	0.517

يتضح من الجدول السابق، ما يأتي:

فيما يتعلق بمعامل الثبات:

يتضح أن أكبر قيمة لمعامل الثبات بلغت 0.883 في عينة المؤمَّنين، أي: إنه عند إعادة استخدام الاستبانة نفسها لاستطلاع الآراء مرة أخرى؛ فإنه سوف يكون هناك ثبات في النتائج المتحصّل عليها بنسبة لا تقل عن 88.3 %. كما يتضح من الجدول السابق أيضا: أن قيمة معامل الثبات بلغت 0.741 في عينة الموظفين، أي: أنه عند إعادة استخدام الاستبانة نفسها لاستطلاع الآراء مرة أخرى؛ فإنه سوف يكون هناك ثبات للنتائج المتحصَّل عليها بنسبة لا تقل عن 74.1 %. كما يتضح: أن أقل قيمة لمعامل الثبات بلغت 0.598 أي تقريبا 60 % في عينة الجهات الرقابية، وهذه النسبة منخفضة نسبيًّا إلا أنها تمثل الحد الأدنى المقبول لمعامل ألفا كرونباخ في العلوم الاجتماعية والإنسانية. وربما يرجع انخفاض هذه النسبة إلى صغر حجم هذه العينة من ناحية وأنها عينة تحكّمية من ناحية أخرى حيث تم اختيار ذوي المسئولية والخبرة العالية في قطاع التأمين بالمملكة.

فيما يتعلق بمعامل الصدق:

يتضح أن أكبر قيمة لمعامل الصدق بلغت 0.94 في عينة المؤمَّنين، وهذا يعني أن هذه الاستبانة لديها القدرة على قياس المتغيرات الواردة بها بنسبة 94 %، كما نجد أن قيمة معامل الصدق بلغت 0.861 في عينة الموظفين، وهذا يعني: أن هذه الاستبانة لديها القدرة على قياس المتغيرات الواردة بها بنسبة 86.1 %، وأن أقل قيمة لمعامل الصدق بلغت 0.773 في عينة الجهات الرقابية، وهذه النسب جميعها مقبولة؛ لتحقيق أهداف الدراسة.

اختبار مدى كفاية حجم العينة:

يتضح من الدراسة: أن أكبر قيمة لإحصائية اختبار KMO and Bartielt's Test بلغت 0.894 في عينة المؤمَّنين، كما بلغت هذه القيمة 0.623 في عينة الموظفين، وأن أقل قيمة لإحصائية ذلك الاختبار بلغت 0.517 في عينة الجهات الرقابية، ما يدل على كفاية حجم العينة، حيث يعد حجم العينة كافيًا؛ طالما زادت هذه القيمة على 0.5.

ثانيًا: نتائج التحليل الإحصائي للدراسة:

ونورد فيما يأتي نتائج التحليل الإحصائي لكل عينة من عينات الدراسة:

أ. آراء الجهات الرقابية:

يتضح في (الجداول 6.1 على 6.3) تحليل آراء الجهات الرقابية: سمات سوق التأمين السعودي، تحديات ومعوّقات تقدم ونمو قطاع التأمين بالمملكة العربية السعودية، واقتراحات تنمية قطاع التأمين في المملكة.

الجدول رقم (6.1): يوضح تحليل آراء الجهات الرقابية: سمات سوق التأمين السعودي

رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	أسعار تأمين السيارات (طرف ثالث) مبالغ فيها.	3.86	1
2	أسعار تأمين السيارات الشامل مبالغ فيها.	3.83	2
3	بصفة عامة أسعار الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين مبالغ فيها.	3.77	3
4	توجد مدة زمنية محددة لتسوية المطالبات من جانب شركات التأمين عند وقوع الخطر المغطّى.	3.49	4
5	البيئة التشريعية التي تعمل في ظلها شركات التأمين مناسبة.	3.34	5
6	أسعار التأمين الصحي مبالغ فيها.	3.26	6

رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
7	توجد معوقات قانونية لتطور شركات التأمين وانطلاقها لتغطية الأخطار المختلفة التي يطلبها المؤمّنون.	3.26	7
8	تتسم الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين بالجودة والكفاية.	2.34	8

1. يتضح من الجدول السابق أن سمات سوق التأمين السعودي؛ وفقًا لآراء المسئولين بالجهات الرقابية مرتّبة تنازليًا حسب متوسط الموافقة عليها، أو متوسط أهميتها، هي:

- أسعار تأمين السيارات (طرف ثالث) مبالغ فيها (متوسط = 3.86)
- أسعار تأمين السيارات الشامل مبالغ فيها.
- بصفة عامة أسعار الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين مبالغ فيها. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهري، 2012؛ الشهراني، 2020) بخصوص التأمين الصحي وهو ذو النصيب الأكبر من السوق.
- توجد مدة زمنية محددة لتسوية المطالبات من جانب شركات التأمين عند وقوع الخطر المغطّى.
- البيئة التشريعية التي تعمل في ظلها شركات التأمين مناسبة. وقد توصلت دراسات عديدة إلى حاجة هذه البيئة لإعادة النظر والتطوير (الجرف، 2009؛ العنزي، 2009؛ الشهري، 2012).
- أسعار التأمين الصحي مبالغ فيها. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020).
- توجد معوقات قانونية لتطور وانطلاق شركات التأمين؛ لتغطية الأخطار المختلفة التي يطلبها المؤمنون. وهو ما يتفق مع دراسة. (الشهري، 2012؛ الشهراني، 2020) بخصوص التأمين الصحي.
- لا تتسم الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين بالجودة والكفاية، وهو ما يتفق مع دراسة (الشهري،2012).

الجدول رقم (6.2): تحديات ومعوّقات تقدم ونمو قطاع التأمين بالمملكة بحسب الجهات الرقابية.

تحديات ومعوّقات تقدم ونمو قطاع التأمين بالمملكة العربية السعودية			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	يوجد انخفاض في مستوى الوعي التأميني لدى الأفراد والشركات بأنواع الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين العاملة في المملكة.	4.49	1
2	توجد زيادة في عدد شركات التأمين العاملة بالمملكة مقارنة بالاحتياجات التأمينية.	3.34	2
3	لا يعمل لدى شركات التأمين كوادر فنية ذات مهارات عالية في تسوية المطالبات.	2.43	3
4	لا تعمل شركات التأمين بالمملكة بمستوى عال من الكفاية والمهنية.	2.20	4

2. يتضح من الجدول السابق أن تحدّيات نمو قطاع التأمين بالمملكة العربية السعودية ومعوّقاته ، مرتبة تنازليًا حسب متوسط الموافقة عليها، أو متوسط أهميتها بحسب الجهات الرقابية هي:

- انخفاض مستوى الوعي التأميني لدى الأفراد والشركات بأنواع الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين العاملة في المملكة، وهذا يتفق مع دراسات البعض (الشهري، 2012؛ العجلان ومحمد، 2020؛ العنزي، 2009؛ الشهراني، 2020).
- زيادة عدد شركات التأمين العاملة بالمملكة مقارنة بالاحتياجات التأمينية.
- ليس لدى شركات التأمين كوادر فنية ذات مهارات عالية في تسوية المطالبات، وهو ما يتفق مع البعض (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009).
- لا تعمل شركات التأمين بالمملكة بمستوى عال من الكفاية والمهنية. وهو ما يتفق مع البعض (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009).

الجدول رقم (6.3): اقتراحات الجهات الرقابية لتنمية قطاع التأمين في المملكة.

اقتراحات لتنمية قطاع التأمين في المملكة			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	وضع خطط لتنمية الوعي التأميني في المجتمع السعودي.	4.74	1
2	تقليص عدد شركات التأمين وإدماجها في كيانات اقتصادية كبيرة.	4.11	2
3	الاتساع في أنواع الأخطار التي تغطيها أنشطة شركات التأمين.	3.71	3
4	زيادة رأس مال بعض شركات التأمين التي تحقق عجزًا في النشاط التأميني.	3.37	4
5	عدم وضع زيادة في قيمة أقساط التأمين التي تحصّلها شركات التأمين مقابل تقديم الخدمات التأمينية المختلفة.	2.66	5

3. يتضح من الجدول السابق أن اقتراحات تنمية قطاع التأمين في المملكة، مرتبة تنازليًا حسب متوسط الموافقة عليها، أو متوسط أهميتها بحسب الجهات الرقابية هي:

- وضع خططٍ لتنمية الوعي التأميني في المجتمع السعودي. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهري، 2012).

- تقليص عدد شركات التأمين، وإدماجها في كيانات اقتصادية كبيرة. وهو ما يتفق مع دراسة (إسماعيل، 2012).
- الاتساع في أنواع الأخطار التي تغطيها أنشطة شركات التأمين. وهو ما يتفق مع دراسة. (الشهري، 2012؛ الشهراني، 2020).
- زيادة رأس مال بعض شركات التأمين التي تحقق عجزًا في النشاط التأميني.
- عدم زيادة قيمة أقساط التأمين التي تحصلها شركات التأمين مقابل تقديم الخدمات التأمينية المختلفة. وهو ما يتفق مع دراسة. (الشهراني، 2020).

ب: آراء الموظفين بشركات التأمين.

توضح الجداول (1.1 إلى 7.6) متوسط الموافقة والترتيب للمتغيرات الواردة في استبانة الموظفين بشركات التأمين.

الجدول رقم (7.1) يوضح تحليل آراء الموظفين بشركات التأمين كفاية وجودة الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين.

كفاية وجودة الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين السعودية			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	أوافق على أنواع التأمين التي تقدمها شركتي لعملائها.	4.22	1
2	توجد فجوة بين ما تقدمه شركات التأمين العاملة بالمملكة، وما يحتاجه عملاء التأمين المرتقبون من خدمات تأمينية.	3.28	2
3	توجد فجوة بين ما تقدمه شركات التأمين العاملة بالمملكة، وبما يحتاجه عملاء التأمين الحاليون.	3.16	3

وفقا لتحليل آراء الموظفين بشركات التأمين، فإنه يتضح من الجدول السابق ما يأتي:

1. فيما يتعلق بكفاية وجودة الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين السعودية، نجد أن هناك موافقة على أنواع التأمين التي تقدمها شركات التأمين، ولكن في الوقت نفسه توجد فجوة بين تلك الأنواع واحتياجات المؤمنين، أو عملاء شركات التأمين، أي أن شركات التأمين لم تلبّ احتياجات طالبي التأمين Policyholders. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020).

الجدول رقم (7.2): واقع ممارسة أنواع التأمين في سوق التأمين السعودية بحسب موظفي شركات التأمين.

واقع ممارسة أنواع التأمين في سوق التأمين السعودية			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	التأمين على الممتلكات ضد الحريق، أو السرقة، أو غيرها.	4.25	1
2	التأمين الصحي.	4.02	2
3	التأمين على السيارات.	4.00	3
4	توجد فترة زمنية محددة بين حدوث الخطر المغطّى، وتسوية المطالبات المتعلقة به.	3.89	4
5	تأمين المسئولية المهنية للأطباء.	3.70	5
6	التأمين على الأفراد ضد مخاطر تحطم الطائرات.	3.65	6
7	تتسم عملية تسوية المطالبات بشركتكم الموقرة بالسهولة وبساطة الإجراءات.	3.58	7
8	التأمين على أخطار الحريق في مصافي النفط وحقوله.	3.26	8
9	التأمين على المحاسبين القانونيين ضد أخطار الفشل في أعمال المراجعة للمنشآت والشركات.	3.26	9
10	التأمين على اختراق المواقع الإلكترونية وما ينتج عنها من دعاوى قضائية ضد أصحاب المواقع، أو الاستخدام غير الشرعي للبيانات والمعلومات المسروقة من هذه المواقع.	3.10	10
11	قامت شركتكم الموقرة بتعديل قيمة قسط التأمين الشامل على السيارات إزاء انخفاض التعويضات المحتملة الناتجة عن الحوادث المرورية؛ بسبب تطبيق نظام ساهر بالمملكة العربية السعودية.	2.90	11
12	يتسم قسط تأمين السيارات الشامل بأنه مبالغ فيه.	2.85	12
13	الفترة الزمنية لتسوية المطالبات مبالغ فيها.	2.84	13
14	يتسم قسط التأمين الصحي بأنه مبالغ فيه.	2.44	14

2. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق بواقع ممارسة أنواع التأمين في سوق التأمين السعودية، أن أكثر أنواع التأمين انتشارًا مرتبة تنازليًا، هي كالآتي:

- التأمين الصحي، وهو ما يتفق مع دراسات البعض (برعي، 2016؛ الشهراني، 2020) وواقع سوق التأمين السعودي.

- التأمين على السيارات. وهو ما يتفق مع دراسة (برعي، 2016).
- تأمين المسئولية المهنية للأطباء.
- التأمين على الأفراد ضد مخاطر تحطم الطائرات.
- التأمين على أخطار الحريق في مصافي النفط وحقوله.
- التأمين على المحاسبين القانونيّين ضد أخطار الفشل في أعمال المراجعة للمنشآت والشركات.
- التأمين على اختراق المواقع الإلكترونية، وما ينتج عنه من دعاوى قضائية ضد أصحاب المواقع، أو الاستخدام غير الشرعي للبيانات والمعلومات المسروقة من هذه المواقع.
- وجود مدة زمنية محددة بين حدوث الخطر المغطّى، وتسوية المطالبات المتعلقة به.
- تتسم عملية تسوية المطالبات بالسهولة وبساطة الإجراءات.
- لم تعدل شركات التأمين قيمة قسط التأمين الشامل على السيارات إزاء انخفاض التعويضات المحتملة الناتجة عن الحوادث المرورية؛ بسبب تطبيق نظام ساهر بالمملكة العربية السعودية.
- قسط التأمين الصحي غير مبالغ فيه. وهو ما يتفق مع دراسة (برعي، 2016؛ الشهراني، 2020).
- قسط التأمين الشامل على السيارات غير مبالغ فيه.
- المدة الزمنية لتسوية المطالبات غير مبالغ فيها.

الجدول رقم (7.3): الطرق أو الأساليب المتبعة عند ارتفاع معدلات الخسائر بحسب موظفي شركات التأمين.

الطرق أو الأساليب المتبعة عند ارتفاع معدلات الخسائر			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	تنويع محفظة المخاطر التأمينية التي تقدمها الشركة.	4.02	1
2	إعادة النظر في سياسات إعادة التأمين واتفاقياتها التي تبرمها الشركة مع معيدي التأمين.	3.78	2
3	زيادة الاحتياطات القانونية المخصصة لتغطية الأخطار المغطاة.	3.75	3
4	زيادة رأس مال الشركة.	3.53	4
5	رفع قيمة قسط التأمين على المؤمنين بأكثر مما يجب.	2.99	5
6	المماطلة في سداد التعويضات المطلوبة من الشركة.	2.19	6
7	استغلال الثغرات القانونية في التهرب من سداد التعويضات المستحقة للمؤمن لهم.	2.13	7

3. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق بالطرق أو الأساليب المتبعة عند ارتفاع معدلات الخسائر، نجد أنها مرتّبة تنازليًا حسب متوسط أهميتها، كالآتي:

- تنويع محفظة المخاطر التأمينية التي تقدمها شركة التأمين.
- إعادة النظر في سياسات إعادة التأمين واتفاقياتها التي تبرمها الشركة مع معيدي التأمين. وهو ما يتفق مع دراستي: (الشهري، 2012)، ودراسة (برعي، 2016) بخصوص الاعتماد الكبير لشركات التأمين على هذا الأسلوب.
- زيادة الاحتياطات القانونية المخصصة لتغطية الأخطار المغطاة.
- زيادة رأس مال الشركة.

لا ينبغي أن يُلجأ إلى الطرق الآتية:

- رفع قيمة قسط التأمين على المؤمّن بأكثر مما ينبغي. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020).
- المماطلة في سداد التعويضات المطلوبة من الشركة.
- استغلال الثغرات القانونية في التهرب من سداد التعويضات المستحقة للمؤمن عليهم. وهو ما يتفق مع دراستي: (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009).

الجدول رقم (7.4): تحديات ومعوقات تقدم ونمو قطاع التأمين بالمملكة بحسب موظفي شركات التأمين.

تحديات ومعوقات تقدم ونمو قطاع التامين بالمملكة العربية السعودية			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	يوجد انخفاض في مستوى الوعي التأميني لدي الأفراد والشركات بأنواع الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين العاملة في المملكة.	4.40	1
2	يعمل لدى شركات التأمين كوادر فنية ذات مهارات عالية في تسوية المطالبات.	3.42	2
3	تعمل شركات التأمين بالمملكة بمستوى عال من الكفاية والمهنية.	3.22	3
4	توجد زيادة في عدد شركات التأمين العاملة بالمملكة مقارنة بالاحتياجات التأمينية.	3.08	4

4. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق بتحديات ومعوقات تقدم ونمو قطاع التأمين بالمملكة العربية السعودية، أن أهم هذه التحديات هو انخفاض مستوى الوعي التأميني لدى الأفراد والشركات بأنواع الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين العاملة في المملكة. وهو ما يتفق مع دراسة: (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009؛ الشهراني، 2020).

الجدول رقم (7.5): أسباب إعاقة نمو قطاع شركات التأمين في المملكة وتطور هبحسب موظفي القطاع.

أسباب إعاقة نمو وتطور قطاع شركات التأمين في المملكة العربية السعودية			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	ضعف الوعي التأميني لدى الأفراد؛ بما يجعل إقبالهم على طلب الخدمات التأمينية الأخرى بخلاف التأمين الإجباري (مثل: التأمين الصحي، والتأمين على السيارات) ضعيفًا.	4.55	1
2	عدم تبني شركات التأمين برامج جاذبة للأفراد والشركات لتغطية المخاطر التي يتعرضون لها.	4.10	2
3	وجود ثقافة مجتمعية تحد من إقبال المواطنين على طلب الخدمات التأمينية.	4.07	3
4	وجود قصور في تسويق الخدمات التأمينية بشكل مناسب.	4.01	4
5	تركز النشاط الاقتصادي في نشاط استخراج البترول ومواد الطاقة الأخرى، وتقلص أنشطة اقتصادية أخرى كثيرة يمكن أن تسهم في اتساع الطلب على الخدمات التأمينية.	3.97	5
6	نقص البيئة التشريعية المناسبة المشجعة على التفاعل بين شركات التأمين والمواطنين.	3.86	6
7	عدم ثقة المواطن السعودي بجدية شركات التأمين في دفع التعويض المتفق عليه عند تحقق الخطر المؤمن ضده.	3.85	7
8	نقص الكوادر الفنية المؤهلة للعمل في شركات التأمين.	3.82	8
9	وجود قصور في النظام القضائي المتخصص في الفصل السريع في المنازعات التأمينية بين المؤمن عليهم وشركات التأمين.	3.80	9
10	تركز الأنشطة الاقتصادية في القطاع الحكومي، وضعف القطاع الخاص الذي يعد مصدر الطلب الأساس للخدمات التأمينية.	3.72	10
11	قصور البيئة الرقابية الحكومية على شركات التأمين؛ بما يمنع هذه الشركات من التلاعب والمماطلة في سداد التعويضات المستحقة للمؤمنين.	3.01	11
12	يحتاج قطاع التأمين في المملكة إلى إعادة هيكلة وتطوير.	3.94	12

5. يتضح من الجدول السابق أن أسباب إعاقة نمو وتطور قطاع شركات التأمين في المملكة العربية السعودية، نجدها مرتبة تنازليًا حسب متوسط أهميتها كالآتي:

- ضعف الوعي التأميني لدى الأفراد؛ ما يجعل إقبالهم على طلب الخدمات التأمينية الأخرى - بخلاف التأمين الإجباري مثل: التأمين الصحي والتأمين على السيارات - ضعيفًا، وهذا يتفق مع دراسات (العنزي، 2009؛ الشهري، 2012؛ العجلان ومحمد، 2020؛الشهراني، 2020).
- عدم تبني شركات التأمين برامج جاذبة للأفراد والشركات؛ لتغطية المخاطر التي يتعرضون لها.
- وجود ثقافة مجتمعية تحد من إقبال المواطنين على طلب الخدمات التأمينية. وهو ما يتفق مع دراستي: (الشهري، 2012)، و(العنزي، 2015).
- وجود قصور في تسويق الخدمات التأمينية بشكل مناسب.
- تركز النشاط الاقتصادي في نشاط استخراج البترول ومواد الطاقة الأخرى، وتقلُّص أنشطة اقتصادية أخرى كثيرة يمكن أن تسهم في اتساع الطلب على الخدمات التأمينية. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهري، 2012) في تأثيره السلبي على فرص شركات التأمين في النمو والتطور.
- نقص البيئة التشريعية المناسبة المشجِّعة على التفاعل بين شركات التأمين والمواطنين. وهو ما يتفق مع دراسات (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009؛ الجرف 2009).
- عدم ثقة المواطن السعودي في جدية شركات التأمين في دفع التعويض المتفق عليه عند تحقق الخطر المؤمَّن ضدَّه.
- نقص الكوادر الفنية المؤهلة للعمل في شركات التأمين. وهو ما يتفق مع دراسة (الجرف، 2009؛ الشهري، 2012).
- وجود قصور في النظام القضائي المتخصص في الفصل السريع في المنازعات التأمينية بين المؤمن عليهم وشركات التأمين. وهو ما يتفق مع دراستي: (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009).
- تركز الأنشطة الاقتصادية في القطاع الحكومي، وضعف القطاع الخاص الذي يعد مصدر الطلب الأساسي للخدمات التأمينية.
- قصور البيئة الرقابية الحكومية على شركات التأمين الذي مكّن هذه الشركات من التلاعب والمماطلة في سداد التعويضات المستحقة للمؤمنين. وهو ما يتفق مع دراستي: (الشهري، 2012؛ العنزي، 2009).

الجدول رقم (7.6): الاقتراحات لتنمية قطاع التأمين في المملكة بحسب موظفي القطاع.

الاقتراحات لتنمية قطاع التأمين في المملكة			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	وضع خطط لتنمية الوعي التأميني في المجتمع السعودي.	4.71	1
2	الاتساع في أنواع الأخطار التي تغطيها أنشطة شركات التأمين.	3.99	2
3	زيادة رأس مال بعض شركات التأمين التي تحقق عجزًا في النشاط التأميني.	3.73	3
4	تقليص عدد شركات التأمين، وإدماجها في كيانات اقتصادية كبيرة.	3.54	4
5	وضع زيادة في قيمة أقساط التأمين التي تحصلها شركات التأمين مقابل تقديم الخدمات التأمينية المختلفة.	3.42	5

6. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق باقتراحات تنمية قطاع التأمين، أنها مرتبة تنازليًا حسب متوسط أهميتها، كالآتي:

- وضع خطط لتنمية الوعي التأميني في المجتمع السعودي.
- الاتساع في أنواع الأخطار التي تغطيها أنشطة شركات التأمين. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020).
- زيادة رأس مال بعض شركات التأمين التي تحقق عجزًا في النشاط التأميني. وهو ما يتفق مع دراسة (إسماعيل، 2012) ولكن عن طريق الاندماجات بحسب هذه الدراسة.
- تقليص عدد شركات التأمين، وإدماجها في كيانات اقتصادية كبيرة (إسماعيل، 2012).
- وضع زيادة في قيمة أقساط التأمين التي تحصلها شركات التأمين مقابل تقديم الخدمات التأمينية المختلفة. وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020) بخصوص التأمين الصحي، وأنه كلما زادت مجالات التغطية للخدمات الصحية؛ زادت قيمة أقساط التأمين.

ج: آراء عملاء شركات التأمين "المؤمَّنين":

توضح الجداول (8.1 إلى 8.3) متوسط الموافقة والترتيب للمتغيرات الواردة في استبانة المؤمَّنين (العملاء) لشركات التأمين.

الجدول رقم (8.1): رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين الصحي بحسب تحليل عينة من آرائهم.

رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين الصحي			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	قسط التأمين الصحي الذي تحدده شركات التأمين لتقديم الخدمات الصحية مغالىً فيه.	3.60	1
2	تكلفة العلاج والعمليات الجراحية التي يتحملها المؤمَّن عليه صحيًّا لدى شركات التأمين مناسبة.	3.21	2
3	عدد مقدمي الخدمات الطبية لمستفيدي التأمين الصحي كاف ومناسب.	3.17	3
4	مستوى كفاية الأطباء الذين يقدمون الخدمات الصحية لمستفيدي التأمين الصحي مناسب.	3.12	4
5	خدمات التأمين الصحي التي تقدمها شركات التأمين العاملة بالمملكة تغطي كافة الأمراض التي يمكن أن يتعرض لها الشخص.	3.04	5
6	توجد حالة من الرضا عن مستوى جودة خدمات التأمين الصحي.	3.00	6
7	إن التشريعات القانونية المنظمة لتقديم خدمات التأمين الصحي من خلال شركات التأمين كافية ومناسبة.	2.87	7
8	تتسم مراقبة نظام الضمان الصحي السعودي لشركات التأمين عند تقديمها للخدمات الصحية بالكفاية والفاعلية.	2.79	8

وفقًا لرأي المؤمَّنين (العملاء) يتضح من الجدول السابق ما يأتي:

1. يتضح من الجدول لسابق فيما يتعلق برضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين الصحي، أن المؤمَّنين يرون أن أبرز عناصر عدم الرضا هو المبالغة في أسعار التأمين الصحي، وهو ما يتفق مع دراسة (الشهراني، 2020).

الجدول رقم (8.2): رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين على السيارات بحسب تحليل عينة من آرائهم.

رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين على السيارات			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	إن التأمين الشامل على السيارات يغطي كافة الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها مستخدم السيارة سواء: أكان مالكًا، أم مستأجرًا، أم عاملًا.	3.17	1

رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين على السيارات			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
2	توجد حالة من الرضا عن مستوى جودة خدمات تأمين السيارات (شامل).	2.78	2
3	توجد حالة من الرضا عن مستوى جودة خدمات تأمين السيارات (طرف ثالث)	2.76	3
4	تقدم شركات التأمين التعويض المناسب عن الخطر المغطى المرتبط باستخدام السيارة في وقت مناسب.	2.36	4
5	تحدد شركات التأمين أقساط التأمين على السيارات بطريقة مناسبة خاصة مع انخفاض نسب الحوادث المرورية، وانخفاض أخطار التأمين على السيارات بسبب تطبيق نظام ساهر.	2.36	5

2. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق برضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين على السيارات، أن المؤمَّنين يوجد لديهم عدم رضا فيما يتعلق بكل من:

- مستوى جودة خدمات تأمين السيارات (شامل).
- مستوى جودة خدمات تأمين السيارات (طرف ثالث).
- التعويض المناسب على الخطر المغطى المرتبط باستخدام السيارة في وقت مناسب.
- طريقة تحديد أقساط التأمين على السيارات بطريقة مناسبة، خاصة مع انخفاض نسب الحوادث المرورية وانخفاض أخطار التأمين على السيارات بسبب تطبيق نظام ساهر.

الجدول رقم (8.3): رضا المواطنين والمقيمين عن جودة خدمات التأمين الاختياري وكفايتها على الممتلكات بحسب تحليل عينة من آرائهم.

رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين الاختياري على الممتلكات			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
1	إن التأمين الاختياري على الممتلكات المادية شيء ضروري وملائم لاحتياجات المجتمع.	3.11	1
2	توجد حالة من الرضا عن مستوى جودة خدمات التأمين الاختياري على الممتلكات.	2.88	2

رضا المواطنين والمقيمين عن جودة وكفاية خدمات التأمين الاختياري على الممتلكات			
رقم	العبارة	متوسط الموافقة	الترتيب
3	أن خدمات التأمين الاختياري على الممتلكات المادية التي تقدمها شركات التأمين تغطي كافة الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها أصحاب الممتلكات.	2.82	3
4	يحتاج قطاع التأمين في المملكة إعادة هيكلة وتطويرًا.	3.81	4

3. يتضح من الجدول السابق فيما يتعلق برضا المواطنين والمقيمين عن جودة خدمات التأمين الاختياري وكفايتها على الممتلكات، أنه يوجد عدم رضا عن كل من:

- مستوى جودة خدمات التأمين الاختياري على الممتلكات.
- عدم تغطية التأمين الاختياري على الممتلكات المادية التي تقدمها شركات التأمين كافة الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها أصحاب الممتلكات.

د - تحليل استبانات آراء كل من: الجهات الرقابية، والموظفين، والمؤمَّنين:

يوضح الشكل رقم (10) متوسطات الموافقة على احتياج قطاع التأمين في المملكة إلى إعادة هيكلة وتطوير كالآتي:

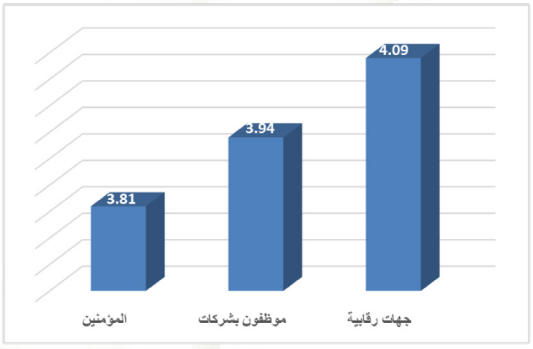

الشكل رقم 8: متوسطات احتياج قطاع التأمين بالمملكة للتطوير

يتضح من الشكل السابق اتفاق عينات الدراسة الثلاث على حاجة قطاع التأمين بالمملكة إلى إعادة الهيكلة والتطوير، حيث اتفق كل من المؤمَّنين، والموظفين بشركات التأمين، ومسؤولي الجهات الرقابية على ذلك، فقد بلغ أقل متوسط 3.81 من 5 للمؤمنين، كما بلغ متوسط الموظفين 3.94 من 5، ومتوسط آراء المسئولين بالجهات الرقابية 4 .09 من 5.

النتائج و التوصيات:

تتمثل أهم النتائج في الدراسة فيما يأتي:

- اتفقت عينات الدراسة الثلاث بأن هناك حاجة ماسة إلى إعادة هيكلة قطاع التأمين وتطويره في المملكة. كما أظهرت النتائج انخفاضًا في مستوى الوعي التأميني لدى الأفراد والمنشآت بأنواع الخدمات التأمينية التي تقدمها شركات التأمين العاملة في المملكة، وأن هناك مغالاة في أسعار معظم أنواع التأمين، وخصوصًا التأمين الصحي، وتأمين السيارات. كما أظهرت النتائج وجود اتفاق من جانب المؤمَّنين بعدم الرضا عن معظم أنواع التأمين، وطريقة ممارسته من جانب الأطراف ذات العلاقة بالتأمين.
- أظهرت النتائج وجود نقص في الكوادر الفنية المؤهلة في معظم شركات التأمين، لممارسة أعمال التأمين باحترافية، مثل: أعمال الاكتتاب والتسعير، وتسوية المطالبات، وإعادة التأمين، ووجود زيادة غير مقبولة في عدد شركات التأمين العاملة في المملكة؛ ما أدى إلى وجود طاقة استيعابية أكثر من الطلب على التأمين.
- هناك تركيز من جانب شركات التأمين على ممارسة أنواع التأمين الإجباري (التأمين الصحي والسيارات)، وإهمال أنواع أخرى قد تكون أكثر ربحية من هذين النوعين؛ ما أسهم في وجود عجز في نشاط التأمين في معظم شركات التأمين العاملة في المملكة.
- يوجد قصور في البيئة الرقابية الحكومية على شركات التأمين؛ ما مكّن بعض هذه الشركات من التلاعب والمماطلة في سداد التعويضات المستحقة للمستأمنين. كما أن لديها قصورًا في تلبية احتياجات طالبي التأمين؛ حيث إن هناك احتياجات تأمينية لطالبي التأمين لا تستطيع شركات التأمين تلبيتها.
- انخفاض ربحية شركات التأمين بشكل عام، وتحقيق خسائر من جانب شركات عدة في القطاع، ما يعكس عدم كفاية نماذج العمليات التشغيلية الفنية، وكذلك فشل السياسات الاستثمارية.

لذا يمكن استعراض أهم التوصيات فيما يأتي:

1. ضرورة تبني حكومة المملكة إستراتيجية شاملة لتطوير وإعادة هيكلة قطاع التأمين فيها خصوصًا؛ لإسهام ذلك القطاع الضروري في تحقيق رؤية 2030م.
2. إنشاء هيئة للتأمين؛ من أجل العمل على استكمال التشريعات المنظمة لهذا القطاع المهم وتوحيدها، والعمل على تطبيق أفضل المعايير الدولية لتنظيم سوق التأمين السعودي، ويكون دورها الرئيس هو الإشراف والرقابة على شركات التأمين والمهن المرتبطة بالتأمين، والعمل على تطوير أداء سوق التأمين المحلية، والكيانات العاملة به على أسس قانونية، وفنية، ومالية قوية، وزيادة تنافسيّة القطاع على

المستويين الإقليمي والدولي، وفق أفضل الممارسات السائدة على المستوى الدولي، وتوطين الوظائف في سوق التأمين بالمملكة العربية السعودية.

3. ضرورة تقليص عدد شركات التأمين العاملة بالمملكة، سواء: بالإدماج، أو الاستحواذ، أو بإلغاء الترخيص؛ ليكون بحد أقصى 10 شركات عملاقة، ثم يسمح بعد ذلك بشركة أو اثنتين حسب الحاجة، ثم الانتظار سنتين على الأقل؛ لمراقبة نتائج الأعمال، ثم يُسمح بعد ذلك للشركات جديدة من عدمه.

4. ضبط أسعار التأمين في سوق التأمين السعودي، بإنشاء إدارة تسعير تتكون من كوادر متخصصة من خبراء، وأساتذة جامعات، تتبع مؤسسة النقد، وتختص هذه الإدارة بتسعير أنواع التأمين كلها؛ في ضوء الخبرة الفعلية لشركات التأمين، ثم بعد ذلك إصدار سعر استرشادي لكل نوع من أنواع التأمين، ويكون لهذا السعر حد أدنى، وحد أقصى لا ينبغي تجاوزه من جانب شركات التأمين، وبالتالي يُقضى على التلاعب بأسعار التأمين الذي يكون المؤمنون في الغالب ضحيَّته، وهم أصحاب الخبرة القليلة الذين يتحملون أسعارًا مرتفعة دون مسوغ.

المراجع

أولًا: المصادر العربية:

1. إسماعيل، عماد. (2012). مدى نجاح الادماج بين شركات التأمين التعاوني في السعودية. الملتقى الدولي السابع حول الصناعة التأمينية: *الواقع العملي وآفاق التطوير - تجارب الدول* -. الشلف - الجزائر: جامعة حسيبة بو علي.
2. البلاد المالية. (2015). قطاع التأمين في السوق السعودية. https://cutt.ly/ijn1PuM
3. البلاد المالية. (2017). قطاع التأمين في السوق السعودية. https://cutt.us/aT7WJ
4. برعي، حسين. (2016). دراسة تحليلية لسوق التأمين الصحي في المملكة العربية السعودية. *المجلة العلمية للبحوث التجارية:* (3)، 158-130.
5. الجرف، محمد. (2009). تقويم أنظمة وثائق التأمين التعاوني في المملكة العربية السعودية. *ملتقى التأمين التعاوني*. الرياض: الهيئة الإسلامية العالمية للاقتصاد والتمويل
6. الشهراني، أشواق. (2020). العوامل المؤثرة في تحديد قيمة البوليصة التأمينية (دراسة استطلاعية على شركات التأمين الصحي السعودية). *مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، 4*(12)، 179-156.
7. الشهري، محمد. (2012). التأمين التكافلي: تطبيقاته، ومعوقاته في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الإسلامية قسم الفقه، كوالالمبور - ماليزيا
8. العجلان، دنا. محمد، نشوى. (2020). أثر التأمين على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة (1992-2017). مجلة البشائر الاقتصادية.6(1)، 269-248.
9. العنزي، فهد. (2015). انخفاض نسب التحايل في قطاع التأمين. تقرير من خلال الرابط: https:// www.alriyadh.com/1091848
10. العنزي، فهد. (2009). معوقات صناعة التأمين التعاوني بالمملكة العربية السعودية. ملتقى التأمين التعاوني (الصفحات 22-1). الرياض: الهيئة الإسلامية العالمية للاقتصاد والتمويل.
11. العوني، محمد. (2017). العوامل المؤثرة على جودة خدمة التأمين : حالة دراسية على قطاع التامين في المملكة العربية السعودية. *مجلة رماح للبحوث والدراسات، العدد 21*، 53-39.
12. مؤسسة النقد. (2015).التقرير السنوي الحادي والخمسون. الإدارة العامة للرقابة على شركات التأمين. الرياض. السعودية.
13. مؤسسة النقد. (2018).التقرير السنوي الرابع والخمسون. الإدارة العامة للرقابة على شركات التأمين. الرياض. السعودية.

14. هادية، صياد. نصيرة، غومة. حمزة، مساعيد. (2019). تقييم أداء محفظة قطاع شركات التامين في السوق المالي السعودي خلال الفترة 2008-2018، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسيير: جامعة حمة لخضر (الوادي) - الجزائر.

15. هيئة التأمين الإماراتية. (2015). التقرير الإحصائي السنوي عن نشاط قطاع التأمين بدولة الإمارات العربية المتحدة لعام 2015م. https://cutt.ly/Ljn0w0x

ثانيًا: المصادر الأجنبية:

1- Association of British Insurance. UK Insurance and Long Term Savings: Key Facts 2015. Retrieved Oct 4. 2020. https://www.abi.org.uk/globalassets/files/publications/public/key-facts/abi-key-facts-2017.pdf

2. Insurance Information Institute. Financial and Market Conditions. February 2016. Retrieved Oct 4. 2020. https://www.iii.org/sites/default/files/docs/pdf/auto_rates_wp_092716-62.pdf

3. Insurance Information Institute. Industry Overview. March 2016. Retrieved Oct 4. 2020. https://www.iii.org/presentation/insurance-industry-employment-trends-1990-2016-march-2016-052516

4. PWC. Total Tax Contribution of the UK Insurance Industry. 2014. Retrieved Oct 4. 2020. https://www.pwc.co.uk/total-tax-contribution-100-group/assets/2014-ttc-100-group-survey-report1.pdf

Autonomous Behaviors in EFL Contexts: A Comparative Study of English Students in Blended and Conventional Instructional Modes

سلوكيات التعلم الذاتي في سياقات تعلم الإنـجليزية كلغة أجنبية: دراسة مقارنة بين طلاب الإنـجليزية من خلال أسلوبي التعليم المدمج و التقليدي

إعداد

د .إلهام عبدالله غبين

أستاذ مساعد بمعهد اللغة الإنجليزية ، جامعة جازان ، المملكة العربية السعودية

دكتوراه اللغويات التطبيقية وتدريس اللغة الإنجليزية، جامعة وريك، المملكة المتحدة

Abstract:

Technology is proven to play a vital role in education. Its promising potential in enhancing learners' autonomy (LA) has been indicated by several studies، especially in the field of language learning. In the context of the current study، LA is reported as 'usually' low to moderate. Therefore، the rendered potential of technology constitutes the very assumption of this study، as it aims to assess specific autonomous behaviours in blended learning (BL) milieu by Saudi undergraduate learners. To further delineate the assumed impact of online learning، the study adopts a comparative design that matches those learners' levels of behaviours to their counterparts in conventional educational settings. Tassinari's (2012) LA model was deployed to achieve this purpose. Data were analysed quantitatively to elicit descriptive frequencies. Findings outlined certain areas in which all students were highly autonomous، and indicated areas of their lowest levels of LA. Surprisingly، learners in BL revealed an overall lower level of autonomous behaviours. However، the study referred to age and schooling gap as possible influencing factors in this latter finding. Overall، the participants' general level of LA is considered moderate. The study concluded that online learning is not a sole influencing agent when it comes to LA assessment.

Keywords: learner autonomy behaviours، online learning، technology in language learning.

المستخلص:

لقد بات مثبتًا أن التكنولوجيا تؤدي دورًا فاعلًا في التعليم، إذ أشارت العديد من الدراسات إلى إمكاناتها الواعدة في تعزيز التعلم الذاتي لدى المتعلمين، لاسيما في مجال تعلم اللغة. في سياق الدراسة الحالية، غالبًا يعتبر مستوى استقلالية المتعلمين إما متوسطًا أو ضعيفًا. وعليه، تشكل فاعلية التكنولوجيا الافتراض الذي تقوم عليه الدراسة، والتي تهدف إلى تقييم سلوكيات استقلالية معينة لمتعلمين جامعيين سعوديين، في بيئة تعتمد على التعلم المدمج. ولتحديد التأثير المفترض للتعلم الرقمي بشكل أكبر، تتبنى الدراسة إطارًا مقارنًا يطابق بين مستويات السلوكيات الاستقلالية لهؤلاء المتعلمين مع قرنائهم في بيئات التعلم التقليدية. أُستخدم نموذج تاسيناري (2012) لقياس ذاتية التعلم، كما حُلِّلت البيانات كميًّا لاستخراج نسب وصفية؛ لتحقيق هدف الدراسة. وحددت النتائج مواطن معينة أظهر فيها جميع المشاركين على حد سواء أعلى مستويات التعلم الذاتي وأدناها لديهم. بخلاف المتوقع من الدراسة، و أظهر الطلاب في بيئة التعلم المدمج مستويات تعلم ذاتي منخفضة مقارنة بنظرائهم، إلا أن الدراسة أشارت إلى العمر والفجوة في التعليم بوصفهما عاملين مؤثرين محتملين في هذه النتيجة. بشكل عام، و يعد مستوى التعلم الذاتي لدى المشاركين في الدراسة متوسطًا، و خلصت الدراسة إلى أنه من الأنسب عدم اعتبار التعلم الرقمي باعتباره عاملًا مؤثرًا بمفرده في مسألة قياس التعلم الذاتي والتأثير فيه لاحتمال تأثير عوامل أخرى في ذلك.

الكلمات المفتاحية: سلوكيات استقلالية المتعلم، التعلم الرقمي، التقنية في تعلم اللغة.

1. Introduction:

An overwhelming presence of technology in almost all aspects of life today has not only become unavoidable، but most of all، it has changed drastically our educational setup. Circumstances post-pandemic، needless to add، has changed the very nature of teaching and learning. This change has demanded a new character of the learner، and simultaneously created it، and influenced its make-up. Consequently، of the most prominent characteristics or requirements of learners in the digital age and contexts، are the control of their learning and their independence from their teachers (Layton، 2000). Therefore، teaching and learning these days، due to the heavy incorporation of technology، can well be put in the apt and manner of constructivism، which places emphasis on the learner and their active role in building and constructing knowledge (Strommen & Lincoln، 1992; Woolfolk، 1993; Little، 2007). That is، technology-based education is underpinned by learner-centred approaches، of which the most relevant and researched is the concept of learner autonomy (LA).

Several interested scholars have provided various definitions for LA، tackling it from specific angles of its multidimensionality. To mention a few، Little (1991) and Littlewood's (1996) definitions are among the mostly cited and referred definitions. According to Little (1991)، LA is the capacity for detachment، decision-making، independent action، and critical thinking. Similarly، Littlewood's (1996) definition relates to willingness (motivation and confidence) and ability (knowledge and skills). In that sense، the autonomous learner is described as a learner with an independent capacity to take control of the decision that influences his/her actions. And this capacity requires ability (knowledge and skills) and willingness (motivation and confidence). Thus، in most LA research، the concept is approached according to such defined elements.

LA relationship and relevance to learning with technology may be highlighted through presenting some modes that incorporate technology in education. The modes of employing technology into education have been manifold. Some of these modes include، distant learning، hybrid learning، online learning، and blended learning (BL). The mode adopted in the target context of the study is the BL approach. BL is an approach that combines both conventional face-to-face (F2F) and online components of instruction (Brew، 2008). It normally adopts learning management systems (LMSs) as virtual online platforms for the online part of teaching and learning، apparently due to the obvious advantages provided by those systems. The division of the percentages of the instructional loads between the two modes in BL differs across contexts and is generally decided by educators. It is believed that such a mode of instruction leads to effective learning experiences (Brew، 2008) as it increases learners' involvement in the

learning process (Lyon and Evans، 2013) and motivates them to engage in outside-classroom activities (Al-Ruheili & Al-Saidi، 2015).

In the context of the study، which includes two groups، F2F and BL، under two instructional modes، and compares their self-assessment for autonomous behaviours، BL students receive 70% of instruction online، through Blackboard (BB) LMS. They do most of their learning online; they take tests and do quizzes and assignments through the same. Besides، students in BL in this study learn English online with Education First academy (EF)، where they join both online English classes and computer-based activities. On the other hand، F2F students receive 15 hours of weekly face-to-face and on-site English instruction. Both groups of targeted learners study English as a general subject at the university foundation year. Upon satisfying this academic-year's requisites، of which، apparently، English constitutes a major part، students continue studying their specific majors at the colleges of Business Administration in their respective settings.

What may contribute to the importance of the study is the perceived reality of EFL contexts، including Arab and Saudi، learners' low to moderate LA levels (Alrabai، 2017; Ghobain 2020). Among the many established cultural and social factors that may account for this situation، i.e. learners with low autonomy levels، is the low achievement level of learning the language per se. As concluded by Zhang and Li (2004)، language level and linguistic abilities are related to LA. This situation in itself can also be inherited in the educational system in Saudi Arabia، particularly، in terms of English teaching and learning، which is conducted through conventional F2F classes (Al-Hassan & Shukri، 2017).

As a result، the focus is currently directed towards alternate supportive modes of instruction. Once they yield positive outcomes، and attain desirable learning changes in terms of learning behaviours، they will surely be incorporated into the educational system as a whole، and language learning in particular. Subsequently، direct and indirect activities and styles have to be revisited so as to accommodate the new changes.

Indeed، a de facto rationale to conduct this research is the recurrently proposed plan urged by educators and decision makers at the context of study، F2F milieu in particular. The plan advocates the adoption of self and electronic learning for English courses، either completely or in integration with the F2F instruction. Thus، the current study seeks to contribute in formulating a well-informed decision at that context، by both examining the learners' status quo through delineating their LA behaviors and the degree of technology influence on the second group in that particular regard.

In more details، and in light of the established merits of technology in education and its role in LA enhancement، the study postulates that learning through BL approach may yield to positive outcomes in terms of learners' autonomous behaviours. Therefore،

it aims to evaluate the LA of EFL students under that approach، through comparing their learning behaviours to students learning English in an F2F environment. More specifically، the study aims to examine if the mode of instruction، i.e. blended learning system in particular، has an impact on learner autonomy through specific autonomous behaviours. It seeks to reach this aim through the following objectives:

- To investigate، according to the model's descriptors employed in the study، if students in BL setting display higher levels of autonomous behaviors in comparison to their counterparts in conventional instruction setting.
- Identify the highest and lowest autonomous behaviours as displayed by Saudi university students who are learning English through both blended and conventional learning modes of instruction.

To achieve these objectives، we are interested to get answers for these questions:

- Can blended learning be a positive factor in enhancing Saudi university-level students' autonomy?
- Are students in blended learning settings necessarily more autonomous than students in conventional educational settings?
- According to the dynamic nature of LA، and the model adopted in the study specifically، what are the highest and lowest areas of autonomous behaviours as displayed by each group participants?

The autonomous behaviours included in this study are adapted from Tassinari's (2012) dynamic model، in which they are reflected according to its 'descriptors.' They include 'motivation'، 'dealing with feelings'، 'planning'، 'choosing materials and methods'، ' tasks completion'، 'monitoring'، and 'evaluation.'

According to Tassinari (2012)، the model descriptors evaluate learners' competencies، attitudes، and behaviors of autonomy. Those model descriptors represent cognitive، meta-cognitive، action-oriented، and affective elements of LA. The model stands as a self-assessment tool that aims to help both learners and educators to concentrate on specific aspects pertinent to the process of learning. This tool is used for the purpose of language advising at the Independent Language Learning Centre at the Freie Universität Berlin، and has been adopted in several following research studies as will appear in the following sections.

Tassinari's (2008، 2011، 2012) model underwent several phases of development and validation before it came into its latest، most comprehensive version، which includes 33 macro-descriptors and 85 micro-descriptors (LINK). The tool has essentially been created for LA self-assessment according to the specified descriptors، which are all

related to each other. According to Tassinari (2008)، the model is dynamic، both structurally and functionally، i.e. learners can start the assessment from any component in the form. That said، and due to specific constraints، such as the controlled nature of research، and busy schedules of the study participants، the model، following previous studies، is adapted by including a limited number of micro- and macro-descriptors. However، the researcher attempted to include sufficient reflective micro descriptors under the main macro descriptors as listed above. Despite the fact that these descriptors are dynamic، they are still employed in this research following the same order as in the original version. The options put alongside the statements are in accordance with the original version; i.e. three columns labelled as: I can do، I want to learn this، This isn't important for me. The raw data is appended to this study، whereas the averages of the macro descriptors are included in the body text of the results.

2. Literature Review:

In the 21st century، digital and electronic learning، which is normally deployed through LMSs، has generally changed، and influenced the educational systems (DeNeui & Dodge، 2006). Consequently، learners nowadays need to experience active learning to be able to cope with the changes brought by the digital revolution، which has already created different learners than those of earlier ages (Layton، 2000).

Apparently، with the increasing belief in positive effect of electronic modes of instruction as indicated by (Brew، 2008)، especially in terms of language learning and learning behaviours (Lyon and Evans، 2013; Al-Ruheili & Al-Saidi، 2015)، it may become presumable that BL can outbalance F2F in this particular regard. Since several online resources، which have the potential to improve language learners' motivation and engagement in learning، can smoothly be integrated through LMS، BL has become one of the language learners' real needs (Ayan، 2015). BL has indeed been demanded and requested for in English courses (Staker & Horn، 2012). Through this instructional mode، learners can decide when and where to learn، hence their sense of learning responsibility or independence is developed and practiced; which is a basic interpretation of LA concept.

The relationship between LA and online modes of education seems to be reciprocal. Technology motivates and encourages learners to be autonomous. Autonomous learners are essentially described by Peters (1998:5) as "meta-cognitively، motivationally and behaviourally active participants in their own learning." Thus، research has been conducted in accordance with these two ends of this relationship، i.e. LA and online learning.

Several studies have investigated learner's involvement in online learning in light of the approaches، tools، or resources that are deployed or incorporated into their learning. For example، Ayan (2015) investigated the motivating role of Moodle LMS and its ability to build English language learners' autonomy. Motivation and autonomy of Turkish participants in his study were positively and considerably influenced by the integration of the adopted LMS Moodle. Consequently، their English language skills improved. Similarly، Ali (2017) investigated the effect of Blackboard LMS as a motivator for Saudi English-major students. He found that using Blackboard in teaching and learning motivated students to achieve and learn better than in traditional modes of learning. Also، findings in his study indicated that Blackboard was positively perceived as a factor for motivation. Likewise، Al-Hassan and Shukri (2017) examined the influence of Blackboard LMS on enhancing the satisfaction level of female English learners at a Saudi University. In their study، participants' positive responses outweighed their negative ones، which indicated their positive attitude towards this type of learning mode. The richness of learning resources، opportunity to interact in a foreign language، appropriateness and variety of content، and ease of using Blackboard، were among the most prominent reasons for their attitude. Another study by Wahyuni et al. (2020) investigated the effect of Edmodo LMS on autonomous learning into English instruction. Their study revealed positive perceptions by the learners، especially in terms of the system contribution to their autonomous behaviours، such as learning management، learning monitoring، strategies selections، feeling control، and motivation enhancement. It also indicated the overall usefulness of the adopted LMS in enhancing the learning of English.

The elements of autonomy presented in Wahyuni et al.'s (2020) study are driven by descriptors identified by Tassinari's (2010) in her dynamic model of autonomy، which is the model adopted in the current study. The complexity and multidimensionality of LA construct led Tassinari to develop a comprehensive dynamic model reflected through a self-assessment tool that has extensively been adopted، and adapted، in LA research. Besides، Wahyuni et al. (2020) and Abdelrazeq (2018) also employed Tassinari's (2010) model in order to investigate teachers' roles in influencing English-major students' LA. Due to the multidimensionality rendered by the concept of autonomy and as reflected by the tool، Arab participants in his study displayed high autonomy levels only in certain areas، such as self-motivation، reflection، self-evaluation، and cooperating with other learners. At the same time، they revealed low autonomy levels in other areas، such as needs awareness، setting goals، and choosing material. Almost fifty percent of the participants showed a low level of self-control and choosing material/activities، whereas the rest displayed the opposite. The current study similarly employs some of the elements that appeared in Abdelrazeq (2018) and Wahyuni et al. (2020). Its main aim is to achieve the research objectives as outlined below.

Several studies have investigated learner's involvement in online learning in light of the approaches، tools، or resources that are deployed or incorporated into their learning. For example، Ayan (2015) investigated the motivating role of Moodle LMS and its ability to build English language learners' autonomy. Motivation and autonomy of Turkish participants in his study were positively and considerably influenced by the integration of the adopted LMS Moodle. Consequently، their English language skills improved. Similarly، Ali (2017) investigated the effect of Blackboard LMS as a motivator for Saudi English-major students. He found that using Blackboard in teaching and learning motivated students to achieve and learn better than in traditional modes of learning. Also، findings in his study indicated that Blackboard was positively perceived as a factor for motivation. Likewise، Al-Hassan and Shukri (2017) examined the influence of Blackboard LMS on enhancing the satisfaction level of female English learners at a Saudi University. In their study، participants' positive responses outweighed their negative ones، which indicated their positive attitude towards this type of learning mode. The richness of learning resources، opportunity to interact in a foreign language، appropriateness and variety of content، and ease of using Blackboard، were among the most prominent reasons for their attitude. Another study by Wahyuni et al. (2020) investigated the effect of Edmodo LMS on autonomous learning into English instruction. Their study revealed positive perceptions by the learners، especially in terms of the system contribution to their autonomous behaviours، such as learning management، learning monitoring، strategies selections، feeling control، and motivation enhancement. It also indicated the overall usefulness of the adopted LMS in enhancing the learning of English.

The elements of autonomy presented in Wahyuni et al.'s (2020) study are driven by descriptors identified by Tassinari's (2010) in her dynamic model of autonomy، which is the model adopted in the current study. The complexity and multidimensionality of LA construct led Tassinari to develop a comprehensive dynamic model reflected through a self-assessment tool that has extensively been adopted، and adapted، in LA research. Besides، Wahyuni et al. (2020) and Abdelrazeq (2018) also employed Tassinari's (2010) model in order to investigate teachers' roles in influencing English-major students' LA. Due to the multidimensionality rendered by the concept of autonomy and as reflected by the tool، Arab participants in his study displayed high autonomy levels only in certain areas، such as self-motivation، reflection، self-evaluation، and cooperating with other learners. At the same time، they revealed low autonomy levels in other areas، such as needs awareness، setting goals، and choosing material. Almost fifty percent of the participants showed a low level of self-control and choosing material/activities، whereas the rest displayed the opposite. The current study similarly employs some of the elements that appeared in Abdelrazeq (2018) and Wahyuni et al. (2020). Its main aim is to achieve the research objectives as outlined below.

3. Methodology:

Driven by its theoretical framework and the data drawn from it. besides the aim of comparing between the two targeted groups. the current study is a descriptive quantitative one. Although Tassinari (2012) indicates that her model allows for a qualitative approach to LA evaluation. the current study employs the adapted tool of this model with the aim of surveying groups of participants' specific behaviours. rather than reflecting on their individual learners' attitudes. learning process. strategies. or experiences. as revealed by her explanation for the tool.

3.1. Tool Validity and Reliability:

The adapted version of the tool was checked for validity using Principal Component Analysis on SPSS. According to Samuels (2017)، this shows if the individual items included sufficiently correspond to the tool it its original form. Besides، it can indicate the stability of Cronbach's alpha coefficient with small samples. According to Guadagnoli and Velicer (1988)، (as cited in Samuels، 2017)، when the component pattern contains at least four variable loadings > 0.6، it is considered stable. The variables included in the test، alongside the descriptors themselves، all returned loadings ranging from > 0.6 to > 0.8. Only two item loadings، of the 64 included items، were > 0.5. To check reliability، Cronbach's alpha coefficient was carried out، and returned 0.94. It is often quoted if the coefficient value above 0.7، it is acceptable (Kline، 1999، cited in Samuels، 2017).

Reliability Statistics	
Cronbach's Alpha	**N of Items**
.947	64

The tool descriptors were translated into learners' first language، Arabic، and the translated version was revised and checked by two assistant professors whose L1 is Arabic، and who belong to the researcher's organization and department. The tool was formatted using the Google Forms service.

BL (n=73)	F2F (n=121)

3.2. Procedure:

The survey was administered to participants at the end of the academic year of 2019، and was returned by 73 BL and 121 F2F participants. The survey link was sent to BL students through their accounts on Blackboard، and to F2F learners through WhatsApp groups، at the end of the academic year 2018/2019. Through the tool introduction، participants were briefed about the purpose of the survey، with a clear brief that their participation was only voluntary.

3.3. Research Population:

The study targeted two groups of first-year university students who were learning English intensively through two different instructional modes، F2F and BL، at the foundation year. Both groups were enrolled to Business Administration Colleges at two different Saudi universities، where English was exclusively taught at the first year. Participants learning through BL were studying English online intensively with a percentage of 70% out of the total load of instruction. Whereas those constituting the sample of F2F learning were attending the required intensive English course onsite. English was the medium of instruction for both settings.

The majority of both samples were females، 60% from the BL and 83% from the F2F samples. Both groups revealed a moderate level of self-rated language proficiency as shown in Table 1 below. 41% in BL sample and 55% in the other opt for 3، the middle of the scale، as the anticipated level of their proficiency. Due to the researcher's awareness of general possible differences between the two samples in terms of schooling journeys، a question asking participants about any gap between attending high school and university level was introduced. The university which adopts the BL in the context of the study accepts learners of all ages، unlike that at which the F2F sample data were collected. Thus، as was predicted، only 16 participants of F2F did not join the university directly after obtaining a high school degree. On the other hand، all participants in the BL system discontinued education with varied period lengths. The majority of this latter sample (47%) dropped schooling for more than 10 years as in the Table 1 below، whereas others indicated a shorter period than that.

Table 1: Participants' demographics

Gender	**Females**	**Males**	**Females**	**Males**
	N=44 (60%)	N=29 (40%)	N=101 (83%)	N=20 (16%)

Academic Level	**Level 1**	**Level 2**	**Level 1**	**Level 2**
First Year (1 +2)	17 (%)	56 (%)	24 (%)	97 (%)

School drop after high school degree	**Yes**	**No**	**Yes**	**No**
	N=51 (70%)	N=22 (30%)	N=25(21%)	N=96 (79%)

Schooling gap، between high school and university	**1 to 3 years**	**4 to 6 years**	**More than 10 years**	**1 to 2 years**	**3 to 6 years**	**More than 10 years**
	N=11 (21%)	N=17 (32%)	N=25 (47%)	N=16 (13%)	--	--

	1	2	3	4	5	1	2	3	4	5
Self-assessed proficiency	(%21) 15	(%23) 17	(%41) 30	(%9) 7	(%5) 4	(%5) 7	(%10) 12	(%55) 67	(%19) 24	(%9) 11

4. Findings:

In an attempt to draw a comprehensive understanding about the data through neat presentation of results، two levels of analysis were carried out، Macro-descriptor and Micro-descriptor Analyses. Descriptive analysis was firstly applied to generate frequencies for the nominal scale of the tool in both surveys. The two surveys were analysed separately، yet results were presented parallelly in tables. For the Macro-descriptor Analysis، averages، combining results of each set of micro-level descriptors، were calculated، as presented in Table 2 below. Whereas results of individual micro-descriptor were presented in the Appendix.

Due to the complexity rendered by the structure and presentation of some descriptors in the original version، on Micro-descriptor level، subcategories of those descriptors were labelled as A، B، C، ...etc.، followed by item numbers. For example، Planning in Table 3، includes four subsections، from A to D، and to refer to item 1 under subcategory A in this descriptor، we will use 'Planning A1.' Within all tables، and in the analyses، BL refers to students learning through Blackboard in the BL situation، and F2F to those attending face-to-face classes through the conventional mode of instruction.

4.1. The Macro-descriptor Analysis:

Table 2: General averages for macro-descriptors

1. MOTIVATION	BL	F2F
I can do this	%56	%61
I want to learn this	%44	%35
This is not important for me	%0	%4
2. DEALING WITH FEELINGS	**BL**	**F2F**
I can do this	%51	%51
I want to learn this	%45	%41
This is not important for me	%4	%8

3. PLANNING	BL	F2F
I can do this	%58	%69
I want to learn this	%37	%24
This is not important for me	%5	%4
4. SELECTION OF LEARNING MATERIALS	**BL**	**F2F**
I can do this	%49	%54
I want to learn this	%48	%35
This is not important for me	%3	%11
5. TASK COMPLETION	**BL**	**F2F**
I can do this	%42	%57
I want to learn this	%53	%40
This is not important for me	%2	%3
6. MONITORING LEARNING	**BL**	**F2F**
I can do this	%66	%75
I want to learn this	%33	%21
This is not important for me	%1	%4
7. EVALUATION	**BL**	**F2F**
I can do this	%49	%63
I want to learn this	%44	%29
This is not important for me	%1	%8

Based on the average calculation in Table 2، the overall indicator seems to favour F2F for the first parameter، that is: I can do this، which indicates the ability and readiness to deal with the macro- and micro-descriptor. Only at one macro-descriptor، i.e. Dealing with Feelings، this parameter receives equal and similar trend (51% vs. 51%) by participants of both groups، i.e. F2f and BL. On the other hand، the second parameter which deals with tendency to develop autonomy، that is "I want to learn this ...." seems to be favoured by BL، where the learner feels the need for reliance on self and independence. The third parameter related to importance of the macro descriptor seems to be neglected by both groups، though it is more neglected by F2F students.

Looking at first parameter results، the participants of both samples respectively revealed certain comparative similarities across the investigated descriptors، such as

their overall strong and weak autonomous behaviours as defined by the macro-descriptors. More specifically، both survey samples indicated Monitoring Learning and Planning as their strongest areas of autonomous behaviours، with average percentages (75% vs. 66%) and (69% vs. 58%)، as shown in Table 2. Similarly، both samples identified Selection of Learning Materials and Task Completions as the participants' weak areas and behaviours of autonomy، with percentages of (49% vs. 54%) and (42% vs. 57%). That said، these numbers، at the same time، point out a disparity between the two groups، in favour of F2F، except in Selection of Learning Materials. Apart from Dealing with Feelings average results where both groups yielded identical results، and besides Selection of Learning Materials، both survey results were proximate at Motivation (56% vs. 61%). On the other hand، the largest disparity between the two groups was indicated in Evaluation macro-descriptor (49% vs. 63%)، also in favour of F2F. The lowest score by F2F occurred in Selection of Learning Materials (54%)، whereas BL lowest score came in Task Completion (42%)، which in itself indicate the analysed disparity. This disparity is further indicated by referring to the highest score of each group، as outlined in Monitoring Learning. (For details about the micro-descriptors percentages، please refer to Appendix)

4.2. Micro-descriptor Analysis:

Further analyses for individual micro-descriptors out of which macro-descriptors are calculated is presented in this section. Under the Task Completion descriptor، the participants' weakest area of autonomy، (Table 5 in Appendix)، participants of both samples revealed varied overall percentages across the items of this descriptor، gradually indicating high levels for the first two items، moderate levels for the middle items، from 3 to 6، and low levels for the last three items، from 7 to 9.

Overall، and in accordance with the Macro-descriptor Analysis، F2F participants showed higher levels at almost all the micro-descriptors، in comparison to their BL counterparts. They indicated they could، more than BL participants، remotivate themselves when noticing motivation decline (Motivation 2، 64% vs. 57%)، prioritize learning needs (Planning B1، 66% vs 50%)، set and prioritize goals (Planning C1، 68% vs 53%; C2 72% vs. 60%)، plan where to learn (Planning D1، 80% vs. 68%)، structure time (Planning D2، 57% vs. 49%)، use authentic materials (Choosing Materials A3، 68% vs 48%)، choose materials to achieve goals (Choosing Materials B1، 70% vs. 63%)، try out unfamiliar methods (Choosing Materials C2، 51% vs. 34%)، work alone to complete tasks (Completing Tasks 1، 76% vs. 57%)، complete connected tasks (Completing Tasks 3، 4، and 5; 67% vs. 54%، 60% vs 49% ، 53% vs. 38%)، analyse aspects of the foreign language and texts or conversations (41% vs. 27%، and 43% vs 35%)، recognize learning strategies (Monitoring 1، 72% vs. 60%)، reflect on motivation (Monitoring 2، 78% vs. 70%)، evaluate

learning with a test (Evaluation 4، 62% vs. 50%)، evaluate materials in relation to specific tasks and learning styles (Evaluations 6 and 8، 68% vs. 60% and 68% vs. 53%)، and evaluate learning in relation to tasks suitability and goal achievement (Evaluation 9 and 10، 68% vs. 52%; 75% vs. 55%). The most significant differences between the two samples، however، were reflected through Choosing Materials A3، C2، Completing Tasks 1، and Evaluation 10. BL participants revealed higher levels than their F2F counterparts، yet only in two descriptors: "Dealing with Feeling 1" (52% vs 44%) and "Choosing Materials A2" (46% vs. 36%).

Accordingly، BL sample participants revealed stronger needs for training on almost all of the descriptors، more than F2F participants. The significant variance between the two samples in this respect were reflected through the same descriptors of significant differences highlighted above، besides Planning B1 and C1 (48% vs. 30%; 46% vs. 29%)، Choosing Materials C2 (63% vs. 37%)، Completing Tasks 1 (42% vs. 23%)، Evaluation 8 and 10 (46% vs. 26%; 45% vs. 21%). Only at one descriptor، F2F indicated a stronger need than those indicated by BL، which was self-motivating when worried about mistakes (Dealing with feeling 1، 52% vs. 47%).

Lastly، the "This isn't important for me" column was mostly filled by F2F participants and was left unfilled by BL participants. The largest percentages reflected in this column by F2F participants was regarding using references، such as، dictionaries and interactive CD in Choosing Materials A2 and A4 (26% vs. 9%; 15% vs. 1%).

5. Discussion:

The study aimed at investigating the influence of BL، i.e. online learning، on participants' LA through a comparative approach. That is، it compares learners learning English through a BL approach to others in conventional structural setting. In general، the findings contradict the assumption behind the study that predicted higher LA levels by BL learners than their F2F counterparts. This reached conclusion is based on the BL participants' comparatively lower overall levels of autonomous behaviours، in comparison to their F2F participants. Thus، the current study is incongruent with most of the reviewed studies in the literature، such as Ayan (2015) and Ali (2017). However، with a closer look at the demographical differences between the two samples، namely age and duration of discontinuing education، we cannot assume that those learners' LA levels have not improved. That is، BL mode of instruction might have positively influenced BL learners' LA even if they revealed lower levels in comparison to their generally younger and active counterparts. In other words، the latter group of participants may be well-accustomed to learning and

study habits، which might also have played a role in the results achieved. This particular finding، therefore، well draws our attention to the necessity of holistically considering and controlling various factors as when to measure or employ online instructional modes.

Overall، looking at the results of the BL survey، participants under this instructional approach generally display low to moderate level of LA، based on the analysis of the elements that describe their autonomous behaviours. Nevertheless، they also display good or high levels of LA through certain autonomous behaviours، namely in 'completing tasks' individually، recognizing learning strategies، 'monitoring' motivation and feelings for learning، identifying learning styles، 'evaluating' learning at the beginning and end instruction، and 'evaluating' materials. At the same time، they display very low autonomous behaviours in terms of choosing and trying certain 'materials and methods'، particularly interactive CDs and trying unfamiliar strategies to learn vocabulary and improve listening، in 'completing tasks' related to pronunciation aspects and analysing structures and patterns in a foreign language، comparing grammatical and vocabulary structures، and analysing texts and conversations (Table 5 in Appendix). Therefore، these participants are quite similar to those in Abdelrazeq (2018) and Al-Hassan and Shukri (2017). The particular positive findings on the participants' motivation and evaluation are in line with Abdelrazeq (2018)، in which participants displayed the same autonomous behaviours. The current study participants' low levels of autonomy in the area of choosing materials are also congruent to those in Abdelrazeq (2018). However، findings concerning feelings control in the current study are somehow different than those in Abdelrazeq، since most of the participants in this study reflected a good level at that aspect of LA. In this particular respect specifically، they are similar to participants in Wahyuni et al. (2020)، who showed a good LA level regarding feelings control. Furthermore، participants of both studies are identical in terms of the highest autonomous behaviours levels according to the tool، namely، monitoring، strategies and motivation.

Findings of the study also contribute to the fact of LA dynamic and its multi-dimensional nature as indicated by several scholars and researchers، such as Schmitz (2006)، (e.g Tassinari 2012)، and Cleary (2011). This confirms the difficulty of identifying LA as a unilateral component، regardless of the tremendous efforts made by scholars to formulate valid، effective، and rigorous scales for assessment.

Concerning the overall level of autonomy، the participants in this study assert the previous studies، such as Ghobain (2020) and Alrabai (2017) on LA in the Saudi contexts that reflect learners' moderate level in terms of this learning construct.

6. Conclusion:

The study showed that participating EFL learners scored high motivation levels. This finding is encouraging to educators so they can employ available tools into English education، especially those with the potential to enhance self-learning behaviours، namely، technological tools. In other words، the positive areas in learners' autonomous behaviours should be exploited by providing more training on available technological resources and designing approaches that can maximise utilising their aptitude.

The findings concerning learners in BL should not be discouraging in terms of the efficiency of BL approach or online learning، as there are certain possible affecting factors that should be acknowledged alongside the results. The gap in education journey، especially between high school and university، or age، may have negatively influenced the learners' behaviours، hence these specific factors should duly be considered in future research. Besides، unfortunately there is no evidence that BL learners' LA did not improve since joining the university، solely for the lack of entry assessment for LA. In other words، further study that employs an assessment for entry levels of learning behaviours would perhaps indicate more rigorous findings in terms of the actual influence of the treatment investigated، i.e. BL or online learning. Thus، it can be concluded that technology or any other approaches that are employed cannot guarantee the desired positive learning effects unless ensuring certain conditions. The same can be applied to LA in relation to technology، in which certain learners' factors should also be considered for optimal operation، analysis، and explanation.

References

1- Abdelrazeq، A. (2018). Autonomous learning levels of students majoring in EFL and the role of their teachers in developing autonomous learning. Journal of Educational and Psychological Studies - Sultan Qaboos University، 12(4)، 724-738. DOI: http://dx.doi.org/10.24200/jeps.vol12iss3pp724-738

2- Al-Hassan، S. & Shukri، N. (2017). The effect of blended learning in enhancing female students' satisfaction in the Saudi context. English Language Teaching، 10، 190-203

3- Al-Ruheili، H. S. & Al-Saidi، A. A. (2015). Students' perceptions on the effectiveness of using Edmodo in EFL classes. GAI Istanbul International Academic Conference Proceedings.

4- Ali، J. K. (2017). Blackboard as a motivator for Saudi EFL students: A Psycholinguistic Study. International Journal of English Linguistics، 7(5)، 144-151

5- Alrabai، F. (2017). Exploring the Unknown: The autonomy of Saudi EFL learners. English Language Teaching، 10(5)، 222-233

6- Cleary، T. (2011). Emergence of self-regulated learning microanalysis. In B. Zimmerman & D. Schunk (Eds.)، Handbook of self-regulation of learning and performance. New York، NY: Routledge.

7- DeNeui، D. L.، & Dodge، T. (2006). Asynchronous learning networks and student outcomes: The utility of online learning components in hybrid courses. Journal of Instructional Psychology، 33(4)، 256-259.

8- Foroutan، M.، Noordin، N.، & Sahandri، H. M. (2013). Weblog promotes ESL learners' writing autonomy. Journal of Language Teaching and Research، 4(5)، 994-1002

9- Little، D. (1991) Learner autonomy 1: Definitions، Issues and Problems. Dublin: Authentik

10- Littlewood، William .1996. "Autonomy": An anatomy and a framework. System، 24(4)، 427-435.

11- Lyons، T. & Michael، E. (2013). Blended learning to increase student satisfaction: An exploratory study. Internet Reference Services Quarterly، 18(1)، 43-53. https://doi.org/10.1080/10875301.2013.800626

12- Samuel، P. (2017). Statistical Methods – Scale reliability analysis with small samples. Birmingham City University، Centre for Academic Success. Retrieved from http://

www.open-access.bcu.ac.uk/6077/1/__staff_shares_storage%20500mb_Library_ID112668_Stats%20Advisory_New%20Statistics%20Workshops_17ReliabilityAnalysis_ReliabilitySmallSamples3.pdf. 8/2/2020

13- Schmitz، B. (2006). Advantages of studying processes in educational research. Learning and Instruction، 16، 433-449.

14- Staker، H. & Horn، M. B. (2012). Classifying K-12 blended learning. Mountain View، CA: Innosight Institute.

15- Strommen، E. F.، & Lincoln، B. (1992). Constructivism، technology، and the future of classroom learning. Education and Urban Society، 24(4)، 466-476.

16- Tassinari، M. G. (2011). A dynamic model for learner autonomy: Raising awareness through self-assessment. Paper presented at the Cutting Edges: Autonomy and community in language learning، teaching and training، Canterbury Christ Church University، Canterbury، UK.

17- Tassinari، M. G. (2012). Evaluating learner autonomy: A dynamic model with descriptors. Studies in Self-Access Learning Journal، 3(1)، 24-40

18- Tassinari، M. G. (2008). Checklists for learner autonomy: Practices of self- assessment. Paper presented at the CERCLESConference، Language Centre، University of Seville، Spain.

19- Wahyuni، S.، Mujiyanto، J.، Rukmini، D.، Fitriati، S. W.، & Handoyo، B. (2020). Integrating Edmodo into English instruction: Students' perceptions and its contribution to autonomous learning. International Journal of scientific & Technology Research، 9(2)، 1590-1595

20- Woolfolk، A. (1993). Educational psychology (Boston، Allyn and Bacon).

21- Zhang، L.، & Li، X. (2004). A Comparative study on learner autonomy between Chinese students and west European students. Foreign Language World، 4، 15-23.

Appendix

Table 1: Motivation

I can motivate myself in a way that works for me	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
1- I can motivate myself to learn (for example، by choosing materials that interest me، by framing my learning within interesting projects، by learning together with others، by rewarding myself when I succeed).	BL	%54.8	%45.2	
	F2F	%57.0	%39.7	%3.3
2- I can remotivate myself when I notice that my initial motivation is wearing thin.	BL	%57.5	%42.5	
	F2F	%64.5	%31.4	%4.1

Table 2: Dealing with Feelings

Dealing with Feelings	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
1- I can motivate myself to speak the language I am learning، even when I am nervous about it or worried about making mistakes.	BL	%52.1	%47.9	
	F2F	%43.8	%52.1	%4.1
2- I can control negative feelings when I am learning and can sometimes turn them into something positive.	BL	%52.1	%47.9	
	F٢F	%57	%36.4	%6.6
3- I can recognise that certain feelings can hinder me from (effectively) completing a task (for example، boredom، fear of speaking in front of others، or emotional blocks).	BL	%50.7	%39.7	%9.6
	F2F	%53.7	%34.7	%11.6

Table 3: Planning

Planning	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
A- I can evaluate my own language competency				
1- I can evaluate my starting level	BL	%64.4	%35.6	
	F2F	%68.6	%27.3	%4.1
B- I can analyze my own needs				
1- I can prioritize my learning needs	BL	%50.7	%47.9	%1.4
	F2F	%66.1	%29.8	%4.1
c- I can set myself goals				
1-I can set myself goals (what I want to learn، for example، I want to be able to start a conversation، keep it going and finish it)	BL	%53.4	%46.6	
	F2F	%68.6	%28.9	%2.5
-2 I can prioritize my goals	BL	%60.3	%8.4	%1.4
	F2F	%71.9	%4	%4.1
D- I can plan a time and place for my				
1-I can plan where I want to learn (for example، at home، in the library، in the self-access center etc.)	BL	%68.5	%28.8	
	F2F	%81	%15.7	%3.3
2- I can structure my time in order to have enough time for language learning to achieve my goals	BL	49.3%	50.7%	
	F2F	%57.9	%38.3	%3.3

Table 4: Choosing Materials and Methods

Choosing Materials and Methods	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
A- I am familiar with a variety of materials and resources for language learning، for example				
1- textbooks (coursebooks، workbooks ...)	BL	%50.7	%47.9	%1.4
	F2F	%56.2	%35.3	%8.3
2- reference works (dictionaries، grammar books ...)	BL	%46.6	%52.1	%1.4
	F2F	%36.4	%47.9	%15.7
3- authentic materials (films، newspaper articles، songs ...)	BL	%47.9	%43.8	%8.2
	F2F	%68.6	%24	%7.4
4- interactive CD-ROMs	BL	%34.2	%56.2	%9.6
	F2F	%33.1	%40.5	%26.4
5- websites and online resources	BL	%58.9	%39.7	%1.4
	F2F	%61.2	%32.2	%6.6
B- I can choose materials and resources - In order to achieve my goal، I can choose materials and resources				
-1In order to achieve my goal، I can choose materials and resources (on my own)	BL	%63	%37	
	F2F	%70.2	%24.8	%5
C- Trying out new and unfamiliar methods and strategies				
1- I can try out new and unfamiliar methods and strategies (for example، new methods to learn vocabulary or new exercises to improve my listening skills) [on my own]	BL	%54.8	%45.2	
	F2F	%57.9	35.5	%6.6
2- I can try out new and unfamiliar methods and strategies (for example، new methods to learn vocabulary or new exercises to improve my listening skills) [with the help of learning tips]	BL	%34.2	%63	%2.7
	F2F	%51.2	%37.2	%11.6

Table 5: Completing Tasks

Completing Tasks - I can structure my learning independently	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
1- I can work alone (for example، to complete a given task	BL	%57.5	%42.5	
	F2F	%76	%23.1	
2- I can complete individual tasks that I set myself)	BL	%74	%26	
	F2F	%77.7	%19.8	%2.5
3- I can complete several connected tasks in order to achieve my goal. For example، to prepare for an interview I can [learn specific vocabulary and expressions]	BL	%54.8	%43.8	%1.4
	F2F	%67.8	%30.6	%1.7
4- I can complete several connected tasks in order to achieve my goal. For example، to prepare for an interview I can [revise specific grammatical forms]	BL	%49.3	%49.3	%1.4
	F2F	%60.3	%37.2	%2.5
5- I can complete several connected tasks in order to achieve my goal. For example، to prepare for an interview I can [work on certain pronunciation aspects]	BL	%38.4	%58.9	%2.7
	F2F	%53.7	%43.8	2.5
6- I can complete several connected tasks in order to achieve my goal. For example، to prepare for an interview I can [work with certain worksheets or authentic materials]	BL	%43.8	%54.8	%1.4
	F2F	%54.5	%42.1	%3.3
7- Analyzing elements of the foreign language to detect regularities، irregularities، and recurring patterns [I can analyze structures and patterns in the foreign language and draw conclusions from my observations about the structure and use of the language (for example، I observe how the plural is formed، or the past tense forms are used]	BL	%31.5	%68.5	
	F2F	%34.7	%57.9	%7.4
8- I can analyze individual aspects of the foreign language and compare them with my first language or other languages I know (for example، I can compare grammatical structures، vocabulary، sentence structure and text structure	BL	%27.4	%67.1	%5.5
	F2F	%41.3	%52.1	%6.6

Table 5: Completing Tasks

Completing Tasks - I can structure my learning independently	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
9- Analyzing texts، conversations [I can analyze a communication in the foreign language and compare it with a corresponding situation in my first language in order to recognize culturally specific similarities and differences (for example، how to address someone politely، or how to end a conversation politely]	BL	%35.6	%63	%1.4
	F2F	%43	%52.9	%4.1

Table 6: Monitoring

Monitoring - I can recognize my strengths and weaknesses as a learner and reflect on these.	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
1- I can recognize my learning strategies (for example، whether I am a deductive thinker، associate words، can see the global picture) and/or reflect on them	BL	%60.3	%38.4	%1.4
	F2F	%72.7	%25.6	%1.7
2- I am aware of my motivation for learning and/or can reflect on this	BL	%69.9	%30.1	
	F2F	%78.5	%15.7	%5.8
3- I am aware of my feelings when learning and/or can reflect on them	BL	%67.1	%31.5	%1.4
	F2F	%74.4	%19.8	%5.8
4- I can recognize my own learning style (for example، whether I am a visual or auditory learner، whether I am a perfectionist or a risk taker) and/or reflect on this	BL	%68.5	%31.5	
	F2F	%74.4	%24	%1.7

Table 7: Evaluating

Evaluating I can evaluate my own language competencies	I can do this		I want to learn this	This isn't important for me
1- After I have started learning، I can check my initial evaluation of my starting level (on my own)	BL	%64.4	%35.6	
	F2F	%67.8	%26.4	%5.8
2- After I have started learning، I can check my initial evaluation of my starting level (together with others)	BL	%47.9	%47.9	%4.1
	F2F	%53.7	%31.4	%14.9
3- After I have started learning، I can check my initial evaluation of my starting level (with a learning advisor)	BL	%53.4	%45.2	%1.4
	F2F	%52.1	%36.4	%11.6
4- After I have started learning، I can check my initial evaluation of my starting level (with a test)	BL	%50.7	%47.9	%1.4
	F2F	%62	%29.8	%8.3
5- I can evaluate materials and resources for language learning				
6- I can evaluate the materials and resources I have used، in particular I can state [whether they are suited to the specific task]	BL	%60.3	%38.4	%1.4
	F2F	%68.6	%24.8	%6.6
7- I can evaluate the materials and resources I have used، in particular I can state [whether they are suited to my goal]	BL	%54.8	%45.2	
	F2F	%53.7	%36.4	%9.9
8- I can evaluate the materials and resources I have used، in particular I can state [whether they are suited to my learning style]	BL	%53.4	%46.6	
	F2F	%68.6	%26.4	%5
9- I can evaluate my learning and in particular I can state [whether the tasks are suited to my goal and my learning style]	BL	%56.2	%43.8	
	F2F	%67.8	%24.8	%7.4

kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Education

جامعة الجوف

Jouf University

Jouf University Humanities Journal

Periodical Peer-Reviewed Journal

Issue: 11 , Volume: 6

2021 م - 1443هـ

ردمد 1658-7812